سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (١٩)

الملخص في شرح كتاب التوحيد

لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الملخص في شرح كتاب التوحيد

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

التراث الذهبي
الرياض

المُلَخَّص

في شَرح

كِتَابِ التَّوحِيدِ

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المجلهم ، سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم
الملخص شرح كتاب التوحيد . / سلمان بن جابر بن عثمان
المجلهم . - الرياض ، ١٤٤٠ هـ
٥١٩ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٠-٢-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨
١ - التوحيد ٢ - العقيدة الإسلامية أ . العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٤٠/٤٧٠٦

رقم الإيداع : ٤٧٠٦ / ١٤٤٠
ردمك : ٠-٢-٩١١٨٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية
(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي ، شارع المثنى، مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
فرع حولي: شارع المثنى: ٢٢٦١٥٠٤٦ ، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤
فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩ ، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨
ص. ب: ١٠٧٥ . الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
المملكة العربية السعودية ـ الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨
الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩
E - mail: z.zahby74@yahoo.com
imamzahby

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (١٩)

المُلخَّص

في شرح

كتاب التَّوحيد

لفضيلة الشيخ العلاّمة الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم بطباعة كتابي: **الملخص في شرح كتاب التوحيد**

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

في ٢١/٢/١٤٤٠هـ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح موجز مختصر مفيد نافع، وملخص رائع وكتاب ماتع، لشيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان على كتاب التوحيد للإمام المجدد/ محمد بن عبدالوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، كتبه شيخنا؛ ليكون سهلًا قريبًا للأفهام، والحقيقة أن هذا الشرح المختصر قد كتب الله له القبول، وفيه من البركة ما الله به عليم، ويشعر بذلك القارئ والمطالع، قد انتفع به كبار طلبة العلم قبل صغارهم، ولو كره أهل الباطل والغواية أعداء الأنبياء والشرائع، وقد صرح شيخنا العلامة المفضال سماحة شيخنا / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان بنيته حينما قال في المقدمة: (كتبته على الطريقة المدرسية الحديثة؛ ليكون أقرب إلى أفهام المبتدئين).

وقد حرصنا أن يخرج الكتاب بحلة جديدة، كنور ساطع، خلافًا لما أخرجته سابقًا المطابع.

فنسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يجزي شيخنا العلامة / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان خير الجزاء وأعظمه وأوفره على جهده ونشره للعلم؛ كما نسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزي الامام محمد بن عبدالوهاب خيرًا على كتاب

التوحيد، ويجزي المتبرعين الشيخ مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبا وائل محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وبعدُ:

فهذا شرح موجز على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كتبته على الطريقة المدرسية الحديثة؛ ليكون أقرب إلى أفهام المبتدئين. وأرجو الله أن ينفع به، ويكون إسهامًا في نشر العلم وتصحيح العقيدة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه.

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

نبذة موجزة عن حياة المؤلف

نسبه: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، من آل مشرفٍ، من قبيلة بني تميم المشهورة، وإمام الدعوة السلفية في نجد وغيرها.

نشأته وعلمه: ولد في بلدة العيينة قرب مدينة الرياض سنة ١١١٥هـ، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وتتلمذ على والده قاضي العيينة في وقته، وعلى غيره من مشاهير علماء نجد، والمدينة، والأحساء، والبصرة، فأدرك علمًا غزيرًا أهَّله للقيام بدعوته المباركة، في وقت انتشرت فيه البدع والخرافات، والتبرك بالقبور والأشجار والأحجار، فقام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعوة إلى تصحيح العقيدة وإخلاص العبادة لله وحده، وألَّف عدة كتب، من أشهرها هذا الكتاب: (كتاب التوحيد)، فقد لقي قبولًا عظيمًا لدى العلماء والمتعلمين، واعتنوا به دراسةً وشرحًا؛ فهو كتابٌ بديع الوضع عظيم الفائدة، نفع الله به خلقًا كثيرًا.

وقد بقي الشيخ طيلة حياته معلمًا؛ وداعيًا إلى الله تعالى، آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، إلى أن توفي في الدرعية قرب مدينة الرياض سنة ١٢٠٦هـ، وقد تخرج على يده عدد كبير من العلماء وأئمة الدعوة. أجزل الله له الأجر والثواب، وجعل الجنة مثواه(١).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه.

---

(١) انظر في مصادر ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنوان المجد في تاريخ نجد (١:٣١ وما بعدها)، و(الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته)، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و(من أعلام المجددين)، للشيخ صالح الفوزان -وفقه الله- (ص٨٣-١٢٧)، و(حياة الشيخ =

=محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته)، للدكتور سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، و(الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه)، لأحمد بن حجر آل بو طامي، و(علماء نجد خلال ثمانية قرون)، للشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٢٥:١ -١٦٨)، و(عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي)، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود -حفظه الله-، و(اعتماد دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب على الكتاب والسنة)، لصالح الأطرم، و(اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة)، لسماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية معالي الشيخ/ عبد العزيز آل الشيخ، و(احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، لمرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة، (منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التفسير)، لمسعد ابن مساعد الحسيني، (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه)، لمسعود الندوي، و(الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية)، لناصر ابن إبراهيم بن عبد الله الطريم، (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي)، لمحمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، و(دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب)، لمحمد منظور النعماني، و(منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف)، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، و(الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة)، لآمنة محمد نصير، و(المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [الجزء الأول]، و(اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة)، لمناع القطان، و (الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب)، لمحمود مهدي الإستانبولي، و(الإمام محمد بن عبدالوهاب في مدينة الموصل) مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب [الجزء الأول]، لمحمود شيت خطاب، و(داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب)، لعبد العزيز شلبي سيد الأهل، و(محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث)، لمحمد بهجت الأثري بن محمود أفندي بن عبد القادر بن أحمد بن محمود، و(حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية) مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب [الجزء الأول]، لإسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٥)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/ ٤٧٢ برقم (١٤٤٦٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

الشَّرْح

موضوع هذا الكتاب: بيان التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلَقهم لأجله، وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب أو المستحب من الشرك الأصغر والبدع.

ومعنى كتاب: مصدر كَتَبَ بمعنى جمع، والكتابة بالقلم: جمع الحروف والكلمات[1].

والتوحيد: مصدرُ وحّده؛ أي: جعله واحدًا[2]، والمراد به هنا: إفراد الله بالعبادة.

﴿خَلَقْتُ﴾: الخلق هو إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: العبادة في اللغة: التذلّل والخضوع[3].

---

(١) الكتاب: مصدر سمي به المكتوب، كالخلق بمعنى المخلوق، يقال: كتب كتبا وكتابة، والكتب: الجمع. انظر: الصحاح (١/ ٢٠٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٥٨)، والمطلع على ألفاظ المقنع (١/ ١٤)، ولسان العرب (١/ ٦٩٨) (كتب).

(٢) التوحيد: مصدر وحَّدَ يوحِّد توحيدًا، فوَحَّد يعني جعله واحدًا. انظر: القاموس المحيط (ص٤١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٦)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (١٨٩)، والتعاريف للمناوي (ص٤٩٨)، ومختار الصحاح =

وشرعًا: اسمٌ جامعٌ لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(١).

والمعنى الإجمالي للآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهي بيانٌ للحكمة في خلقهم، فلم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، وإنما أراد المصلحة لهم(٢).

ومناسبة الآية للباب: أنها تدل على وجوب التوحيد، الذي هو إفراد الله بالعبادة؛ لأنه ما خلق الجن والإنس إلا لأجل ذلك.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب إفراد الله بالعبادة على جميع الثّقلين؛ الجن والإنس.

٢- بيان الحكمة من خلق الجن والإنس.

٣- أن الخالق هو الذي يستحق العبادة دون غيره ممن لا يخلُق، ففي هذا ردٌّ على عُبّاد الأصنام.

٤- بيان غنى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن خلقه وحاجة الخلق إليه؛ لأنه هو الخالق، وهم مخلوقون.

٥- إثبات الحكمة في أفعال الله سبحانه.

=(ص١٧٢)، وتفسير الطبري (١/ ٦٩)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٥، ١٧/ ٥٦).
وانظر تعريف العبادة في: المسودة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣٨).

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوي (١٠/ ١٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٥٣)، والبغوي (٧/ ٣٨٠)، وتفسير السمعاني (٥/ ٢٦٤)، وزاد المسير (٤/ ١٧٣)، وابن كثير (٧/ ٤٢٥).

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

الشَّرْح

﴿ بَعَثْنَا ﴾: أرسلنا.

﴿ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾: كل طائفةٍ وقرنٍ وجيلٍ من الناس.

﴿ رَّسُولًا ﴾: الرسول: من أُوحي إليه بشرعٍ، وأُمر بتبليغه(١).

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾: أفردوه بالعبادة.

﴿ وَاجْتَنِبُوا ﴾: اتركوا، وفارقوا.

﴿ الطَّاغُوتَ ﴾: مشتقٌّ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد(٢)، فكل ما عُبد من دون الله -وهو راض بالعبادة-، فهو طاغوت.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله -سبحانه- يخبر أنه أرسل في كل طائفة وقرن من الناس رسولًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فلم يزل يُرسل الرسل إلى الناس بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في عهد نوح إلى أن ختمهم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» (ص٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرْسِلَ مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرْسَلْ هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً فهو نبي وليس برسول) اهـ. وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

(٢) انظر: العين (٤/ ٤٣٥)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٥٣)، ولسان العرب (١٥/ ٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢١٩).

مناسبة الآية للباب: أن الدعوة إلى التوحيد والنهيَ عن الشرك هي مهمة جميع الرسل وأتباعهم.

ما يُستفاد من الآية:

١- أن الحكمة من إرسال الرسل هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك.

٢- أن دين الأنبياء واحد، وهو إخلاص العبادة لله وترك الشرك، وإن اختلفت شرائعهم.

٣- أن الرسالة عمّت كل الأمم، وقامت الحجة على كل العباد.

٤- عظم شأن التوحيد، وأنه واجبٌ على جميع الأمم.

٥- في الآية ما في (لا إله إلا الله) من النفي والإثبات، فدلت على أنه لا يستقيم التوحيد إلا بهما جميعًا، وأن النفي المحض ليس بتوحيد، والإثبات المحض ليس بتوحيد.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤][(١)].

الشَّرْح

﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ووصى[(٢)]، والمراد بالقضاء هنا: القضاء الشرعيّ الدينيّ، لا القضاء القدريّ الكونيّ.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: الرب هو المالك المتصرف، الذي ربى جميع العالمين بنعمته[(٣)].

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾؛ أي: أن تعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا؛ كما قضى أن تعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

---

(١) أخرج البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ-: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٢)، وزاد المسير (٣)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٥٩). وانظر: لسان العرب (١٥/ ١٨٦، ١٨٧)، ومختار الصحاح (ص٢٢٦).

(٣) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الحديث (٢ / ١٧٩، ١٨٠): (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم، ويقال: ربه يربه أي كان له ربًّا، ويقال: رب فلان ولده يربه ربًّا وربيه ورباه، كله بمعنى واحد). اهـ. بتصرف.
وانظر: تفسير الطبري (١/ ١٤٢-١٤٣).

المعنى الإجمالي للآية: الإخبار أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمر ووصّى على ألسُن رسله أن يُعبد وحده دون ما سواه، وأن يحسن الولد إلى والديه إحسانًا بالقول والفعل، ولا يسيء إليهما؛ لأنهما اللذان قاما بتربيته في حال صِغره وضعفه، حتى قوِي واشتد.

مناسبة الآية للباب: أن التوحيد هو آكد الحقوق وأوجب الواجبات؛ لأن الله بدأ به في الآية، ولا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم.

ما يستفاد من الآية:

١- أن التوحيد هو أول ما أمر الله به من الواجبات، وهو أول الحقوق الواجبة على العبد.

٢- ما في كلمة (لا إله إلا الله) من النفي والإثبات، ففيها دليلٌ على أن التوحيد لا يقوم إلا على النفي والإثبات: (نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله)؛ كما سبق.

٣- عظمة حق الوالدين؛ حيث عطف حقهما على حقه، وجاء في المرتبة الثانية.

٤- وجوب الإحسان إلى الوالدين بجميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يخص نوعًا دون نوع.

٥- تحريم عقوق الوالدين.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

الشَّرْح

﴿وَلَا تُشْرِكُواْ﴾: اتركوا الشرك، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

﴿شَيْـًٔا﴾: نكرةٌ في سياق النهي، فتعم الشرك: كبيرَه وصغيره(١).

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله -سبحانه- عباده بعبادته وحده لاشريك له، وينهاهم عن الشرك، ولم يخصّ نوعًا من أنواع العبادة -لادعاء، ولا صلاة، ولا غيرهما-؛ ليعمّ الأمر جميع أنواع العبادة، ولم يخص نوعًا من أنواع الشرك؛ ليعم النهي جميع أنواع الشرك.

مناسبة الآية للباب: أنها ابتدأت الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، ففيها تفسير التوحيد بأنه عبادة الله وحده وترك الشرك.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب إفراد الله بالعبادة؛ لأن الله أمر بذلك أولًا، فهو آكد الواجبات.

٢- تحريم الشرك؛ لأن الله نهى عنه، فهو أشد المحرمات.

٣- أن اجتناب الشرك شرطٌ في صحة العبادة؛ لأن الله قرن الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك.

---

(١) انظر: روضة الناظر (٢/ ١٣٢)، وبدائع الفوائد (٤/ ٢، ٣)، ومذكرة الشنقيطي (٢٠٤-٢٠٧).

٤- أن الشرك حرامٌ قليله وكثيره، كبيره وصغيره؛ لأن كلمة شيئًا نكرةٌ في سياق النهي، فتعم كل ذلك.

٥- أنه لا يجوز أن يُـشْرَكَ مع الله أحدٌ في عبادته -لا ملكٌ، ولانبيٌ، ولا صالحٌ، من الأولياء، ولا صنمٌ-؛ لأن كلمة (شيئًا) عامة.

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣][١].

---

(١) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ؟**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] حَتَّى خَتَمَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ، «**فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا أَدْرَكَهُ اللهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ أَخَّرَ إِلَى الْآخِرَةِ، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**». أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٨)، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٥).

وأصل الحديث متفق عليه بدون ذكر الآيات، فقد أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (٤١) (١٧٠٩) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**». وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠).

الشَّرْح

﴿تَعَالَوْا﴾: هلمّوا وأقبلوا.

﴿أَتْلُ﴾: أقصص عليكم وأُخبركم.

﴿حَرَّمَ﴾: الحرام: الممنوع منه، وهو ما يُعاقب فاعله، ويثاب تاركه(١).

«**الآيات**»: أي إلى آخر الآيات الثلاث من سورة الأنعام. من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله في ختام الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرّموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم تقرُّبًا للأصنام، فعلوا ذلك بآرائهم وتسويل الشيطان لهم: هلمّوا أقصّ عليكم ما حرّم خالقكم ومالككم تحريمًا حقًّا لا تخرّصًا وظنًّا، بل بوحي منه، وأمرٍ من عنده، وذلك فيما وصاكم به في هذه الوصايا العشر، التي هي:

أولًا: وصاكم ألا تشركوا به شيئًا، وهذا نهيٌ عن الشرك عمومًا، فشمل كل مشرك به من أنواع المعبودات من دون الله، وكل مشرك فيه من أنواع العبادة.

ثانيًا: ووصاكم أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا؛ ببرهما، وحفظهما، وصيانتهما، وطاعتهما في غير معصية الله، وترك الترفّع عليهما.

---

(١) انظر: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع (١/ ٣٢٠)، والمقدمة العثيمينية في أصول الفقه (ص٥-٦).

ثالثًا: وصاكم أن لا تقتلوا أولادكم من إملاق؛ أي: لا تئدوا بناتكم، ولا تقتلوا أبناءكم خشية الفقر، فإنه رازقكم ورازقهم، فلستم ترزقونهم، بل ولا ترزقون أنفسكم.

رابعًا: ووصاكم أن لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ أي: المعاصي الظاهرة والخفية.

خامسًا: ووصاكم أن لا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها، وهي النفس المؤمنة والمعاهدة إلا بالحق، الذي يبيح قتلها من قصاصٍ، أو زنىً بعد إحصان، أو ردة بعد إسلام.

سادسًا: ووصاكم أن لا تقربوا مال اليتيم -وهو الطفل الذي مات أبوه-، إلا بالتي هي أحسن؛ من تصريفه بما يحفظه، وينَمِّيه له حتى تدفعوه إليه حين يبلغ أشدّه؛ أي: الرشد وزوال السّفَه مع البلوغ.

سابعًا: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾؛ أي: أقيموا العدل في الأخذ والإعطاء حسب استطاعتكم.

ثامنًا: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾: أمر بالعدل في القول على القريب والبعيد بعد الأمر بالعدل في الفعل.

تاسعًا: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ أي: وصيته التي وصاكم بها ﴿أَوۡفُواْ﴾؛ أي: انقادوا لذلك بأن تطيعوه فيما أمر به ونهى عنه، وتعملوا بكتابه وسنة نبيه.

عاشرًا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: الذي أوصيتكم به في هاتين الآيتين -من

ترك المنهيات، وأعظمها الشرك، وفعل الواجبات، وأعظمها التوحيد- هو الصراط المستقيم.

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: البدع والشبهات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: تميل وتشتت بكم عن دينه.

مناسبة الآيات للباب: أن الله -سبحانه- ذكر فيها جُمَلًا من المحرّمات، ابتدأها بالنهي عن الشرك، والنهي عنه يستدعي الأمر بالتوحيد بالاقتضاء، فدل ذلك على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظمُ المحرمات.

ما يستفاد من الآيات:

١- أن الشرك أعظم المحرمات، وأن التوحيد أوجب الواجبات.

٢- عظم حق الوالدين.

٣- تحريم قتل النفس بغير حق، لا سيما إذا كان المقتول من ذوي القربى.

٤- تحريم أكل مال اليتيم، ومشروعية العمل على إصلاحه.

٥- وجوب العدل في الأقوال والأفعال على القريب والبعيد.

٦- وجوب الوفاء بالعهد.

٧- وجوب اتباع دين الإسلام وترك ما عداه.

٨- أن التحليل والتحريم حقٌّ لله.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عليها خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية [الأنعام:١٥١-١٥٣]»[(١)] [(٢)].

الشَّرْح

ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذَلي، صحابي جليل من السابقين الأولين، من كبار علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفي سنة ٣٢هـ.

«وَصِيَّة»: هي الأمر المؤكد المقرر.

«خَاتَمُهُ»: الخاتم -بفتح التاء وكسرها-: حلقةٌ ذات فص من غيرها، وختمتُ على الكتاب بمعنى: طبَعت[(٣)].

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤١٤)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٤٣) والكبير (١٠٠٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٠٧)، وفي إسناده داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، وهو ضعيف.

(٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]». أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٣)، وأحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٢)، والبزار (٥/ ١١٣، ١١٤، ١٣١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٠٥)، والحاكم (٢/ ٣١٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٢): رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم ابن بهدلة وهو ثقة، وفيه ضعف.

(٣) انظر: العين (٤/ ٢٤١)، وتهذيب اللغة (٧/ ١٣٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٤٥).

المعنى الإجمالي للأثر: يذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو وصى، لم يوص إلا بما وصى به الله تعالى، فإن الله قد وصى بها في هذه الآيات؛ لأنه سبحانه قد ختم كل آية منها بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، وإنما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك لمَّا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ»[1]، فذكّرهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عندهم من القرآن ما يكفيهم، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو وصّى، لم يوص إلا بما في كتاب الله.

مناسبة هذا الأثر للباب: بيان أن ما ذُكر في هذه الآيات كما هو وصية الله فهو وصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى الله به.

ما يستفاد من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- أهمية هذه الوصايا العشر.

٢- أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى به الله، فكل وصية لله فهي وصية لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- عمق علم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ودقة فهمهم لكتاب الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦)، ومسلم (٢٢) (١٦٣٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ: ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ».

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ على عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[1].

الشَّرْح

معاذ: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن كعب بن عمرو الخزرجي الأنصاري صحابيٌّ جليل مشهور من أعيان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان متبحرًا في العلم والأحكام والقرآن، شهد غزوة بدر وما بعدها واستخلفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم ثم بعثه إلى اليمن قاضيًا ومعلمًا، مات بالشام سنة ١٨هـ وله ٣٨ عامًا.

«**رِدْيفَ**»: الرديف هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

«**هَلْ تَدْرِى**»: هل تعرف؟

«**حَقَّ اللهِ**»: ما يستحقه، ويجعله متحتمًا على العباد.

«**حَقَّ الْعِبَادِ على اللهِ**»: ما كتبه على نفسه تفضلًا منه وإحسانًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).
وفي رواية: «فأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا» عند البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
وجاء في فتح المجيد (ص٢٨) قال الوزير أبو المظفر: (لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة).

«أُبَشِّرُ النَّاسَ»: أخبرهم بذلك ليُسروا به.

«يَتَّكِلُوا»: يعتمدوا على ذلك؛ فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي ﷺ أراد أن يبين وجوب التوحيد على العباد وفضله، فألقى ذلك بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، فلما بيّن لمعاذ رضي الله عنه فضل التوحيد، استأذنه معاذ رضي الله عنه أن يخبر بذلك الناس؛ ليستبشروا، فمنعه النبي ﷺ من ذلك؛ خوفًا من أن يعتمد الناس على ذلك، فيقلِّلوا من الأعمال الصالحة.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه تفسير التوحيد بأنه عبادة الله وحده لا شريك له.

ما يستفاد من الحديث:

١- تواضع النبي ﷺ؛ حيث ركب الحمار، وأردف عليه، خلافَ ما عليه أهل الكبر.

٢- جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

٣- التعليم بطريقة السؤال والجواب.

٤- أن من سُئل عما لا يعلم، فينبغي له أن يقول: الله أعلم.

٥- معرفة حق الله على العباد، وهو أن يعبدوه وحده لا شريك له.

٦- أن من لم يتجنب الشرك، لم يكن آتيًا بعبادة الله حقيقة، ولو عبده في الصورة.

٧- فضل التوحيد وفضل من تمسك به.

٨- تفسير التوحيد، وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك.

٩- استحباب بشارة المسلم بما يسره.

١٠- جواز كتمان العلم للمصلحة.

١١- تأدب المتعلم مع معلمه.

١- بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢][١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لما بين في الباب الأول وجوبَ التوحيد ومعناه، بين في هذا الباب فضل التوحيد وآثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة -التي منها تكفير الذنوب-؛ لأجل الحث عليه والترغيب فيه.

بَابُ: هو لغةً: المدخل.

واصطلاحًا: اسمٌ لجملة من العلم تحته فصول ومسائل غالبًا[٢].

---

(١) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ:أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]». أخرجه البخاري (٣٢،٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤).

(٢) **(الباب) في اللغة:** الباب معروف، والمصدر منه التبويب، والجمع أبواب وبيبان، وباب البيت معروف، ويراد به في الكتب الجزء إطلاقًا، وقيل بأنه الفرجة التي يدخل منها إلى الدار، ويطلق على ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه. انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٣٨)، ولسان العرب (١/ ٢٢٣)، وتاج العروس (١/ ١٢٥).

واصطلاحًا: اسم لطائفة من المسائل مشتركة في حكم، وقد يعبر عنها بالكتاب وبالفصل، وقد يجمع بين هذه الثلاثة. انظر: إعانة الطالبين (١/ ٢٩)، وتاج العروس (١/ ١٢٥).

يُكَفِّرُ: التكفير في اللغة: الستر والتغطية[1].

وشرعًا: محو الذنب حتى يصير بمنزلة المعدوم[2].

مِنَ الذُّنُوبِ: (مِن) بيانية وليست للتبعيض، والذنوب: جمعُ ذنب وهو ما تقبح عاقبته.

﴿ءَامَنُواْ﴾: صدقوا بقلوبهم، ونطقوا بألسنتهم، وعملوا بجوارحهم، ورأسُ ذلك التوحيد.

﴿يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾: يخلطوا توحيدهم.

﴿بِظُلْمٍ﴾: بشرك، والظلم وضع الشيء في غير موضعه[3]، سُمّي الشرك ظلمًا؛ لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وصرفٌ لها لغير مستحقها.

﴿ٱلْأَمْنُ﴾: طمأنينة النفس وزوال الخوف.

﴿مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: موفقون للسير على الصراط المستقيم ثابتون عليه.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر -سبحانه- أن الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك هم الآمنون من المخاوف والمكاره يوم القيامة، المهتدون للسير على الصراط المستقيم في الدنيا.

مناسبة الآية للباب: أنها دلت على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب.

---

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٥/ ١٩١): (الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ)، وانظر: العين (٥/ ٣٥٧)، والصحاح (٢/ ٨٠٨).

(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٨٠٨)، ولسان العرب (٥/ ١٤٨)، والقاموس المحيط (١/ ٤٧١).

(٣) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٨٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣)، والقاموس المحيط (ص١٤٦٤)، ومختار الصحاح (ص١٧٠).

ما يستفاد من الآية:

١- فضل التوحيد وثمرته في الدنيا والآخرة.

٢- أن الشرك ظلمٌ مبطلٌ للإيمان بالله؛ إن كان أكبَر، أو منقِص له؛ إن كان أصغر.

٣- أن الشرك لا يُغفر.

٤- أن الشرك يسبب الخوف في الدنيا والآخرة.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**». **أَخْرَجَاهُ**(١).

الشَّرْح

عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاريّ الخزرجيّ، أحد النقباء، بدريٌّ مشهور، توفي سنة ٣٤هـ، وله ٧٢ سنة.

«**شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللّٰهُ**»: تكلّم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا.

«**لا إِلهَ إِلَّا اللّٰهُ**»: لا معبود بحق إلا الله.

«**وَحْدَهُ**»: حالٌ مؤكّد للإثبات.

«**لا شَرِيكَ لَهُ**»: تأكيد للنفي.

«**وَأَنَّ مُحَمَّدًا**»؛ أي: وشهد أن محمدًا.

«**عَبْدُهُ**»: مملوكه وعابده.

«**وَرَسُولُهُ**»: مرسله بشريعته.

«**وَأَنَّ عِيسَى**»؛ أي: وشهد أن عيسى ابن مريم.

«**عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»: خلافًا لما يعتقده النصارى أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

«**وَكَلِمَتُهُ**»؛ أي: أنه خلَقه بكلمةٍ، وهي قولُه: (كن).

«**أَلْقاها إلى مَرْيَمَ**»: أرسل بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إليها، فنفخ فيها من روحه المخلوقة بإذن الله -عَزَّ وَجَلَّ.

«**وَرُوحٌ**»؛ أي: أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ روحٌ من الأرواح التي خلقها الله تعالى.

«**مِنْهُ**»؛ أي: منه خلقًا وإيجادًا؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ** ﴾ [الجاثية:١٣].

«**وَالجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ**»؛ أي: شهد أن الجنة والنار اللتين أخبر الله عنهما في كتابه ثابتتان، لا شك فيهما.

«**أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**»: جواب الشرط السابق من قوله: «مَنْ شَهِدَ...». الخ.

«**على مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»: يحتمل معنيين:

الأول: أدخله الله الجنة، وإن كان مقصِّرًا وله ذنوب؛ لأن الموحِّد لابد له من دخول الجنة.

الثاني: أدخله الله الجنة، وتكون منزلته فيها على حسب عمله.

أَخْرَجَاهُ: أي: روى هذا الحديث البخاري ومسلم في صحيحيهما، اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرنا مبينًا لنا فضل التوحيد وشرفه: أن من نطق بالشهادتين عارفًا لمعناهما، عاملًا بمقتضاهما ظاهرًا وباطنًا، وتجنب الإفراط والتفريط في حق النبيين الكريمين

عيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، فأقرّ لهما بالرسالة وعبوديتهما لله، وأنه ليس لهما شيءٌ من خصائص الربوبية، وأيقن بالجنة والنار؛ أن مآله إلى الجنة، وإن صدر منه معاصٍ دون الشرك.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيانًا لفضل التوحيد، وأنه سبب لدخول الجنة وتكفير الذنوب.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل التوحيد، وأن الله يكفر به الذنوب.

٢- سعة فضل الله وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣- وجوب تجنب الإفراط والتفريط في حق الأنبياء والصالحين، فلا نجحد فضلهم، ولا نغلو فيهم، فنصرف لهم شيئًا من العبادة؛ كما يفعل بعض الجهال والضلال.

٤- أن عقيدة التوحيد تخالف جميع الملل الكفرية؛ من اليهود والنصارى والوثنيين والدهريين.

٥- أن عصاة الموحدين لا يخلَّدون في النار.

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ عِتْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١).

الشَّرْح

عِتْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري من بني سالم بن عوف، صحابي مشهور، مات في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَهُمَا: أي روى البخاري ومسلم في صحيحيهما هذا الحديث بكماله، وهذا طرف منه.

«**حَرَّمَ على النَّارِ**»: التحريم: المنع؛ أي: منعَ النارَ أن تمسّه.

«**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»؛ أي: مخلصًا من قلبه، ومات على ذلك، ولم يقلْها نفاقًا.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر خبرًا مؤكدًا أن من تلفظ بكلمة «لا إله إلا الله» قاصدًا ما تدل عليه من الإخلاص ونفي الشرك، عاملًا بذلك ظاهرًا وباطنًا، ومات على تلك الحال، لم تمسه النار يوم القيامة.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دلالة واضحة على فضل التوحيد، وأنه يوجب لمن مات عليه النجاة من النار وتكفير السيئات.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

ما يستفاد من الحديث:

١ - فضل التوحيد، وأنه ينقذ من النار، ويكفر الخطايا.

٢- أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد القلب؛ كحال المنافقين.

٣- أنه لا يكفي في الإيمان الاعتقاد من غير نطق؛ كحال الجاحدين.

٤- تحريم النار على أهل التوحيد الكامل.

٥- أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- أن من قال: «لا إله إلا الله»، وهو يدعو غير الله، لم تنفعه؛ كحال عباد القبور اليوم يقولون: «لا إله إلا الله»، وهم يدعون الموتى، ويتقربون إليهم.

٧- إثبات الوجه لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَت بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ**(١).

الشَّرْح

أبو سعيد الخدري: هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الخزرجيّ الأنصاريّ الخدريّ؛ نسبة إلى بني خدرة، صحابي جليل، وابن صحابي، روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديث كثيرة، مات سنة ٧٤هـ.

مُوسَى: هو موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله إلى بني إسرائيل وكليم الرحمن.

«أَذْكُرُكَ»: أثني عليك، وأحمدك به.

«وَأَدْعُوكَ بِهِ»: أتوسل به إليك إذا دعوتك.

«يَقُولُونَ هَذَا»؛ أي: هذه الكلمة.

«وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي»: من فيهن من العمار غير الله.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨)، وفي عمل اليوم والليلة (٨٣٤، ١١٤١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧١٠)، والطبراني في الدعاء (١/ ٤٣٥). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢) رواه أبو يعلى ورجاله وُثِّقوا وفيهم ضعف.

«فِي كِفَّةٍ»؛ أي: لو وُضعت هذه المخلوقات في كفة من كفّتي الميزان، ووُضعت هذه الكلمة في الكِفة الأخرى.

«مَالَت بِهِنَّ»: رَجَحَت عليهن.

المعنى الإجمالي للحديث: أن موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب من ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يعلمه ذِكرًا يثني عليه به، ويتوسل إليه به، فأرشده الله أن يقول: «لا إله إلا الله»، فأدرك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذه الكلمة كثيرٌ ذكرها على ألسنة الخلق، وهو إنما يريد أن يخصه بذكر يمتاز به عن غيره، فبين الله عظم فضل هذا الذكر الذي أرشده إليه، وأنه لا شيء يعادله في الفضل.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيانَ فضل كلمة التوحيد، وأنه لا شيء يعادلها في الفضيلة.

ما يستفاد من الحديث:

١- عظم فضل لا إله إلا الله، لما تتضمنه من التوحيد والإخلاص.

٢- فضل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحرصه على التقرّب إلى الله.

٣- أن العبادة لا تكون إلا بما شرعه الله، وليس للإنسان أن يبتدع فيها من عند نفسه؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ربه أن يعلمه ما يذكره به.

٤- أن ما اشتدت الحاجة والضرورة إليه كان أكثر وجودًا، فإنَّ «لا إله إلا الله» لمَّا كان العالَم مضطرًّا إليها، كانت أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حصولًا.

٥- أن الله فوق السماوات لقوله: «**وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**».

٦- أنه لا بد في الذكر بهذه الكلمة من التلفظ بها كلها، ولا يقتصر على لفظ الجلالة (الله)؛ كما يفعله بعض الجهّال.

٧- إثبات ميزان الأعمال، وأنه حق.

٨- أن الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضل «لا إله إلا الله».

٩- أن الأرَضين سبعٌ كالسماوات.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ -وَحَسَّنَهُ- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قالَ اللهُ تعَالى: يا ابنَ آدَمَ إنّكَ لَوْ أتَيْتَني بقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا، ثُمّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١].

الشَّرْح

أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجيّ خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خدمه عشر سنين، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»**[٢]، مات سنة ٩٢هـ وقيل سنة ٩٣هـ وقد جاوز المائة.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ -وَحَسَّنَهُ-: أي وروى الترمذي في سننه الحديث المذكور، وحسّن إسناده.

«قُرَابِ»: بضم القاف، وقيل: بكسرها، والضم أشهر: وهو ملؤها، أو ما يقارب ملأها.

«ثُمّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا»؛ أي: ثم متَّ حال كونك سالمًا من الشرك، وهذا شرط في الوعد بحصول المغفرة.

«مَغْفِرَةً»: الغفر: الستر[٣]. وشرعًا: تجاوز الله عن خطايا وذنوب عباده.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ويشهد له ما في صحيح مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٧٩، ٦٣٨١)، ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١).

(٣) انظر: العين (٤/ ٤٠٦)، وتهذيب اللغة (٨/ ١١٣)، والصحاح (٢/ ٧٧٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٥).

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه يخاطب عباده، ويبين لهم سعة فضله ورحمته، وأنه يغفر الذنوب مهما كثُرت، ما دامت دون الشرك، وهذا الحديث مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على كثرة ثواب التوحيد، وأنه يكفر الذنوب مهما كثُرت.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل التوحيد وكثرة ثوابه.

٢- سعة فضل الله وجوده ورحمته وعفوه.

٣- الرد على الخوارج[1] الذين يكفرون مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك.

٤- إثبات الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق بجلاله.

٥- إثبات البعث والحساب والجزاء.

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

٢- بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٩].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا ذكر التوحيد وفضلَه، ناسب أن يذكر بيان تحقيقه؛ لأنه لا يحصل كمالُ فضله إلا بكمال تحقيقه.

حَقَّقَ التَّوْحِيدَ: أي: خلَّصه، وصفَّاه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

بِغَيْرِ حِسَابٍ: أي: لا محاسبة عليه.

﴿أُمَّةً﴾؛ أي: قدوة، وإمامًا معلمًا للخير.

﴿قَانِتًا﴾: القنوت: دوام الطاعة.

﴿حَنِيفًا﴾: الحنيف: المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه.

﴿وَلَمْ يَكُ﴾: أصلُها (يكن)، حُذفت النون تخفيفًا.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: قد فارق المشركين بالقلب واللسان والبدن، وأنكر ما كانوا عليه.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾: لا يعبدون معه غيره.

المعنى الإجمالي للآية الأولى: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يصف خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأربع صفات:

الصفة الأولى: أنه كان قدوة في الخير؛ لتكميله مقام الصبر واليقين، واللذين بهما تُنال الإمامة في الدين.

الصفة الثانية: أنه كان خاشعًا مطيعًا مداومًا على عبادة الله تعالى.

الصفة الثالثة: أنه كان معرضًا عن الشرك مقبلًا على الله تعالى.

الصفة الرابعة: بُعده عن الشرك ومفارقته للمشركين.

مناسبة الآية الأولى للباب: أنه وصف خليله بهذه الصفات، التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وقد أُمرنا بالاقتداء به في قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة:٤].

مناسبة الآية الثانية للباب: أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفاتٍ، أعظمُها الثناء عليهم بأنهم بربِّهم لا يشركون شيئًا من الشرك -لا خفيًّا ولا جليًّا-، ومن كان كذلك، فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية، ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

ما يستفاد من الآيتين:

١- فضيلة أبينا إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- الاقتداء به في هذه الصفات العظيمة.

٣- بيان الصفات التي يتم بها تحقيق التوحيد.

٤- وجوب الابتعاد عن الشرك والمشركين والبراءة من المشركين.

٥- وصف المؤمنين بتحقيق التوحيد.

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِى انْقَضَّ الْبَارِحَةَ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ.

قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ على ذَلِكَ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ ابْنِ حُصَيْبٍ الأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ.

فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ على الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النبي وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنبي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عليهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟». فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ

يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

الشَّرْح

تراجم الرجال الواردة أسماءهم في الحديث:

حُصَيْنٍ: هو حصين بن عبد الرحمن السلمي الحارثيّ من تابعي التابعين، مات سنة ١٣٦هـ، وله ٩٣ سنة.

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: هو الإمام الفقيه من أجلة أصحاب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ، ولم يُكمل الخمسين.

الشَّعْبِيُّ: اسمه عامر بن شراحيل الهمداني، ولد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين، مات سنة ١٠٣هـ.

بُرَيْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بضم أوله وفتح ثانيه، ابن الحصيب بن الحارث الأسلمي صحابي شهير، مات سنة ٦٣هـ.

ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[2]، فكان كذلك، ومات بالطائف سنة ٦٨هـ.

---

(١) أخرجه البخاري [(٥، ٥٧، ٥٧٥٢ مطولًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا]، ومسلم (٢٢٠)، والترمذي (٢٤٤٨)، والنسائي في الكبري (٤/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٥، ٢٤٤- ٥/ ٦٥، ١٦٠، ٢١٥)، وابن حبان (١٥/ ٥٣١)، وابن راهويه (٤/ ٢٣٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١١١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٧، ٢٦٣- ١١/ ١١٠، ٢١٣-١٢/ ٧٠).

عُكَّاشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هو عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر وشهد بدرًا، وقاتل فيها، واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنة ١٢هـ.

«**الْكَوْكَبَ**»: النجم.

«**انْقَضَّ**»؛ أي: سقط منه الشهاب.

«**الْبَارِحَةَ**»: هي أقرب ليلة مضت. يقال: قبل الزوال رأيت الليلة، وبعد الزوال رأيت البارحة.

«**لُدِغْتُ**»؛ أي: لدغته عقرب -واللدغ: اللسع-؛ أي: أصابته بسمها.

«**ارْتَقَيْتُ**»: طلبت من يرقيني، والرقية: قراءة القرآن والأدعية والشرعية على المصاب بمرض ونحوه.

«**مَا حَمَلَكَ على ذَلِكَ؟**»: ما حُجَّتك على جواز ذلك؟

«**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ**»: العين: إصابة العائن غيرَه بعينه.

«**أَوْ حُمَةٍ**»: الحمة: سم العقرب وشبهها.

«**مَنِ انْتَهى إلى مَا سَمِعَ**»؛ أي: أخذ بما بلغه من العلم، بخلاف من يعمل على جهل، أو لا يعمل بما يعلم.

«**عُرِضَتْ على الأُمَمُ**»: قيل: كان ذلك ليلة الإسراء؛ أي: أراه الله مثالَها إذا جاءت يوم القيامة.

«**الرَّهْطُ**»: الجماعة دون العشرة.

«**لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»؛ أي: لم يتبعه من قومه أحد.

«**سَوَادٌ عَظِيمٌ**»: أشخاص كثيرة.

«فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي»؛ أي: لكثرتهم وبعده عنهم، فلا يميز أعيانهم.

«مُوسَى»؛ أي: موسى بن عمران كليم الرحمن.

«وَقَوْمُهُ»؛ أي: أتباعه على دينه من بني إسرائيل.

«بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»؛ أي: لا يحاسبون، ولا يعذبون قبل دخولهم الجنة؛ لتحقيقهم التوحيد.

«ثُمَّ نَهَضَ»؛ أي: قام.

«فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ»؛ أي: تباحث الحاضرون، واختلفوا في هؤلاء السبعين بأي عمل نالوا هذه الدرجة؟ فإنهم لم ينالوها إلا بعمل، فما هو؟

«فَأَخْبَرُوهُ»؛ أي ذكروا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلافهم في المراد بهؤلاء السبعين.

«لَا يَسْتَرْقُونَ»: لا يطلبون من يرقيهم؛ استغناء عن الناس.

«وَلَا يَكْتَوُونَ»: لا يسألون غيرهم أن يكويهم بالنار.

«وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها.

«وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»: يعتمدون في جميع أمورهم عليه لا على غيره، ويفوّضون أمورهم إليه.

«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»؛ أي: إلى إحراز هذه الصفات، أو سبقك بالسؤال.

المعنى الإجمالي للحديث: يصف لنا حصين بن عبد الرحمن حوارًا دار في مجلس سعيد بن جبير بمناسبة انقضاض كوكب في الليل، فأخبرهم حصينٌ أنه شاهد انقضاضه؛ لأنه لم يكن حينذاك نائمًا، إلا أنه خاف أن يظن

الحاضرون أنه ما رأى النجم، إلا لأنه يصلي، فأراد أن يدفع عن نفسه إيهام تعبّدٍ لم يفعله -كعادة السلف في حرصهم على الإخلاص-، فأخبر بالسبب الحقيقي ليقَظَته، وأنه بسبب إصابة حصلت له، فانتقل البحث إلى السؤال عما صنع حيال تلك الإصابة، فأخبر أنه عالجها بالرقية، فسأله سعيدٌ عن دليله الشرعي على ما صنع، فذكر له الحديث الوارد عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جواز الرقية، فصوَّبه في عمله بالدليل.

ثم ذكر له حالةً أحسن مما فعل، وهي الترقي إلى كمال التوحيد بترك الأمور المكروهة مع الحاجة إليها، توكلًا على الله؛ كحالة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ حيث وصفهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم يتركون الرقية والكي؛ تحقيقًا للتوحيد، ويأخذون بالسبب الأقوى، وهو التوكل على الله، ولم يسألوا أحدًا غيرَه شيئًا من الرقية فما فوقها.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه شيئًا من بيان معنى حقيقة التوحيد وثواب ذلك عند الله تعالى.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضيلة السلف، وأن ما يرونه من الآيات السماوية لا يعدّونه عادة، بل يعلمون أنه آية من آيات الله.

٢- حرص السلف على الإخلاص وشدة ابتعادهم عن الرياء.

٣- طلب الحجة على صحة المذهب وعناية السلف بالدليل.

٤- مشروعية الوقوف عند الدليل والعمل بالعلم، وأن من عمِل بما بلغه، فقد أحسن.

٥- تبليغ العلم بتلطف وحكمة.

٦- إباحة الرقية.

٧- إرشاد من أخذ بشيء مشروع إلى ما هو أفضل منه.

٨- فضيلة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث عُرضت عليه الأمم.

٩- أن الأنبياء متفاوتون في عدد أتباعهم.

١٠- الرد على من احتج بالأكثر، وزعم أن الحق محصورٌ فيهم.

١١- أن الواجب اتباع الحق، وإن قلّ أهله.

١٢- فضيلة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

١٣- فضيلة هذه الأمة، وأنهم أكثر الأمم اتباعًا لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٤- فضيلة تحقيق التوحيد وثوابه.

١٥- إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع للاستفادة وإظهار الحق.

١٦- عمق علم السلف لمعرفتهم أن المذكورين في الحديث لم ينالوا هذه المنزلة إلا بعمل.

١٧- حرص السلف على الخير والمنافسة على الأعمال الصالحة.

١٨- أن ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

١٩- طلب الدعاء من الفاضل في حياته.

٢٠- علَم من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر أن عكاشة من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فقُتل شهيدًا في حروب الردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢١- فضيلة عكاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٢- استعمال المعاريض وحسن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث لم يقل للرجل الآخر: لست منهم.

٢٣- سد الذرائع؛ لئلا يقوم من ليس أهلًا، فيُردُّ، والله أعلم.

٣- بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وَقَالَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر التوحيد وفضله وتحقيقه، ناسب أن يذكر الخوف من ضده، وهو الشرك؛ ليحذَره المؤمن، ويخافه على نفسه.

الخَوْفِ: توقع مكروه، وهو ضد الأمن.

الشِّرْكِ: صرف شيء من العبادة لغير الله.

﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾؛ أي: لا يعفو عن عبد لقيَه وهو يعبد غيرَه.

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾: أي:يغفر ما دون الشرك من الذنوب.

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: لمن يشاء المغفرة له من عباده؛ حسب فضله وحكمته.

الخَلِيلُ: الذي بلغ أعلى درجات المحبة، والمراد به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي اتخذه الله خليلًا.

﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ ﴾: اجعلني وإياهم في جانب وحيِّز بعيد عن ذلك.

﴿ٱلۡأَصۡنَامَ﴾: جمع صنم، وهو ما كان منحوتًا على صورة البشر أو صورة أي حيوان.

المعنى الإجمالي للآية الأولى: أن الله -سبحانه- يخبر خبرًا مؤكدًا أنه لا يغفر لعبد لقيَه وهو مشرك به؛ ليحذّرنا من الشرك، وأنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء أن يغفر له؛ تفضلًا وإحسانًا؛ لئلا نقنط من رحمة الله.

المعنى الإجمالي للآية الثانية: أن إبراهيم الخليل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه عَزَّوَجَلَّ أن يجعله هو بنيه في جانب بعيد عن عبادة الأصنام، وأن يباعد بينه وبينها؛ لأن الفتنة بها عظيمة، ولا يأمن الوقوعَ فيها.

مناسبة الآيتين للباب: أن الآية الأولى تدل على أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن من مات عليه لا يُغفر له، وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب، الذي هذا شأنه، والآية الثانية تدل على أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خاف الشرك على نفسه، ودعا الله أن يعافيه منه، فما الظن بغيره، فالآيتان تدلان على وجوب الخوف من الشرك.

ما يستفاد من الآيتين:

١- أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه.

٢- أن ما عدا الشرك من الذنوب إذا لم يتب منه داخل تحت المشيئة -إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذب به-، ففي هذا دليل على خطورة الشرك.

٣- الخوف من الشرك؛ فإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -وهو إمام الحنفاء والذي كسّر الأصنام بيده -خافه على نفسه، فكيف بمن دونه؟!

٤- مشروعية الدعاء لدفع البلاء، وأنه لا غنى للإنسان عن ربه.

٥- مشروعية دعاء الإنساء لنفسه ولذريته.

٦- الرد على الجهال الذين يقولون: (لا يقع الشرك في هذه الأمة)، فأَمِنوا منه، فوقعوا فيه.

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ عليكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». فسُئِلَ عَنْهُ. فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»(١).

الشَّرْح

وَفِي الحَدِيثِ: أي: الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وابن أبي الدنيا والبيهقي.

«أَخْوَفُ ما أَخَافُ عليكُمُ»؛ أي: أشد خوفٍ أخافه عليكم.

«الرِّيَاءُ»: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها؛ فيحمدونه عليها.

المعنى الإجمالي للحديث: لكمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحمته بأمته ونصحه لهم بحيث لم يترك خيرًا إلا دلهم عليه، ولا شرًّا إلا حذّرهم منه، ومن الشر الذي حذّر منه الظهور بمظهر العبادة؛ لقصد تحصيل ثناء الناس؛ لأنه شركٌ في العبادة، وهو وإن كان شركًا أصغرَ، فخطره عظيم؛ لأنه يحبط العمل الذي قارنه.

ولما كانت النفوس مجبولة على محبة الرئاسة والمنزلة في قلوب الخلق، إلا من سلَّم الله، كان هذا أخوف ما يُخاف على الصالحين؛ لقوة الداعي إليه، بخلاف الداعي إلى الشرك الأكبر؛ فإنه إما معدوم في قلوب المؤمنين الكاملين، وإما ضعيف.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٣٣) من حديث محمود ابن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٥٣) من طريق محمود بن لبيد عن رافع بن خديج عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الخوف من الشرك الأصغر؛ كما أن في الآيتين قبله الخوف من الشرك الأكبر، والباب شاملٌ للنوعين.

ما يستفاد من الحديث:

١- شدة الخوف من الوقوع في الشرك الأصغر، وذلك من وجهين:

الأول: أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخوَّف من وقوعه تخوفًا شديدًا.

الثاني: أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخوَّف من وقوعه في الصالحين الكاملين، فمن دونهم من باب أولى.

٢- شدة شفقته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته وحرصه على هدايتهم ونصحه لهم.

٣- أن الشرك ينقسم إلى أكبر وأصغر -فالأكبر هو أن يسوِّي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، والأصغر هو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الأكبر-، والفرق بينهما:

* أن الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.
* أن الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يوجب الخلود في النار.
* أن الأكبر ينقل عن الملة، والأصغر لا ينقل عن الملة.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا، دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ الْبُخَارِي[١].

الشَّرْح

«**يَدْعُو**»: الدعاء هنا هو السؤال، يقال: دعاه، إذا سأله، أو استغاث به.

«**نِدًّا**»: الند: المثل والشبيه.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من جعل لله شبيهًا ومثيلًا في العبادة -يدعوه، ويسأله، ويستغيث به؛ نبيًا كان هذا الند، أو غيره-، واستمر على ذلك إلى الممات -أي: لم يتب منه قبل الممات-، فإن مصيره إلى النار؛ لأنه مشرك.

واتخاذ الند على نوعين:

الأول: أن يجعل لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها، فهذا شرك أكبر، صاحبه مخلد في النار.

الثاني: ما كان من الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: (ما شاء الله وشئت)، و(لولا الله وأنت)، ونحو ذلك مما فيه العطف بالواو على لفظ الجلالة، وكيسير الرياء، وهذا لا يوجب التخليد في النار، وإن دخلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧) وفيه: «**وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو لِلهِ نِدًّا دَخَلَ الجَنَّةَ**».
وأخرجه مسلم (١٥٠) (٩٢) بلفظ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ، وَقُلْتُ أَنَا: وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التخويف من الشرك ببيان عاقبة المشرك ومصيره.

ما يستفاد من الحديث:

١- التخويف من الشرك والحث على التوبة منه قبل الموت.

٢- أن كل من دعا مع الله نبيًّا أو وليًّا -حيًّا أو ميتًا، أو حجرًا أو شجرًا-، فقد جعله ندًّا لله.

٣- أن الشرك لا يُغفر إلا بالتوبة.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «من لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ»**[1].

الشَّرْح

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، صحابي جليل مكثر، ابن صحابي، مات بالمدينة بعد السبعين، وله أربع وتسعون سنة.

«من لَقِيَ اللهَ»: من مات.

«لَا يُشْرِكُ بِهِ»: لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية ولا في الربوبية.

«شَيئًا»؛ أي: شركًا قليلًا أو كثيرًا.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرنا أن من مات على التوحيد، فدخوله الجنة مقطوع به، فإن كان صاحب كبيرة، ومات مصرًا عليها، فهو تحت مشيئة الله، فإن عفا الله عنه، دخلها أولًا، وإلا عُذب في النار، ثم أخرج منها، وأُدخل في الجنة.

وأن من مات على الشرك الأكبر لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار، وإن كان شركًا أصغر، دخل النار -إن لم يكن معه حسنات راجحة-، لكن لا يخلد فيها.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥١) (٩٣).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التغليظ في النهي عن الشرك مما يوجب شدة الخوف منه.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب الخوف من الشرك؛ لأن النجاة من النار مشروطة بالسلامة من الشرك.

٢- أنه ليست العبرة بكثرة العمل، وإنما العبرة بالسلامة من الشرك.

٣- بيان معنى «لا إله إلا الله»، وأنه ترك الشرك وإفراد الله بالعبادة.

٤- قرب الجنة والنار من العبد، وأنه ليس بينه وبينهما إلا الموت.

٥- فضيلة من سلم من الشرك.

٤- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر في الأبواب السابقة التوحيدَ وفضله وما يوجب الخوف من ضده، ذكر في هذا الباب أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل المرسَلين وأتباعهم.

الدُّعَاءِ: أي: دعوة الناس.

إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: أي: إلى توحيد الله والإيمان به وبما جاءت به رسُلُه مما هو مدلول هذه الشهادة.

﴿ قُلْ ﴾: الخطاب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ هَٰذِهِۦ ﴾؛ أي: الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها.

﴿ سَبِيلِيٓ ﴾: طريقتي ودعوتي.

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى توحيد الله، لا إلى حظ من حظوظ الدنيا، ولا إلى رئاسة، ولا إلى حزبية.

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾: على علم بذلك وبرهان عقلي وشرعي، والبصيرة: المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾؛ أي: آمن بي وصدَّقني.

يحتمل أنه عطف على الضمير المرفوع في (أدعو)، فيكون المعنى: أنا أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة.

ويحتمل أن يكون عطفًا على الضمير المنفصل (أنا)، فيكون المعنى: أنا وأتباعي على بصيرة.

والتحقيق: أن العطف يتضمن المعنيين؛ فأتباعه هم أهل البصيرة الداعون إلى الله.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وأنزه الله وأقدِّسه عن أن يكون له شريك في ملكه، أو معبودٌ بحق سواه.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله رسولَه أن يخبر الناس عن طريقته وسنته أنها الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله على علم ويقين وبرهان، وكل من اتبعه يدعو إلى ما يدعو إليه على علم ويقين وبرهان، وأنه هو وأتباعُه ينزهون الله عن الشريك له في ملكه وعن الشريك له في عبادته، ويتبرأ ممن أشرك به، وإن كان أقرب قريب.

مناسبة الآية للباب: أن الله ذكر فيها طريقة الرسول وأتباعه، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله على علم بما يدعون إليه. ففيها وجوب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله الذي هو موضوع الباب.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله هي طريقة الرسول وأتباعه.

٢- أنه يجب على الداعية أن يكون عالمًا بما يدعو إليه، عالمًا بما ينهى عنه.

٣- التنبيه على الإخلاص في الدعوة؛ بأن لا يكون للداعية مقصد سوى وجه الله، لا يقصد بذلك تحصيل مال، أو رئاسة، أو مدح من الناس، أو دعوة إلى حزب أو مذهب.

٤- أن البصيرة فريضةٌ؛ لأن اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبٌ، ولا يتحقق اتباعُه إلا بالبصيرة، وهي العلم واليقين.

٥- حسن التوحيد؛ لأنه تنزيه لله تعالى.

٦- قبحُ الشرك؛ لأنه مسبةٌ لله تعالى.

٧- وجوب ابتعاد المسلم عن المشركين، لا يصير منهم في شيء؛ فلا يكفي أنه لا يشرك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إلى اليمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إله إِلَّا الله -وفي روايةٍ: «إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالى». فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ[١].

الشَّرْح

«**بَعَثَ مُعَاذًا**»: وجَّهه وأرسله.

«**إِلَى اليمَنِ**»: إلى الإقليم المعروف جنوب الجزيرة العربية؛ داعيًا إلى الله، وواليًا وقاضيًا، وذلك في سنة عشرٍ من الهجرة.

«**إلى اليمَنِ**»: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب.

«**شَهَادَةُ**»: يجوز فيها الرفع على أنه اسم (يكن) مؤخَّرًا، و(أول) خبرها مقدمٌ، ويجوز العكس.

وَفِي رِوَايةٍ: أي: في رواية أخرى في صحيح البخاري.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (٢٩) (١٩).

«أَطَاعُوا لِذَلِكَ»؛ أي: شهدوا، وانقادوا لدعوتك، وكفروا بما يُعبد من دون الله.

«افْتَرَضَ عَلَيهِمْ»: أوجب عليهم.

«أَطَاعُوا لِذَلِكَ»: آمنوا بفرضيَّتها، وأقاموها.

«إِيَّاكَ»: كلمة تحذير.

«وَكَرَائِمَ»: منصوبٌ على التحذير، جمع كريمة، وهي خيار المال ونفائسه.

«وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ»: احذرها، واجعل بينك وبينها وقاية بفعل العدل وترك الظلم.

«فَإِنَّهُ»؛ أي: الحال والشأن.

«لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»؛ أي: لا تحجب عن الله، بل ترفع إليه، فيقبلها.

أَخْرَجَاهُ: أي: أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وجه معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى إقليم اليمن داعيًا إلى الله ومعلمًا، رسم له الخطة التي يسير عليها في دعوته(١)، فبين له أنه سيواجه قومًا أهل علم وجدَل من اليهود والنصارى؛ ليكون على أهبةٍ لمناظرتهم ورد شبههم، ثم ليبدأ في دعوته بالأهم فالأهم، فيدعو الناس إلى إصلاح العقيدة أولًا؛ لأنها الأساس، فإذا انقادوا لذلك،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٥٤).

أمرهم بإقام الصلاة؛ لأنها أعظم الواجبات بعد التوحيد، فإذا أقاموها، أمر أغنياءهم بدفع زكاة أموالهم إلى فقرائهم؛ مواساة لهم، وشكرًا لله، ثم حذّره من أخذ جيد المال؛ لأن الواجب الوسط، ثم حثّه على العدل وترك الظلم؛ لئلا يدعو عليه المظلوم، ودعوتُه مستجابة.

مناسبة الحديث للباب: أن أول ما يُدعى إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفيه إرسال الدعاة لذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية إرسال الدعاة إلى الله.

٢- أن شهادة أن لا إله إلا الله أول واجب، وهي أول ما يدعى إليه الناس.

٣- أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: توحيدُ الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه.

٤- أنه لا يحكم بإسلام الكافر إلا بالنطق بالشهادتين.

٥- أن الإنسان قد يكون قارئًا، وهو لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، أو يعرفه، ولا يعمل به؛ كحال أهل الكتاب.

٦- أن مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**».

٧- التنبيه على أنه ينبغي للإنسان -خصوصًا الداعية- أن يكون على بصيرة من دينه؛ ليتخلص من شبهات المشبِّهين، وذلك بطلب العلم.

٨- أن الصلاة أعظم الواجبات بعد الشهادتين.

٩- أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة.

١٠- بيان مصرفٍ من مصارف الزكاة -وهم الفقراء-، وجواز الاقتصار عليه.

١١- أنه لا يجوز أخذ الزكاة من جيد المال إلا برضا صاحبه.

١٢- التحذير من الظلم، وأن دعوة المظلوم مستجابة، ولو كان عاصيًا.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «أَيْنَ علي بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إليهِ فَأْتُونِي بِهِ»، فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ علي: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1]. يَدُوكُونَ. أَي: يَخُوضُونَ[2].

الشَّرْح

سَهْلُ بْنِ سَعْدٍ: هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، صحابي شهير، مات سنة ٨٨هـ، وقد جاوز المائة.

وَلَهُمَا: أي: البخاري ومسلم في صحيحيهما.

«يَوْمَ خَيْبَرَ»: أي: يوم حصار خيبر سنة ٧هـ.

«الرَّايَةَ»: علم الجيش الذي يرجعون إليه عند الكر والفر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) انظر: لسان العرب (١٠/ ٤٣٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٨١)، وتاج العروس (٢٧/ ١٦٤).

«يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ»: إخبارٌ على وجه البشارة بحصول الفتح.

«لَيْلَتَهُمْ»: منصوب على الظرفية.

«أَيُّهُمْ»: برفع (أي) على البناء؛ لإضافتها وحذف صدرِ صلتها.

«علي بْنُ أَبِي طَالِبٍ»: هو ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج ابنته فاطمة، والخليفة الرابع، من أسبق السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة -رضي الله عنهم أجمعين-، قتل سنة ٤٠هـ.

«يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ»؛ أي: تؤلمانه من الرمد.

«فَبَرَأَ»: بفتح الباء على وزن (ضَرَبَ)، ويجوز كسرها على وزن (علِم)؛ أي: عوفي عافية كاملة.

«أَعْطَاهُ الرَّايَةَ»: دفعها إليه.

«انْفُذْ»؛ أي: امض لوجهك.

«على رِسْلِكَ»: على رِفْقِك من غير عجَلة.

«بِسَاحَتِهِمْ»: بفناء أرضهم وما قرُب من حصونهم.

«إلى الْإِسْلَامِ»: وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

«وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ»؛ أي: أنهم إن أجابوك إلى الإسلام الذي هو التوحيد، فأخبرهم بما يجب عليهم بعد ذلك من حق الله في الإسلام؛ من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك.

«لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ»: في تأويل مصدر مبتدأ خبرُه (خير).

«حُمْرُ النَّعَمِ»؛ أي: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي ﷺ بشّر الصحابة رضي الله عنهم بانتصار المسلمين على اليهود من الغد على يد رجل له فضيلةٌ عظيمة وموالاة لله ولرسوله، فاستشرف الصحابة لذلك، كلٌّ يود أن يكون هو ذلك الرجل من حرصهم على الخير، فلما ذهبوا على الموعد، طلب النبي ﷺ عليًّا، وصادف أنه لم يحضر لِما أصابه من مرض عينيه، ثم حضر، فتفل النبي ﷺ فيهما من ريقه المبارك، فزال ما يحس به من الألم زوالًا كاملًا، وسلَّمه قيادة الجيش، وأمره بالمضي على وجهه برفق حتى يقرب من حصن العدو، فيطلب منهم الدخول في الإسلام، فإن أجابوا، أخبرهم بما يجب على المسلم من فرائض، ثم بين ﷺ لعلي رضي الله عنه فضل الدعوة إلى الله، وأن الداعية إذا حصل على يديه هداية رجل واحد، فذلك خير له من أنفس الأموال الدنيوية، فكيف إذا حصل على يديه هداية أكثر من ذل؟!

مناسبة الحديث للباب: أن فيه مشروعية الدعوة إلى الإسلام، الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان فضل الدعوة إلى ذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضيلةٌ ظاهرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشهادةٌ من الرسول ﷺ له بموالاته لله ولرسوله وإيمانه ظاهرًا وباطنًا.

٢- إثبات أن الله يحب أولياءه محبة تليق بجلاله كسائر صفاته المقدسة الكريمة.

٣- حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير وتسابقهم إلى الأعمال الصالحة رضي الله عنهم.

٤- مشروعية الأدب عند القتال، وترك الطيش والأصوات المزعجة التي لا حاجة إليها.

٥- أمر الإمام عماله بالرفق واللين من غير ضعف ولا انتقاص عزيمة.

٦- وجوب الدعوة إلى الإسلام، لا سيما قبل قتال الكفار.

٧- أن من امتنع من قبول الدعوة من الكفار، وجب قتاله.

٨- أن الدعوة تكون بالتدريج، فيطلب من الكافر أولًا الدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين، ثم يُؤمر بفرائض الإسلام بعد ذلك.

٩- فضل الدعوة إلى الإسلام وما فيها من الخير للمدعو والداعي، فالمدعو قد يهتدي، والداعي يُثاب ثوابًا عظيمًا، والله أعلم.

١٠- دليلٌ من أدلة نبوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك ببشارته بالفتح قبل وقوعه، وبراءة الألم بريقه.

١١- الإيمان بالقضاء والقدر؛ لحصول الراية لمن لم يسْع إليها ومنْعها ممن سعى إليها.

١٢- أنه لا يكفي التسمي بالإسلام، بل لا بد من معرفة واجباته والقيام بها.

٥- بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب السابقة التوحيد وفضائله، والدعوة إليه، والخوف من ضده، الذي هو الشرك، بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب معناه؛ لأن بعض الناس يخطئ في فهم معناه، فيظن أن معناه الإقرار بتوحيد الربوبية فقط، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، وإنما المراد به: ما دلت عليه النصوص التي ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ طرفًا منها في هذا الباب؛ من أنه إفراد الله بالعبادة والخلوص من الشرك.

وعطَف شهادة أن لا إله إلا الله على التوحيد؛ ليبين أن معناهما واحدٌ، لا اختلاف فيه.

﴿يَدۡعُونَ﴾؛ أي: يدعونهم من دون الله، وهم الملائكة والأنبياء والصالحون وغيرهم، فالضمير الفاعل في ﴿يَدۡعُونَ﴾ راجعٌ إلى الكفار.

﴿يَبۡتَغُونَ﴾؛ أي: يطلبون، والضمير الفاعل فيه راجعٌ إلى المدعوين من الملائكة ونحوهم.

﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما يتقرب به إلى الله، فمعنى توسل إلى الله: عمل عملًا يقربه إليه.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾؛ أي: لا يرجون أحدًا سواه.

﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾؛ أي: لا يخافون أحدًا سواه.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخبر أن هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله -من الملائكة والأنبياء والصالحين- يبادرون إلى طلب القربة إلى الله، فيرجون رحمته، ويخافون عذابه، فإذا كانوا كذلك، كانوا جملة من العبيد، فكيف يُدعون مع الله تعالى، وهم مشغولون بأنفسهم يدعون الله ويتوسلون إليه بعبادته؟!

مناسبة الآية للباب: أنها تدل على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو ترك ما عليه المشركون؛ من دعوة الصالحين، والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر أو تحويله؛ لأن ذلك هو الشرك الأكبر.

ما يستفاد من الآية:

١- الرد على الذين يدعون الأولياء والصالحين في كشف الضر أو جلب النفع؛ بأن هؤلاء المدعوين لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يملكون ذلك لغيرهم.

٢- بيان شدة خوف الأنبياء والصالحين من الله، وبيان رجائهم لرحمته.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

الشَّرْح

﴿ بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾؛ أي: بريءٌ من جميع معبوداتكم.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾؛ أي: خلقني، وهو الله، فهو معبودي وحده.

المعنى الإجمالي للآية: أنه يخبر -سبحانه- عن عبده ورسوله وخليله أنه تبرَّأ من كل ما يعبد أبوه وقومه، ولم يستثن إلا الذي خلقه، وهو الله، فهو يعبده وحده لا شريك له.

مناسبة الآية للباب: أنها دلَّت على أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو البراءة من الشرك، وإفراد الله بالعبادة؛ فإن «لا إله إلا الله» تشتمل على النفي الذي عبَّر عنه الخليل بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾، والإثبات الذي عبَّر عنه بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾.

ما يستفاد من الآية:

١- أن معنى «لا إله إلا الله» توحيدُ الله بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه.

٢- إظهار البراءة من دين المشركين.

٣- مشروعية التبري من أعداء الله، ولو كانوا أقرب الناس.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١][(١)].

الشَّرْح

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾؛ أي: جعل اليهود النصارى.

﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾؛ أي: علماءهم.

﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾؛ أي: عبّادهم.

﴿أَرۡبَابٗا ﴾؛ أي: مشرِّعين لهم؛ يحلِّلون ويحرِّمون؛ لأن التشريع من خصائص الرب، فمن أطاع مخلوقًا فيه، فقد اتخذه ربًا.

﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾؛ أي: واتخذوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربًا بعبادتهم له.

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾؛ أي: تنزه الله تعالى وتقدّس عن الشركاء والنُّظراء.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر الله -سبحانه- عن اليهود والنصارى أنهم استنصحوا الرجال من العلماء والعباد، فأطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم

---

(١) فقد فسَّر هذه الآية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ**»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**». أخرجه الترمذي (٣٠٩٤).

ما أحله، فنزَّلوهم بذلك منزلة الرب، الذي من خصائصه التحليل والتحريم؛ كما عبد النصارى عيسى، وزعموا أنه ابنُ الله، فنبذوا كتاب الله الذي أمرهم فيه بطاعته وحده وعبادته وحده، وهذا إخبار منه -سبحانه- يتضمن إنكار ما فعلوه، ولذلك نزَّه نفسه عما يتضمنه هذا الفعل من الشرك به.

مناسبة الآية للباب: أنها دلت على أن من معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله إفرادَ الله بالطاعة في تحليل ما أحل وتحريم ما حرم، وأن من اتخذ شخصًا من دون الله يحلل ما أحل، ويحرم ما حرَّم، فهو مشرك.

ما يستفاد من الآية:

١- أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: طاعةَ الله في التحليل والتحريم.

٢- أن من أطاع مخلوقًا في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فقد اتخذه شريكًا لله.

٣- الرد على النصارى في اعتقادهم في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبيانُ أنه عبدُ الله.

٤- تنزيه الله عن الشرك.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

الشَّرْح

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: فريقٌ من الناس.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: غير الله.

﴿أَندَادًا ﴾؛ أي: أمثالًا ونظراء.

﴿يُحِبُّونَهُمْ ﴾: المحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرًا والرغبة فيه.

﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: يسوونهم به في المحبة المقتضية للذل للمحبوب والخضوع له.

﴿وَلَوْ يَرَى ﴾: لو يعلم.

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾: وقتما يعاينونه.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ ﴾: لأن القدرة والغلبة له وحده.

المعنى الإجمالي للآية: ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا لله أمثالًا ونظراءَ ساوُوهم به المحبة، ثم ذكر حال المؤمنين الموحدين؛ أنهم يحبون الله حبًّا يفوق حب أصحاب الأنداد لأندادهم، أو يفوق حب أصحاب الأنداد لله؛ لأن حب المؤمنين لله خالص، وحب أصحاب الأنداد لله مشترك.

ثم توعّد هؤلاء المشركين به بأنهم لو علموا ما يعاينون يوم القيامة، وما يحل بهم من الأمر الفظيع والعذاب الشديد على شركهم، وتفرُّد الله

-سبحانه- بالقدرة والغلبة دون أندادهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال، لكنهم لم يتصوروا ذلك ولم يؤمنوا به.

مناسبة الآية للباب: أنها من النصوص المبينة لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله؛ حيث دلّت على أن من اتخذ نِدًّا مع الله يحبه كمحبة الله، فقد أشرك، فعُلم أن معنى التوحيد أن يُفرد الرب بهذه المحبة التي تستلزم إخلاص العبادة له وحده، والذل والخضوع له وحده.

ما يستفاد من الآية:

١- أن من معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله إفرادَ الله تعالى بالمحبة المقتضية للذل والخضوع.

٢- أن المشركين يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ لأنهم أشركوا معه غيره فيها.

٣- أن الشرك ظلم.

٤- الوعيد للمشركين يوم القيامة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ.

الشَّرْح

فِي الصَّحِيحِ: أي صحيح مسلم.

«حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ»؛ أي مُنع أخذ ماله وقتله بناء على ما ظهر منه.

«وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ»؛ أي: الله تعالى هو الذي يتولى حسابَ من تلفَّظ بهذه الكلمة، فيجازيه على حسب نيته واعتقاده.

الترجمة: ترجمة الكتاب والباب فاتحتُه. والمراد بها هنا: قولُه: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

المعنى الإجمالي للحديث: يبين ﷺ في هذا الحديث أنه لا يحرُم قتلُ الإنسان وأخذُ ماله، إلا بمجموع أمرين:

الأول: قول لا إله إلا الله.

الثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله.

فإذا وُجد هذان الأمران، وجب الكفُّ عنه ظاهرًا، وتفويضُ باطنه إلى الله، فإن كان صادقًا في قلبه، جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا، عذّبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا، فالحكم على الظاهر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

مناسبة الحديث للباب: أنه من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله: وأنه الكفر بما يُعبد من دون الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن معنى: لا إله إلا الله هو الكفر بما يعبد من دون الله من الأصنام والقبور وغيرها.

٢- أن مجرد التلفظ بـ«لا إله إلا الله» مع عدم الكفر بما يُعبد من دون الله لا يحرِّم الدم والمال، ولو عرَف معناها وعمل به، ما لم يضف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله.

٣- أن من أتى بالتوحيد، والتزم شرائعه ظاهرًا، وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك.

٤- وجوب الكف عن الكافر إذا دخل شرائعه ظاهرًا، وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك.

٥- أن الإنسان قد يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يُعبد من دونه.

٦- أن الحكم في الدنيا على الظاهر، وأما في الآخرة، فعلى النيات والمقاصد.

٧- حرمة مال المسلم ودمه إلا بحق.

ومعنى قول المصنف: (وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ): أن ما يأتي بعد هذا الباب من الأبواب -في ما يبين التوحيد، ويوضح معنى «لا إله إلا الله»، وبيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما يجب تركه- من مضمون «لا إله إلا الله».

٦- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أنه يتضمن ذكر شيء مما يضاد التوحيد، وهو التماس رفع الضر أو دفعه من غير الله للتحذير منه، فإن التوحيد يُعرف بضده.

مِنَ الشِّرْكِ: (من) تبعيضية؛ أي: من الشرك الأكبر؛ إن اعتقد أن هذه الأشياء تنفع أو تضر بذاتها، أو من الشرك الأصغر؛ إن اعتقد أنها سببٌ للنفع والضر.

الحَلْقَةِ: كل شيء مستدير.

وَنَحْوِهِمَا: من كل ما يُلبس أو يُعلَّق لهذا الغرض.

لِرَفْعِ الْبَلَاءِ: إزالته بعد نزوله.

دَفْعِهِ: منعه قبل نزوله.

﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: أخبروني.

﴿مَّا تَدْعُونَ﴾: تسألونه جلب الخير ودفع الضر.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: غيره من الأنداد والآلهة.

﴿بِضُرٍّ﴾: بمرضٍ أو فقرٍ أو بلاءٍ أو شدة.

﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؛ أي: لا تقدر على ذلك.

﴿بِرَحْمَةٍ﴾؛ أي: بصحة وعافية وخير وكشف بلاء.

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الله كافيني وكافي من توكل عليه.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يسأل المشركين سؤالَ إنكار عن أصنامهم التي يعبدونها مع الله: هل تقدرُ على النفع والضر؟ فلا بد أن يعترفوا بعجزِها عن ذلك، فإذا كان كذلك، بطلت عبادتُها من دون الله.

مناسبة الآية للباب: أن فيها دليلًا على بطلان الشرك. ولبس الحلقة والخيط من ذلك؛ لا يكشف الضر ولا يمنع منه.

ما يستفاد من الآية:

١- بطلان الشرك؛ لأن كل ما يعبد من دون الله لا يملك ضرًّا ولا نفعًا لعابده.

٢- التحذير من لبس الحلقة والخيط وغيرها لجلب النفع أو دفع الضر؛ لأنه شرك من جنس ما يراد من الأصنام.

٣- مشروعية مناظرة المشركين لإبطال الشرك.

٤- وجوب الاعتماد على الله وحده وتفويض الأمور كلها إليه.

عِنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَو مِتَّ وَهِيَ عَلَيكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسٍ بِهِ[1].

الشَّرْح

عِمْرَان: هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، صحابيٌّ ابن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة ٥٢هـ بالبصرة.

«مَا هَذِهِ؟»: استفهام إنكار.

«الْوَاهِنَةِ»: نوعٌ من المرض يصيب اليد.

«انْزِعْهَا»: اطرحها، والنزعُ هو الجذب بقوة.

«وَهْنًا»: ضعفًا.

«ما أَفْلَحْتَ»: الفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر لنا عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقفًا من مواقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في محاربة الشرك وتخليص الناس منه، ذلك الموقفُ: أنه أبصر رجلًا لابسًا حلقة مصنوعة من الصفر، فسأله عن الحامل له على لبسها، فأجاب الرجل أنه لبسها لتعصِمه من الألم، فأمر بالمبادرة بطرحها، وأخبره أنها لا تنفعه، بل تضره، وأنها تزيد الداء الذي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٤٩)، والطبراني في الكبير (٤١٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

لبست من أجله، وأعظم من ذلك لو استمرت عليه إلى الوفاة، حُرم الفلاح في الآخرة أيضًا.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على المنع من لبس الحلقة لدفع البلاء؛ لأن ذلك من الشرك المنافي للفلاح.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن لبس الحلقة وغيرها للاعتصام بها من الأمراض من الشرك.

٢- النهي عن التداوي بالحرام.

٣- إنكار المنكر وتعليم الجاهل.

٤- ضرر الشرك في الدنيا والآخرة.

٥- استفصال المفتي واعتبار المقاصد.

٦- أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر.

٧- أن الشرك لا يُعذر فيه بالجهل.

٨- التغليظ في الإنكار على من فعل شيئًا من الشرك؛ لأجل التنفير منه.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»**(١)**. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»**(٢).

الشَّرْح

عُقْبَة بْنِ عَامِرٍ: هو عقبة بن عامر الجهني، صحابي مشهور، وكان فقيهًا فاضلًا، وَلِيَ إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

وَلَهُ: أي: وروى الإمام أحمد.

«تَعَلَّقَ تَمِيمَةً»؛ أي: علَّقها عليه أو على غيره معتقدًا بها.

والتميمة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتَّقون بها العين.

«فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ»: دعاءٌ عليه بأن لا يتم الله أموره.

«وَدَعَةً»: الودعة شيءٌ يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين.

«فَلَا وَدَعَ اللهُ لَـهُ»؛ أي: لا جعله في دعة وسكون، أو لا خفَّف الله عنه ما يخافه.

وَفِي رِوَايَةٍ: أي: وروى الإمام أحمد من حديث آخر.

المعنى الإجمالي للحديثين: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو على من استعمل التمائم يعتقد فيها دفع الضرر بأن يعكس الله قصده، ولا يتم

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٩٥)، وابن حبان (١٣/ ٤٥٠).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

له أموره؛ كما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو على من استعمل الودع لنفس القصد السابق؛ أن لا يتركه الله في راحة واطمئنان، بل يحرك عليه كل مؤذٍ، وهذا الدعاء يقصد منه التحذير من الفعل؛ كما أنه يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الثاني أن هذا العمل شرك بالله.

مناسبة الحديثين للباب: أن فيهما دلالة على تحريم تعليق التمائم والودَع واعتباره شركًا؛ لما يقوم بقلب المعلِّق لها من الاعتماد على غير الله.

ما يستفاد من الحديثين:

١- تعليق التمائم والودع من الشرك.

٢- أن من اعتمد على غير الله، عامله الله بنقيض قصدِه.

٣- الدعاء على من علَّق التمائم والودَع بما يفوت عليه مقصوده، ويعكس عليه مراده.

وَلابْنِ أَبِي حَاتمٍ عَنْ حُذَيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أنه رَأَى رَجُلًا في يدهِ خَيطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلا قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]»(١).

الشَّرْح

وَلابْنِ أَبِي حَاتمٍ: أي: وروى ابن أبي حاتم؛ صاحب كتاب الجرح والتعديل.

عَنْ حُذَيفةَ: هو ابن اليمان العبسي حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين الأولين، مات سنة ٣٦هـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

«مِنَ الحُمَّى»؛ أي: للوقاية من الحمى، فلا تصيبه بزعمه.

«وَتَلا»؛ أي: قرأ الآية مستدلًا بها على إنكار ما رأى.

معنى الأثر إجمالًا: أن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أبصر رجلًا قد ربط في عضده خيطًا يتقي به مرض الحمى، فأزاله عنه منكرًا فعله هذا، واستدل بالآية التي أخبر الله فيها أن المشركين يجمعون بين الإقرار بتوحيد الربوبية والشرك في العبادة.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه اعتبار لبس الخيط لدفع المرض شركًا يجب إنكاره.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨).

ما يستفاد من الأثر:

١- إنكار لبس الخيط لرفع البلاء أو دفعه، وأنه شرك.

٢- وجوب إزالة المنكر لمن يقدر على إزالته.

٣- صحة الاستدلال بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ لشموله له.

٤- أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، ومع هذا هم مشركون؛ لأنهم لم يخلصوا في العبادة.

٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِم

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أو قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»(١).

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه استمرارٌ في ذكر الأشياء التي تخل بعقيدة التوحيد من الرقى والتمائم الشركية.

مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِم: أي: من النهي عما لا يجوز منها.

فِي الصَّحِيحِ: أي: في الصحيحين.

عَنْ أَبِي بَشِيرٍ: هو صحابيٌّ شهد غزوة الخندق، ومات بعد الستين.

«قِلَادَةٌ»: ما يعلَّق في رقبة البعير وغيره.

«وَتَرٍ»: واحد أوتار القوس.

«أو قِلَادَةٌ»: شكٌّ من الراوي هل القلادة مقيدة بكونها من وتر، أو مطلقة؛ من الوتر وغيره.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث في بعض أسفاره من ينادي في الناس بإزالة القلائد التي في رقاب الإبل، التي يُراد بها دفع العين ودفع الآفات؛ لأن ذلك من الشرك الذي تجب إزالته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

مناسبة الحديث للباب: من حيثُ إنه يدل على أن تقليد الإبل ونحوِها الأوتارَ وما في معناها لدفع الآفات حرامٌ وشرك؛ لأنه من تعليق التمائم المحرمة.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن تعليق الأوتار لدفع الآفات في حكم التمائم في التحريم.

٢- إزالة المنكر.

٣- تبليغ الناس ما يصون عقيدتهم.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ(١).

الشَّرْح

سيأتي شرح المفردات في كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أن استعمال هذه الأشياء لقصد دفع المضار وجلب المصالح من عند غير الله شركٌ بالله؛ لأنه لا يملك دفع الضر وجلب الخير إلا الله سبحانه، وهذا الخبر معناه النهيُ عن هذا الفعل.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيانَ أن استعمال هذه الأشياء المذكورة شركٌ يخل بالتوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على صيانة العقيدة عما يخل بها، وإن كان يتعاطاه كثيرٌ من الناس.

٢- تحريم استعمال هذه الأشياء المذكورة فيه.

٣- أن هذه الثلاث المذكورة شركٌ من غير استثناء.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٧٦)، وابن حبان (٧/ ٣٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤١٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالرُّقَى: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنَ الْعَيْنِ، وَالْحُمَّةِ.**

وَالتِّوَلَةُ: هِيَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

الشَّرْح

يُعَلِّقُونَهُ عَلَى الْأَوْلَادِ: أي: بأعناق الصبيان.

مِنَ الْعَيْنِ: أي: لدفع الإصابة بالعين.

الْعَزَائِم: جمع عزيمة، قيل: هي آياتٌ من القرآن تقرأُ على ذوي العاهات، أو تقرأُ في ماءٍ، ويُسقاه المريض، أو تكتب في صحن ونحوه، وتمحى الكتابة بماء ونحوه، ويسقاه المريض.

وَخَصَّ مِنْهَا: أي: أخرج من عمومها.

الدَّلِيلُ: وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»؛ كما سبق في: (بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ: أي: الاستعانة بغير الله؛ بأن كانت بأسماء الله وصفاته وآياته والمأثورُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحاصل ما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حكم هذه الأشياء المذكورة ما يلي:

١- أن الرقية تنقسم إلى قسمين: قسم مشروع وقسم ممنوع: فالمشروع: ما خلا من الشرك، والممنوع: ما كان فيه شرك.

٢- أن التمائم تنقسم إلى قسمين:

قسم ممنوع بالإجماع: وهو ما كان يشتمل على شرك، وقسم مختلف فيه: وهو ما كان من القرآن. قيل: إنه جائز، وقيل: إنه ممنوع، والصحيح أنه ممنوع؛ سدًّا للذريعة وصيانة للقرآن.

٣- التولة ممنوعة من غير خلافٍ؛ لأنها نوع من السحر.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إليهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ[(١)].

الشَّرْح

عَبْد اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ: ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي، أدرك زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يُعرف أنه سمع منه.

مَرْفُوعًا: أي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا»: أي: التفت قلبُه إلى شيءٍ يعتقد أنه ينفعه، أو يدفع عنه.

«وُكِلَ إليهِ»: أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلَّقَه من دونه وخذله.

المعنى الإجمالي للحديث: هذا حديثٌ وجيز اللفظ عظيم الفائدة، يخبر فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من التفت بقلبه أو فعله، أو بهما جميعًا إلى شيء يرجو منه النفع أو دفع الضر، وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلَّقه، فمن تعلَّق بالله، كفاه ويسَّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره، وكله الله إلى ذلك الغير، وخذله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي والتحذير من التعلُّق بغير الله في جلب المنافع ودفع المضار.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٥).

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن التعلق بغير الله.

٢- وجوب التعلق بالله في جميع الأمور.

٣- بيان مضرة الشرك وسوء عاقبته.

٤- أن الجزاء من جنس العمل.

٥- أن نتيجة العمل ترجع إلى العامل خيرًا أو شرًّا.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ، أو عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بَرِيءٌ مِنْهُ»[١].

الشَّرْح

رُوَيْفِع: هو رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن الحارث من بني مالك بن النجار الأنصاري، وَلِيَ برقة وطرابلس، فافتتح إفريقية سنة ٤٧، وتوفي ببرقة سنة ٥٦هـ.

«عَقَدَ لِحْيَتَهُ»: قيل: معناه ما يفعلونه في الحروب من فتلِها وعقدها تكبُّرًا. وقيل: معناه معالجة الشعر؛ ليتعقَّد ويتجعَّد على وجه التأنُّث والتنعم. وقيل: المراد عقدُها في الصلاة أو كفها.

«تَقَلَّدَ وَتَرًا»: جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته من أجل الوقاية من العين.

«اسْتَنْجَى»؛ أي أزال النجوَ -وهو العذرة- عن المخرج.

«بِرَجِيعِ دَابَّةٍ»: الرجيع: الروث. سُمِّي رجيعًا؛ لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان علَفًا.

«بَرِيءٌ مِنْهُ»: هذا وعيد شديد في حق من فعل ذلك.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ﷺ أن هذا الصحابي سيطول عمرُه حتى يدرك أناسًا يخالفون هديه ﷺ في اللحى -الذي هو

(١) أخرجه أبو داود (٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ١٠٨، ١٠٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤١٤).

توفيرُها وإكرامُها- إلى العبث بها على وجهٍ يتشبهون فيه بالأعاجم أو بأهل الترف والميوعة. أو يُخِلُّون بعقيدة التوحيد باستعمال الوسائل الشركية، فيلبسون القلائد، أو يُلبسونها دوابَّهم؛ يستدفعون بها المحذور. أو يرتكبون ما نهى عنه نبيهم من الاستجمار بروث الدواب والعظام. فأوصى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبه أن يبلغ الأمة أن نبيها يتبرأ ممن يفعل شيئًا من ذلك.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن تقليد الأوتار لدفع المحذورات، وأنه شرك؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- عَلَم من أعلام النبوة؛ فإن رويفعًا طالت حياته إلى سنة ٥٦هـ.

٢- وجوب إخبار الناس بما أُمِروا به ونُهوا عنه مما يجب فعله أو تركه.

٣- مشروعية إكرام اللحية وإعفائها، وتحريم العبث بها بحلق، أو قص، أو عقد، أو تجعيد، أو غير ذلك.

٤- تحريم اتخاذ القلادة لدفع المحذور، وأنه شرك.

٥- تحريم الاستنجاء بالروث والعظم.

٦- أن هذه الجرائم المذكورة من الكبائر.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ». رَوَاهُ وَكِيعٌ[١].

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»[٢].

الشَّرْح

وَكِيعٌ: هو: وكيع بن الجراح، ثقة إمامٌ، صاحب تصانيفَ، مات سنة ١٩٧هـ.

إِبْرَاهِيم: هو الإمام إبراهيم النخعي، ثقة من كبار الفقهاء، مات سنة ٩٦هـ.

«كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»؛ أي: كان له مثل ثواب من أعتق رقبة.

وَلَهُ: أي: وروى وكيع أيضًا.

«كَانُوا»؛ أي: أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم من سادات التابعين.

معنى الأثرين إجمالًا: الإخبار أن من أزال عن إنسان ما يعلِّقه على نفسه لدفع الآفات، فله من الثواب مثل ثواب من أعتق رقبة من الرق؛ لأن هذا الإنسان صار بتعليق التمائم مستعبدًا للشيطان، فإذا قطعها عنه، أزال عنه رِقَّ الشيطان.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٥) من طريق حفص عن ليث عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٤).

ويحكي إبراهيم النخعي عن بعض سادات التابعين أنهم يعمِّمون المنع من تعليق التمائم، ولو كانت مكتوبًا فيها قرآنٌ فقط؛ سدًّا للذريعة.

مناسبة الأثرين للباب ظاهرة: فإن فيهما حكاية المنع من تعليق التمائم مطلقًا عن هؤلاء الأجلاء من سادات التابعين.

ما يستفاد من الأثرين:

١- فضل قطع التمائم؛ لأن ذلك من إزالة المنكر وتخليص الناس من الشرك.

٢- تحريم تعليق التمائم مطلقًا -ولو كانت من القرآن- عند جماعة من التابعين.

٣- حرص السلف على صيانة العقيدة عن الخرافات.

٨- بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ نَحْوِهِمَا

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه استمرارٌ في ذكر الشركيات المنافية للتوحيد، أو كماله.

تَبَرَّكَ: التبرك: طلب البركة ورجاؤها واعتقادُها.

وَنَحْوِهِمَا: ما أشبههما من بقعة، أو مغارة، أو قبر، أو مشهد، أو أثر.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: أخبِروني عن هذه الأصنام: هل نفعت أو ضرَّت؟!

﴿ٱللَّٰتَ﴾: قُرِئَ بتخفيف التاء، وقُرِئَ بتشديدها، فعلى القراءة الأولى هي: اسم صخرةٍ بيضاء منقوشة عليها بيتٌ بالطائف[1].

وعلى القراءة الثانية: هي اسم فاعلٍ من لتَّ[2]؛ كما في الحديث: «**كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الْحَاجِّ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ**»[3].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧)، وجامع البيان في القراءات السبع (٤/ ١٦١١-١٦١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾: شجرةُ سمرٍ قد بني حولها، وجعل لها أستارٌ بين مكة والطائف[١].

﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾: صنمٌ بالمشلل بين مكة والمدينة[٢].

﴿ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾: ذمٌّ لها بالتأخر؛ أي: المتأخرة الوضيعة المقدار.

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ ﴾: تجعلون لكم ما تحبُّون وهو الذكر؟!

﴿ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾: تجعلون له الإناث؛ حيثُ تقولون: (الملائكة بنات الله)؟!

﴿ ضِيزَىٰٓ ﴾: جورٌ وباطل.

﴿ إِلَّآ أَسْمَآءٌ ﴾: مجرّد تسمية.

﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾: من تلقاء أنفسكم.

﴿ مِن سُلْطَٰنٍ ﴾؛ أي: من حجة وبرهان على ألوهيتها.

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ ﴾: ما يتبعون أي: ليس لهم مستند.

﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾؛ أي: حسن ظنِّهم بآبائهم.

﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾: حظوظ أنفسِهم في الرئاسة.

﴿ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾: إرسالُ الرسل بالحجة الواضحة والحق المنير.

المعنى الإجماليّ للآيات: يحاجُّ -تعالى- المشركين في عبادتهم ما لا يعقِل من هذه الأوثان الثلاثة ماذا أجدتهم؟! ويوبخهم على جَورهم في القسمة؛ حيث نزَّهوا أنفسهم عن الإناث، وجعلوها لله!

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٤٩).
(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٦١٣).

ثم يطالبهم بالبرهان على صحة عبادة هذه الأصنام، ويبين أن الظن ورغبة النفوس لا يكونان حجةً على هذا المطلب، وإنما الحجة في ذلك ما جاءت به الرسلُ من البراهين الواضحة والحججِ القاطعة على وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.

مناسبة الآيات للباب: أن فيها تحريم التبرك بالأشجار والأحجار واعتباره شركًا، فإن عُبَّاد هذه الأصنام المذكورة إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها. فالتبرك بالقبور كالتبرك باللات. وبالأشجار والأحجار كالتبرك بالعزى ومناة.

ما يستفاد من الآيات:

١- أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك.

٢- مشروعية مجادلة المشركين لإبطال الشرك وتقرير التوحيد.

٣- أن الحكم لا يثبُت إلا بدليل مما أنزل الله، لا بمجرد الظن وهوى النفس.

٤- أن الله قد أقام الحجة بما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب.

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ويَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لها: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قال: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فقال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بيده كما قالت بنو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِرْمذيُّ وَصَحَّحَهُ(١).

الشَّرْح

أبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيّ: هو الحارث بن عوفٍ، صحابيٌّ مشهور، مات سنة ٦٨هـ، وله ٨٥ سنة.

«حُنَيْن»: وادٍ يقع شرقي مكة، بينه وبينها بضعةُ عشر ميلًا، قاتل فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيلة هوازِن.

«حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»: قريبٌ عهدنا بالكفر.

«يَعْكُفُونَ»: يقيمون عندها، ويعظِّمونها، ويتبركون بها.

«يَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُمْ»: يعلِّقونها عليها للبركة.

«أَنْوَاط»: جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يناط بها من السلاح؛ لأجل التبرك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، و وأحمد في المسند (٥/ ٢١٨). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

«اجْعَلْ لنا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»: سألوه أن يجعل لهم مثلها.

«اللهُ أَكْبَرُ»: أجلُّ وأعظم، صيغة تعجب.

«السُّنَنُ»: بضمِّ السين: الطرق أي: سلكتم كما سلك من قبلكم الطرق المذمومة.

«إِسْرَائِيلَ»: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -عليهم الصلاة والسلام.

«سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: بضم السين طرُقهم، ويجوز فتح السين بمعنى طريقِهم.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر أبو واقد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن واقعةٍ فيها عجبٌ وموعظة، وهي أنهم غزوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيلة هوازن، وكان دخولهم في الإسلام قريبًا، فخفي عليهم أمر الشرك، فلما رأوا ما يصنع المشركون من التبرك بالشجرة، طلبوا من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل لهم شجرة مثلَها، فكبَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنكارًا وتعظيمًا لله، وتعجُّبًا من هذه المقالة، وأخبر أن هذه المقالة تشبه مقالة قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ له، لما رأوا من يعبد الأصنام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وأن هذا جريانٌ على طريقتهم.

ثم أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الأمة ستتبع طريقة اليهود والنصارى، وتسلك مناهجَهم، وتفعل أفعالهم، وهو خبرٌ معناه الذم والتحذير من هذا الفعل.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على أن التبرك بالأشجار وغيرها شركٌ وتأليه مع الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن التبرك بالأشجار شركٌ، ومثلها الأحجار وغيرها.

٢- أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده لا يُؤمَن أن يكون في قلبِه بقيةٌ من تلك العادة.

٣- أن سبب عبادة الأصنام هو تعظيمُها والعكوفُ عندها والتبرك بها.

٤- أن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه إلى الله، وهو يبعده عنه.

٥- أنه ينبغي للمسلم أن يسبح ويكبر إذا سمع ما لا ينبغي أن يقال في الدين وعند التعجب.

٦- الإخبار عن وقوع الشرك في هذه الأمة، وقد وقع.

٧- عَلَم من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ وقع الشرك في هذه الأمة كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨- النهيُ عن التشبه بأهل الجاهلية واليهود والنصارى، إلا ما دلّ الدليل على أنه من ديننا.

٩- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سمُّوها ذات أنواط.

٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن فيه بيانًا لنوع من أنواع الشرك المضاد للتوحيد.

مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ: أي: من الوعيد، وفي بيان حكمه.

﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي.

﴿وَمَحْيَايَ﴾: ما آتيه في حياتي.

﴿وَمَمَاتِي﴾: ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ أي: أمرني ربي بالإخلاص في العبادة.

﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: أول من يمتثل من هذه الأمة.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله نبيه أن يقول للمشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره: (إني أخلص لله صلاتي وذبحي وما أحيا وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، أصرف كل ذلك له وحدَه، لاأشرك به أحدًا؛ عكْس ما أنتم عليه من الشرك به).

مناسبة الآية للباب: أنها تدل على أن الذبح لغير الله شرك.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الذبح لغير الله شركٌ أكبر؛ لأنه قَرَنه بالصلاة، فكما أن من صلى لغير الله، فقد أشرك، فكذلك من ذبح لغيره، فقد أشرك.

٢- أن الصلاة والذبح من أعظم العبادات.

٣- وجوب الإخلاص لله في جميع العبادات.

٤- أن العبادات توقيفية -أي: متوقفة على أمر الشارع-؛ لقوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

الشَّرْح

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾؛ أي: لا لغيره.

﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: اذبح.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخلص له في صلاته وذبيحته؛ مخالفًا للمشركين الذين يعبدون غيرَ الله، وينحرون للأوثان.

مناسبة الآية للباب: أن الذبح عبادة يجب إخلاصها لله، وصرفها لغيره شرك أكبر.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الذبح لغير الله شرك أكبر؛ لأنه عبادة، وصرف العبادة لغير الله شركٌ أكبر.

٢- أن الصلاة والذبحَ من أعظم العبادات.

٣- أن الصلاة والذبح لله من أعظم مظاهر شكر النعم، فإنه أتى بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سببٌ للقيام بشكر ما أعطاه من الكوثر.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

الشَّرْح

«لَعَنَ اللهُ»: اللعنة من الله: الطرد والإبعاد[٢]، ومن المخلوقين السبُّ والدعاء.

«ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»: من الأصنام، أو الأولياء والصالحين، أو الجن، أو غير ذلك.

«لَعَنَ وَالِدَيْهِ»: المراد بهما أبوه وأمه -وإن علوا-، سواءٌ باشر لعنهما، أو تسبب فيه بأن يلعن والدَي شخصٍ، فيرد عليه بالمثل.

«آوَى»؛ أي: ضمَّ وحمى.

«مُحْدِثًا»: بكسر الدال الجاني، وبفتحها هو الأمر المبتدع في الدين، وإيواؤه: الرضا به.

«غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»: منارُ الأرض هي المراسيم التي تفرِّق بين ملكك وملك جارك، وتغييرها يكون بتقديمها أو تأخيرها.

المعنى الإجمالي للحديث: يحذِّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من أربع جرائم، فيخبر أن الله تعالى يطرد من رحمته من ارتكب واحدةً منها:

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٥٥)، ومقاييس اللغة (٥٥/ ٢٥٣).

الأولى: التقرب بالذبح إلى غير الله؛ لأنه صرفٌ للعبادة إلى غير مستحقِّها.

الثانية: من دعا على والديه باللعنة، أو سبَّهما، أو تسبب في ذلك بأن يصدرَ منه ذلك في حق أبوي شخص، فيردُّ عليه ذلك الشخص بالمثل.

الثالثة: من حمى جانيًا مستحقًّا للحد الشرعي، فمنعه من أن يقام عليه الحد، أو رضي ببدعة في الدين وأقرّها.

الرابعة: من تصرّف في مراسيم الأرض التي تفرز الحقوق، فقدّمها، أو أخرها عن مكانها، فينشأ عن ذلك اقتطاع شيءٍ من أرض غيره ظلمًا.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على غلظ تحريم الذبح لغير الله؛ حيث إن فاعله يستحق لعنة الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الذبح لغير الله محرمٌ شديد التحريم وشركٌ في مقدمة الكبائر.

٢- أن الذبح عبادةٌ يجب صرفها لله وحده.

٣- تحريم لعن الوالدين وسبِّهما مباشرة أو تسببًا.

٤- تحريم مناصرة المجرمين وحمايتهم من تطبيق الحد الشرعي عليهم، وتحريم الرضا بالبدع.

٥- تحريم التصرف في حدود الأرض بتقديم أو تأخير.

٦- جواز لعن أنواع الفُساق لأجل الزجر عن المعاصي.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، قَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ. قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَو ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيْلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ[١].

الشَّرح

طَارِق بْن شِهَابٍ: هو طارق بن شهاب البجلي الأحمسي، رأى النبي ﷺ، ولم يسمع منه. فحديثه مرسل، صحابيٌّ. مات طارقٌ سنة ٨٣هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**فِي ذُبَابٍ**»؛ أي: بسبب ذباب.

«**صَنَمٌ**»: ما كان منحوتًا على صورة.

«**لَا يَجُوزُهُ**»: لا يمرُّ به ولا يتعداه.

«**يُقَرِّبَ**»: يذبح.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي ﷺ عن خطورة الشرك وشناعته، فيحّث أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويبدأ حديثه ببداية تجعل النفوس تستغرب، وتتطلع إلى سياق الحديث: «**دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص١٥) من طريق سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موقوفًا عليه.

رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»؛ شيء يسير سبّب أمرًا خطيرًا، وأوجب السؤال عن تفصيله، وهنا يفصل، فيقول: إن رجلين -يظهر أنهما من بني إسرائيل- أرادا العبور عن مكان يحل في ساحته صنم، يفرض على من أراد تجاوزه أن يذبح له؛ تقربًا إليه، وتعظيمًا له، فطلب عبّاد ذلك الصنم من الرجلين التمشي على هذا النظام الشركي، فأما أحدهما، فاعتذر بالعدم، فقنعوا منه بأيسر شيء؛ لأن مقصودهم حصول الموافقة على الشرك، فذبح للصنم ذبابًا، فتركوه يمرّ، فدخل بسبب فعله هذا نار جهنم؛ لأنه فعل الشرك، ووافقهم عليه، وطلبوا من الآخر أن يقرّب للصنم، فاعتذر بأن هذا شرك، ولا يمكن أن يفعله، فقتلوه، فدخل الجنة؛ لامتناعه من الشرك.

مناسبة الحديث للباب: أنه دل على أن الذبح عبادة، وأن صرفه لغير الله شرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- بيان خطورة الشرك، ولو في شيء قليل.

٢- أن الشرك يوجب دخول النار، وأن التوحيد يوجب دخول الجنة.

٣- أن الإنسان قد يقع في الشرك، وهو لا يدري أنه الشرك الذي يوجب النار.

٤- التحذير من الذنوب، وإن كانت صغيرة في الحسبان.

٥- أن هذا الرجل دخل النار بسببٍ لم يقصدْه ابتداءً، وإنما فعله تخلُّصًا من شر أهل الصنم.

٦- أن المسلم إذا فعل الشرك، أبطل إسلامه، ودخل النار؛ لأن هذا الرجل كان مسلمًا، وإلا لم يقل: «**وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ**».

٧- أن المعتبر عمل القلب، وإن صغر عمل الجوارح، وقل.

٨- أن الذبح عبادة، وصرفه لغير الله شركٌ أكبر.

٩- فضل التوحيد وعظيم ثمرته.

١٠- فضيلة الصبر على الحق.

١٠- بَابُ لا يُذْبَحُ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه تابعٌ للباب الذي قبله؛ لأن الذي قبله فيه بيان حكم الذبح لغير الله، وهذا الباب فيه منع الوسيلة الموصلة إلى ذلك، ومنع التشبه بأهله.

يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ: أي: أُعد لذلك، وقصد لأجله.

﴿ لَا تَقُمْ ﴾؛ أي: لا تصلِّ في مسجد الضرار.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾: بني.

﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: على طاعة الله ورسوله.

﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾: الذين يتطهرون من الأنجاس الحسية والمعنوية.

المعنى الإجمالي للآية: ينهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، الذي بناه المنافقون مضارة لمسجد قباء وكفرًا بالله ورسوله، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه؛ ليتخذوا من ذلك حجة يبررون بها عملهم، ويسترون بها باطلهم، فوعدهم ﷺ أن يفعل ما طلبوا، ولم يعلم قصدهم السيء، فنهاه الله عن ذلك، وحثه على

الصلاة في مسجد قباء، الذي بُني على طاعة الله ورسوله، أو في مسجده ﷺ -على اختلافٍ بين المفسرين في ذلك[١]-، ثم أثنى على أهل ذلك المسجد بتطهّرهم من الشرك والنجاسات، والله يحب مَن هذه صفته.

مناسبة الآية للباب: هي قياس الأمكنة المعدة للذبح لغير الله على المسجد الذي أُعد لمعصية الله في منع عبادة الله فيه، فكما أن هذا المسجد لا تجوز الصلاة فيه لله، فكذلك هذا الموضع الذي أُعد للذبح فيه لغير الله لا يجوز الذبح فيه له -سبحانه.

ما يستفاد من الآيات:

١- منع الذبح لله في المواضع المعدة للذبح لغيره؛ قياسًا على منع الصلاة في المسجد المؤسس على معصية الله.

٢- استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتنزهين عن ملابسة القاذورات.

٣- إثبات المحبة لله على الوجه اللائق به -سبحانه- كسائر صفاته.

٤- الحث على إسباغ الوضوء والتطهر من النجاسات.

٥- أن النية تؤثر في البقاع.

٦- مشروعية سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١١/ ٦٨١-٦٨٧)، وزاد المسير (٢/ ٢٩٨)، والقرطبي (٨/ ٢٥٩)، وابن كثير (٤/ ٢١٢).

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَذَرَ رَجُلٌ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِما[1].

الشَّرْح

ثَابِت بْن الضَّحَاكِ: هو ثابت بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عديّ الأشهليّ الخزرجيّ الأنصاريّ، صحابيّ مشهورٌ، مات سنة ٦٤هـ.

«نَذَرَ»: النذر لغة: الإيجاب، وشرعًا: هو أن يلزم الإنسان نفسه بشيء من العبادات لم يكن لازمًا عليه شرعًا[2].

«بُوَانَةَ»: هضبةٌ من وراء ينبع.

«وَثَنٌ»: الوثن: كل ما عُبد من دون الله من قبر وغيره[3].

«عِيدٌ»: العيد: اسمٌ لما يعود من الاجتماع على وجهٍ معتادٍ[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

(٢) انظر: مادة: (نذر) في لسان العرب (٥/ ٢٠٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ٩١٢)، وانظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٢٧)، وروضة الطالبين (٣/ ٢٩٣).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٤٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٦/ ٨٥)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠١٢)، وتاج العروس (٣٦/ ٢٣٩).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٩٠).

عَلَى شَرْطِهِمَا: أي: ينطبق عليه شرط البخاري ومسلم، الذي هو اتصال السند بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر الراوي أن رجلًا التزم لربه أن ينحر إبلًا في موضع معين على وجه الطاعة والقربة، وجاء ليسأل النبي ﷺ عن التنفيذ، فاستفصل النبي ﷺ عن ذلك المكان: هل سبق أن وُجد فيه شيءٌ من معبودات المشركين، أو سبق أن المشركين يعظمونه، ويجتمعون فيه؟ فلما علم ﷺ بخلوّ هذا المكان من تلك المحاذير، أفتى بتنفيذ النذر، ثم بين ﷺ النذر الذي لا يجوز الوفاء به، وهو ما كان المنذور فيه معصية لله، أو لا يدخل تحت ملك الناذر.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه المنع من الذبح لله في المكان الذي كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية، أو فيه عيدٌ من أعيادهم -ولو بعد زواله.

ما يستفاد من الحديث:

١- المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان الذي عُين له وثنٌ -ولو بعد زواله.

٢- المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيدِ الجاهلية -ولو بعد زواله.

٣- استفصال المفتي من المستفتي قبل الفتوى.

٤- سد الذريعة المفضية إلى الشرك.

٥- ترك مشابهة المشركين في عبادتهم وأعيادهم -وإن كان لا يُقصد ذلك.

٦- أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون، أو يتخذونه محلًا لعيدهم معصية.

٧- أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

٨- أن النذر الذي لا يملكه الناذِر -كأن قال: لله عليَّ أن أعتق عبد فلان- لا وفاء له.

٩- وجوب الوفاء بالنذر الخالي من المعصية الداخل تحت ملك الناذر.

١٠- أن النذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله.

١١- بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧]، وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين فيه نوعًا من أنواع الشرك المنافي للتوحيد، وهو النذر لغير الله؛ ليُحذر ويُجتنب.

مِنَ الشِّرْكِ: أي: الأكبر.

النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ: لأنه عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

والنذر: مصدر نذر ينذُر، أوجب على نفسه شيئًا لم يكن واجبًا عليه شرعًا؛ تعظيمًا للمنذور له. وأصله في اللغة: الإيجاب[1].

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾: يتممون ما أوجبوا على أنفسهم من الطاعات لله.

﴿وَمَآ﴾: شرطيةٌ، ويجوز أن تكون موصولة.

﴿أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: يشمل كل نذر مقبول وغير مقبول.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾؛ أي: فيجازيكم عليه، ففيه معنى الوعد والوعيد.

---

(١) انظر: (ص١١٤).

المعنى الإجمالي للآيتين: أن الله يمدح الذين يتعبدون له بما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات.

كما أنه يخبر -سبحانه- أنه يعلم كل صدقة تصدقنا بها وكل عبادة التزمناها له أو لغيره، وسيجازي كلًا على حسب نيته وقصده.

مناسبة الآيتين للباب: أنهما لا يدلان على أن النذر عبادةٌ؛ حيث مدح الموفين به، وهو لا يمدح إلا على فعل مأمور أو ترك محظور.

كما أنه أخبر أنه يعلم ما يصدر منا من نفقات ونذور، وسيجازينا على ذلك، فدلَّ ذلك على أن النذر عبادةٌ، وما كان عبادةً فصرفُه لغير الله شرك.

ما يستفاد من الآيتين:

١- أن النذر عبادة، فيكون صرفه لغير الله شركًا أكبر.

٢- إثبات علم الله تعالى بكل شيء.

٣- إثبات الجزاء على الأعمال.

٤- الحث على الوفاء بالنذر.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»**(١).

الشَّرْح

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هي أم المؤمنين زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي أفقه النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ففي تفضيلها عليها خلافٌ، توفيت سنة ٥٧هـ.

فِي الصَّحِيحِ: أي: صحيح البخاري.

«**فَلْيُطِعْهُ**»: أي: ليفعل ما نذره من طاعته.

«**فَلَا يَعْصِهِ**»: أي: فلا يفعل ما نذره من المعصية.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر من صدر منه نذرُ طاعةٍ أن يوفي بنذره؛ كمن نذر صلاةً أو صدقة أو غير ذلك، وينهى من صدر منه نذر معصية عن تنفيذ نذره؛ كمن نذر الذبح لغير الله، أو الصلاة عند القبور، أو السفر لزيارتها، أو غير ذلك من المعاصي.

مناسبة الحديث للباب: أنه دل على أن النذر يكون طاعةً، ويكون معصيةً، فدلّ على أنه عبادة؛ فمن نذر لغير الله، فقد أشرك به في عبادته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

ما يستفاد من الحديث:

١- أن النذر عبادة، فصرفه لغير الله شرك.

٢- وجوب الوفاء بنذر الطاعة.

٣- تحريم الوفاء بنذر المعصية.

١٢- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن فيه بيانَ نوعٍ من أنواع الشرك المنافي للتوحيد -وهو الاستعاذة بغير الله-؛ ليُحذر ويُجتنب.

الاستعاذة: لغة: الالتجاء والاعتصام والتحرّز. وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه[(١)].

﴿يَعُوذُونَ﴾: بأن يقولَ أحدهم إذا أمسى بوادٍ وخاف من الجن: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من سفهاء قومه[(٢)].

﴿رَهَقًا﴾: خوفًا أو إثمًا.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله -سبحانه- يخبر أن بعض الإنس يلجؤون إلى بعض الجن لتأمنهم مما يخافون، وأن الملتجأ بهم زادوا الملتجئين خوفًا بدل أن يؤمنوهم، وهذا معاملةٌ لهم بنقيض قصدهم وعقوبة من الله لهم.

---

(١) انظر مادة (عوذ) في: العين (٢/ ٣٢٩)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٨٩)، وتهذيب اللغة (٣/ ٩٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٨٤). وانظر: تفسير الطبري (١/ ١٠٩)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٨)، وابن كثير (١/ ١١٤)، والقرطبي (١/ ٨٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٩).

مناسبة الآية للباب: أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا به، ذكروا أشياءً من الشرك كانت تجري من الإنس في الجاهلية من جملة الاستعاذة بغير الله، وذلك من باب الاستنكار لها.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الاستعاذة بغير الله شرك؛ لأن مؤمني الجن قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:٢]، ثم ذكروا بعد ذلك على وجه الاستنكار: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:٦].

٢- عموم رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للثقلين.

٣- أن الاستعاذة بغير الله تورث الخوف والضعف.

٤- يفهم من الآية أن الاستعاذة بالله تورث قوة وأمنًا.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

الشَّرْح

خَوْلَة بِنْت حَكِيمٍ: هي بنت حكيم بن أمية السلمية، كانت زوجةً لعثمان ابن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت صالحة فاضلة.

«بِكَلِمَاتِ اللهِ»: المراد بها هنا القرآن.

«التَّامَّاتِ»: الكاملات التي لا يلحقُها نقصٌ ولا عيبٌ.

«مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»؛ أي: من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره.

المعنى الإجمالي للحديث: يرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى الاستعاذة النافعة التي يندفع بها كل محذور يخافه الإنسان عندما ينزل بقعة من الأرض؛ بأن يستعيذ بكلام الله الشافي الكافي الكامل من كلِّ عيبٍ ونقصٍ؛ ليأمن في منزله ذلك ما دام مقيمًا فيه من كل غائلة سوء.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه إرشادًا إلى الاستعاذة النافعة المشروعة بدلًا من الاستعاذة الشركية، التي كان يستعملها المشركون.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

ما يستفاد من الحديث:

١- بيان أن الاستعاذة عبادة.

٢- أن الاستعاذة المشروعة هي ما كانت بالله أو بأسماء الله وصفاته.

٣- أن كلام الله غيرُ مخلوق؛ لأن الله شرع الاستعاذة به، والاستعاذة بالمخلوق شركٌ -كما سبق-، فدلّ على أنه غير مخلوق.

٤- فضيلةُ هذا الدعاء مع اختصاره.

٥- أن نواصي المخلوقات بيد الله.

١٣- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أنه ذكر فيه نوعًا من أنواع الشرك المنافي للتوحيد، وهو أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيرَه.

أَنْ يَسْتَغِيثَ: الاستغاثة: طلبُ الغوث، وهو إزالة الشدة.

أَوْ يَدْعُوَ: الفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب(١)، وأما الدعاء، فيكون من المكروب وغيره.

﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾: إن عبدته.

﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن لم تعبده.

---

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٢): (الغواث بالفتح كالغياث بالكسر من الإغاثة الإعانة وقد أغاثه يغيثه، وقد رُوي بالضم والكسر، وهما أكثر ما يجيء في الأصوات؛ كالنباح والنداء، والفتح فيها شاذ)، وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٥٧): (واستغاثتهم أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخلص من المكروه)، وقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٧): (ومعلوم أن الاستغاثة إنها تكون بعد الذعر فالذعر شرط فيها). وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٠).

﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾؛ أي: دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك.

﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: من المشركين؛ فإن الشرك أعظم الظلم.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ﴾؛ أي: إن يصِبْك.

﴿بِضُرّٖ﴾: بفقر، أو مرض، أو غير ذلك من أنواع الضر.

﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: لا رافع.

﴿فَلَا رَآدَّ﴾: لا دافع.

المعنى الإجمالي للآية: ينهى الله نبيه أن يدعو أحدًا من سائر المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر، ثم يبين له حكمه لو فُرض أن دعا غير الله، بأنه يكون حينئذ من المشركين، وهذا النهي عام لجميع الأمة.

فيخبر تعالى أنه المتفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، دون غيره ممن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عن أن يملكها لغيره.

مناسبة الآية للباب: أن فيها النهي عن دعاء غير الله، وأنه شركٌ ينافي التوحيد.

وفيها بيان استحقاق الله للعبادة بالدعاء ونحوه، وأن دعاء غيره شركٌ؛ لأنه لا ينفع، ولا يضر.

ما يستفاد من الآية:

١- أن دعاء غير الله شركٌ أكبر.

٢- أن أصلح الناس لو دعا غير الله، صار من الظالمين -أي: المشركين-، فكيف بغير؟!

٣- بيان عجزِ آلهة المشركين وبطلان عبادتها.

٤- وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد الألوهية؛ لتفرده بتوحيد الربوبية.

٥- بطلان دعاء غير الله؛ لعجزه عن نفع من دعاه ودفع الضر عنه.

٦- إثبات المشيئة لله -سبحانه.

٧- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله -سبحانه- على ما يليق بجلاله.

وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[العنكبوت:١٧].

الشَّرْح

﴿فَٱبْتَغُواْ﴾: اطلبوا.

﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾: أخلصوا له العبادة. وهو من عطف العام على الخاص؛ فإن ابتغاء الرزق عند الله من العبادة.

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾: اعترفوا بنعمته، وافعلوا ما يجب من طاعته، واتركوا معصيته.

﴿إِلَيْهِ﴾: لا إلى غيره.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر الله -سبحانه- بطلب الرزق منه وحده، لا من الأصنام والأوثان، وإفرادِه بالعبادة، والاعتراف بنعمه التي أسداها على عباده، وصرْفِها في طاعته، والابتعاد عن معصيته.

ثم يخبر أن المصير إليه، فيجازي كل عاملٍ بعمله؛ فيجب على العبد أن يحسب لذلك حسابَه.

مناسبة الآية للباب: أن فيها وجوب إفراد الله بالدعاء والعبادة، والرد على المشركين الذين يعبدون غيره.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب دعاء الله وحده وطلب الرزق منه.

٢- وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادة.

٣- وجوب شكر الله على نعمه.

٤- إثبات البعث والجزاء.

٥- أنه لا تنافي بين طلب الرزق والاكتساب وعبادة الله، وأن الإسلام فيه خير الدين والدنيا.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

الشَّرْح

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾؛ أي: لا أحد أشد ضلالًا.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: غير الله.

﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾: لا يقدر على إجابته بإعطائه ما طلب منه.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: المدعوون.

﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾؛ أي: دعاء من دعاهم من المشركين.

﴿غَٰفِلُونَ ﴾: لا يشعرون بدعاء من دعاهم؛ لأنهم إما أموات، أو جمادٌ، أو ملائكةٌ مشغولون بما خُلقوا له.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ ﴾: جُمعوا يوم القيامة.

﴿كَانُوا﴾؛ أي: الآلهة التي يدعونها من دون الله.

﴿لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾؛ أي: يتبرؤون ممن دعاهم ويعادونهم.

﴿كَٰفِرِينَ ﴾: جاحدين لعبادة من عبدهم.

المعنى الإجمالي للآيتين: أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن دعا غير الله من المخلوقين ممن لا يقدر على إجابة دعوته في الدنيا، ولا يشعر بدعاء من دعاه، وإذا قامت القيامة، وجُمع الناس، عادى من دعاه، وتبرأ منه، فليس

هذا المشركُ إلا في نكد في الدارين، لا يحصل على إجابةٍ في الدنيا، وتجحد عبادته في الآخرة أحوج ما يكون إليها.

مناسبة الآيتين للباب: أن فيهما الحكمَ على من دعا غيرَ الله بأنه أضل الضالين، وأن الدعاء عبادةٌ، فمن صرفه لغير الله، فهو مشرك.

ما يستفاد من الآيتين:

١- أن الدعاء عبادةٌ، فمن دعا غير الله، فقد أشرك الشرك الأكبر.

٢- بيان شقاوة من يدعو غير الله في الدنيا والآخرة.

٣- أن الشرك هو أعظم الضلال.

٤- إثبات البعث والحشر والجزاء.

٥- أن الأوثان لا تسمع من دعاها، ولا تستجيب له، عكس ما يتصور المشركون فيها.

٦- أن عبادة الله وحده فيها خير الدنيا والآخرة.

وَقَوْلِهِ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

الشَّرْح

﴿ أَمَّن ﴾؛ أي: من هو؟

﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾: المكروب الذي مسّه الضر.

﴿ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾: الإضافة بمعنى (في)؛ أي: يخلف كلُّ قرنٍ القرنَ الذي قبله في الأرض.

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: سواه يفعل هذه الأشياء بكُم، وينعم عليكم هذه النعم.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾؛ أي: تذكرون تذكرًا قليلًا في عظمة الله ونعمه عليكم، فلذلك أشركتم به غيره في عبادته.

المعنى الإجمالي للآية: يحتج -تعالى- على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من دونه بما قد علموه، وأقروا به؛ من إجابة الله لهم عندما يدعونه في حال الشدة، وكشفه السوء النازل بهم، وجعْلِهم خلفاء في الأرض بعد أمواتهم، فإذا كانت آلهتهم لا تفعل شيئًا من هذه الأمور، فكيف بمن يعبدونها مع الله؟! ولكنهم لا يتذكرون نعم الله عليهم، إلا تذكرًا قليلًا، لا يورث خشية الله، ولذلك وقعوا في الشرك.

مناسبة الآية للباب: أن فيها بطلان الاستغاثة بغير الله؛ لأنه لا يجيب المضطر، ويكشف السوء النازل، ويحيي ويميت سواه.

ما يستفاد من الآية:

١- بطلان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢- أن المشركين مقرّون بتوحيد الربوبية، ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام.

٣- الاستدلال على توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية.

٤- الاحتجاج على المشركين بما أقرّوا به على ما جحدوه.

وَرَوَى الطبراني بِإِسْنَادِهِ: «أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهم: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(١).

الشَّرْح

الطبراني: هو الحافظ الإمام: سليمان بن أحمد، صاحب المعاجم الثلاثة.

بِإِسْنَادِهِ: إلى عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«مُنَافِقٌ»: هو عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين. والنفاق هنا: إظهار الإسلام، وإخفاء الكفر.

«نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: نطلب منه كفَّ هذا المنافق عن الأذى.

«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي»: كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعمل هذا اللفظ في حقِّه تأدبًا مع الله.

المعنى الإجمالي للحديث: لما قوِيَ الإسلام كان هناك صنفٌ من الكفار رأوا الدخولَ في الإسلام ظاهرًا، والبقاء على الكفر باطنًا، سُمُّوا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، في مسند عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من القسم المفقود من المعجم. وذكره الخطابي في الغنية عن الكلام وأهله (ص٥، ٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

بالمنافقين، وكان يصدر منهم من الأقوال والأفعال ما يضايق المسلمين، ومن ذلك ما حصل من هذا الرجل، حتى طلب بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كفه وزجره. والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقدر على ذلك، لكن لما كانت الصيغة التي تقدَّموا بها إليه فيها إساءة أدب مع الله تعالى -ما ينبغي أن تقال-، استنكرها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ تعليمًا للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وسدًا لذريعة الشرك، وحمايةً للتوحيد.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه إنكارَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الاستغاثة بغير الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- أنه لا يستغاث بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وغيرُه من باب أولى.

٢- الإرشاد إلى حسن اللفظ وحماية التوحيد.

٣- سدّ الطرق المفضية إلى الشرك.

٤- مشروعية الصبر على الأذى في الله.

٥- ذمّ النفاق.

٦- تحريم أذية المؤمنين؛ لأنها من فعل المنافقين.

١٤- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين فيه الأدلة على بطلان الشرك وبيان حال المدعوين من دون الله، وفي ذلك تقريرٌ للتوحيد بالبراهين القاطعة.

﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾: استفهام إنكار وتوبيخ على من يشرك في العبادة مع الله.

﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾؛ أي: مخلوقات لا تقدر على الخلق، وليس فيها ما تستحق به العبادة.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾؛ أي: وهؤلاء المعبودون مخلوقون محدثون، والمخلوق لا يكون شريكا للخالق.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾؛ أي: وهؤلاء المعبودون لا يقدرون على نصر عابديهم.

﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾؛ أي: ولا يقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم من أراد بهم ضرًّا، فكيف يدفعونه عن غيرهم؟!

المعنى الإجمالي للآية: يوبخ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشركين بأنهم يعبدون معه معبودات لا تخلِق شيئًا، وليس فيها ما تستحق العبادة به، ولا تدفع الضر

عمن دعاها، بل ولا تدفعه عن أنفسها، وإذا كانت هذه حالتهم، بطلت دعوتهم؛ لأن المخلوق لا يكون شريكًا للخالق، والعاجز لا يكون شريكًا للقادر الذي لا يعجزه شيءٌ.

ما يستفاد من الآية:

١- بطلان الشرك من أساسه؛ لأنه تعلق على مخلوق عاجز.

٢- أن الخالق هو المستحق للعبادة.

٣- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

٤- مشروعية محاجة المشركين لنصر الحق وقمع الباطل.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

الشَّرح

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: الذين تدعونهم غير الله: من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها.

﴿قِطْمِيرٍ﴾: القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمر[1].

﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾: لأنهم أموات، أو ملائكة مشغولون بما خلقوا له.

﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: لا يقدرون على ما تطلبون منهم.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: ينكرونه، ويتبرؤون ممن أشرك بهم مع الله.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾: يخبرك بعواقب الأمور ومآلها.

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: عالمٌ بها وهو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه -من الملائكة، والأنبياء، والأصنام، وغيرها- بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الشروط التي لا بد أن تكون في المدعو، وهي: ملك ما طُلب منه، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته. فمتى عُدم شرطٌ، بطُل أن يكون مدعوًّا، فكيف إذا عُدمت كلها؟!

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٥٦)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٨/ ٥٥٥٢)، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب (١/ ٢٥٨).

مناسبة الآية للباب: أن فيها البرهان القاطع على بطلان الشرك والرد على المشركين.

ما يستفاد من الآية:

١- بطلان الشرك بالدليل القاطع والبرهان الواضح.

٢- بيان الشروط التي يجب توافرها في المدعو المستغاث به، وهي:

(أ) ملكه لما طُلب منه.

(ب) سماعه لدعاء من دعاه.

(جـ) القدرة على إجابته.

٣- أن العقيدة مبناها على البرهان واليقين، لا على الظن والتخرص والتقليد الأعمى.

٤- إثبات علم الله بعواقب الأمور.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **يوم أُحُدٍ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ. فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟» فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾** [آل عمران:١٢٨](١).

الشَّرْح

فِي الصَّحِيحِ: أي: في الصحيحين.

«**شُجَّ**»: الشجة: الجرح في الرأس والوجه خاصة.

«**أُحُدٍ**»: جبل معروف شمالي المدينة، كانت عنده الوقعة المشهورة، فنُسبت إليه.

الرباعية: هي السن التي بعد الثنية. والإنسان له أربع رباعيات.

«**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟**»: أي: كيف يحصل لهم الفوزُ والظفرُ والسعادة مع فعلهم هذا بنبيهم؟!

﴿ **مِنَ ٱلْأَمْرِ** ﴾: من الحكم في العباد.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر أنسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عما حصل للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وقعة أحد من الابتلاء والامتحان على أيدي أعدائه -من الإصابة في موضعين من جسده الشريف-، فكأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لحقه يأسٌ من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران:١٢٨]؛ أي: عواقبُ الأمور وحكم العباد بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودُم على دعوتك.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (ص٧٣٧) كتاب المغازي، باب: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، ومسلم موصولًا (١٧٩١).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على بطلان الشرك بالأولياء والصالحين؛ لأنه إذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدفع عن نفسه الضر، وليس له من الأمر شيءٌ، فغيره من باب أولى.

ما يستفاد من الحديث:

١- بطلان الشرك بالأولياء والصالحين؛ لأنه إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك من الأمر شيئًا، فغيره من باب أولى.

٢- وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

٣- وجوب إخلاص العبادة لله؛ لأنه هو الذي له الأمر وحده.

٤- مشروعية الصبر وتحمل الأذى والضرر في سبيل الدعوة إلى الله.

٥- النهي عن اليأس من رحمة الله، ولو فعل الإنسان ما فعل من المعاصي التي هي دون الشرك.

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»(٢).

الشَّرْح

ابْنِ عُمَرَ: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صحابي جليل من عبّاد الصحابة وعلمائهم، مات سنة ٧٣هـ.

وَفِيهِ: أي: في الصحيح، والمراد به صحيح البخاري.

«أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ أي: بعدما شُج وكسرت رباعيّته يوم أحد.

«اللَّهُمَّ الْعَنْ»؛ أي: اطرد وأبعد من رحمتك.

«فُلَانًا وَفُلَانًا»: منهم صفوان بن أمية، وسُهيل بن عمرو، والحارثُ بن هشام.

«سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»: أجاب الله من حمده وتقبّله؛ لأنه قد عُدِّي باللام.

الحمد: ضد الذم، ويكون على محاسن المحمود مع المحبة له(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٠، ٤٠٦٩، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦).

(٢) أخرجها البخاري (٤٠٧٠)، والترمذي (٣٠٠٤)، وأحمد (٢/ ٩٣).

(٣) انظر: مادة (حمد) في: العين (٣/ ١٨٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥١)، ومقاييس اللغة =

«يَدْعُو على صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»: لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، وقد تاب الله عليهم، فأسلموا، وحسن إسلامهم.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في الصلاة على أشخاص معينين من الكفار آذوه يوم أحد، فعاتبه الله بقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وتاب الله عليهم، فآمنوا بالله ورسوله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقدر أن يدفع أذى المشركين عن نفسه ولا عن أصحابه، بل لجأ إلى ربه القادر المالك، مما يدل على بطلان ما يعتقده عبّاد القبور في الأولياء والصالحين.

ما يستفاد من الحديث:

١- بطلان التعلق بالأولياء والصالحين لطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات.
٢- جواز الدعاء على المشركين في الصلاة.
٣- دليلٌ على أن تسمية الشخص المدعو له أو عليه لا يضر الصلاة.
٤- التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد.

❀❀❀

=(٢/ ١٠٠)، ولسان العرب (٣/ ١٥٥). وانظر الكلام على الحمد في: تفسير ابن جرير (١/ ١٣٥)، وزاد المسير (١/ ١٧)، والمفردات للراغب (ص٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠١)، وبدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٦).

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»(١).

الشَّرْح

أبو هُرَيْرَةَ: قيل: الصحيح أن اسمه عبد الرحمن بن صخر، دوسيّ من فضلاء الصحابة وحفّاظهم وعلمائهم. روى أكثر من خمسة آلاف حديث، توفي سنة سبع أو ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين للهجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِيهِ: أي في صحيح البخاري.

«قَامَ»؛ أي: صعد على الصفا.

﴿عَشِيرَتَكَ﴾: عشيرةُ الرجل هم بنو أبيه الأدنون، أو قبيلته.

﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: الأقرب فالأقرب منهم.

«يَا مَعْشَرَ»: المعشرُ: الجماعة.

«أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»: بنصبِ «كلمةٍ» عطفٌ على ما قبله؛ أي: أو قال كلمةً نحوها، شكٌّ من الراوي.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣، ٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦).

«اشْتَرُوا أَنْفَسَكُمْ»؛ أي: خلِّصوها من العذاب بتوحيد الله وطاعته، ولا تعتمدوا على شرف النسب.

«لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»: لا أدفع عنكم عذاب الله؛ رفعٌ لما قد يتوهم أنه يغني عنهم من الله شيئًا بشفاعته.

عباسُ، وصفيةُ، وفاطمةُ: بالرفع على البناء، ويجوز النصب بالنداء.

وابنَ، وعمةَ، وبنتَ: بالنصب لا غير؛ بدلًا من المنادي، أو عطف بيان.

«سَلِينِي مِنْ مَالِي»: لأن هذا هو الذي يقدر عليه، وما كان من أمر الله، فلا قدرة له عليه.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمّا صنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أمره الله في كتابه الكريم أن ينذر قرابته؛ أنه قام ممتثلًا أمر ربه، فنادى قريشًا ببطونها، ونادى عمه وعمته وبنته، فأنذرهم نذارة خاصة، وأمرهم أن يخلِّصوا أنفسهم من عذاب الله بتوحيده وطاعته، وبلغهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا إذا لم يؤمنوا، فمجرد قربهم منه غير نافع لهم بدون إيمان.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه أنه لا يجوز أن يطلب من الرسول ولا من غيره من باب أولى، إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز أن يُطلب إلا من الله، ففيه الرد على عبّاد القبور الذين يستغيثون بالأموات لتفريج الكربات وقضاء الحاجات.

ما يستفاد من الحديث:

١- الرد على عبّاد الأنبياء والصالحين الذين يتعلقون بالمخلوقين في قضاء حوائجهم التي لا يقدر عليها إلا الله.

٢- أنه لا يجوز أن يطلب من العبد إلا ما يقدر عليه.

٣- مسارعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى امتثال أمر ربه وتبليغ رسالته.

٤- أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح، لاالاعتماد على مجرد الانتساب للأشخاص.

٥- إن أولى الناس برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل طاعته ومتابعته من قرابته وغيرهم.

٦- أن مجرد القرابة من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينفع بدون إيمان وعمل صالح وعقيدة صحيحة.

١٥- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن فيه بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله، فإذا كان حالهم مع الله ما ذُكر من هيبتهم منه وخشيتهم له، فكيف يُدعَون مع الله؟! فغيرهم من باب أولى.

ففي ذلك ردٌّ على جميع المشركين الذين يدعون مع الله من لا يُداني الملائكة.

﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾: أُزيل الفزع عن قلوب الملائكة من الغشية التي تصيبهم عند سماع كلام الله بالوحي إلى جبريل.

﴿ قَالُوا۟ ﴾، أي: قال بعضهم لبعضٍ استبشارًا: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ:٢٣].

﴿ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾، أي: قال الله الحق.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾: الذي له علوُّ القدر، وعلوُّ القهر، وعلوُّ الذات.

﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾، أي: الذي لا أكبر ولا أعظم منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر الله -سبحانه- عن الملائكة أنها إذا سمعت الوحي من الله إلى جبريل، فزِعت عند ذلك تعظيمًا وهيبةً، وأرعدت حتى

يصيبها مثل الغشيِّ، فإذا أُزيل الفزع من قلوبهم، أخذوا يتساءلون، فيقولون: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾؟ فيقولون: قال الحق، وهو العالي فوق كل شيء، الذي لا أكبر منه ولا أعظم.

ما يستفاد من الآية:

١- الرد على جميع فرق المشركين الذين يعبدون مع الله من لا يُداني الملائكة، ولا يساويهم في صفة من صفاتهم.

٢- إثبات الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما يليق بجلاله.

٣- أن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير مخلوق؛ لأنهم يقولون: ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾؟ لم يقولوا: ماذا خلق ربكم؟

٤- إثبات العلوّ لله -سبحانه- فوق مخلوقاته.

٥- إثبات عظمة الله.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إذا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِى السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ -وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؛ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِى سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).

الشَّرْح

سفيان: هو ابن عُيَينة بن ميمون الهلاليّ ثقةٌ حافظٌ حجةٌ من كبار الأئمة، مات سنة ١٩٨هـ.

فِي الصَّحِيحِ: أي في صحيح البخاري.

«إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ»؛ أي إذا تكلم به.

«خَضَعَانًا»: بفتحتين من الخضوع. وروي بضم أوله وسكون ثانيه أي خاضعين.

«لِقَوْلِهِ»؛ أي: لقول الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١).

«كَأَنَّهُ»؛ أي: الصوت المسموع.

«صَفْوَانٍ»: هو الحجر الأملس.

«يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ»؛ أي: يخلص هذا القول، ويمضي في الملائكة.

«فَيَسْمَعُهَا»؛ أي: الكلمة التي قضاها الله.

«مُسْتَرِقُ السَّمْعِ»: المختطف لكلام الملائكة من الشياطين.

وَصَفَهُ: أي: وصف ركوب الشياطين بعضهم فوق بعض حتى يصلوا إلى حيث يسمعون تحدّث الملائكة بالأمر يقضيه الله.

«فَحَرَّفَهَا»: أمالها.

«وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»؛ أي فرّق بينها.

«السَّاحِر»: الذي يتعاطى السحر: وهو عبارة عما خفي ولطُف سببه من عمل العُقَد والرّقى وغيرها(١).

«والْكَاهِن»: هو الذي يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار.

«أَدْرَكَه الشِّهَابُ»؛ أي أدرك المسترق الشهاب: وهو الذي يُرمى به قبل إلقائها فيحرقه.

«فَيَكْذِبُ»؛ أي الساحر أو الكاهن.

«مَعَهَا»؛ أي: الكلمة التي ألقاها.

---

(١) انظر: مادة (سحر) في: تهذيب اللغة (٤/ ١٧٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٣٤٨)، والتعاريف (ص١٩١).

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن تعظيم الملائكة لكلام الله، وما يعتريهم من الخوف، وتساؤلهم عما قال ربهم، وإجابة بعضهم لبعض، وما تعلمه الشياطين الذين يختطفون كلامَ الملائكة في ذلك لتُلقيه إلى السحرة والكهان من الناس، وما تلاقيه الشياطين من الرمي بالشهب حينئذ، وأنه قد يتمكن الشيطان من إيصال الكلمة المسموعة من الملائكة إلى الساحر أو الكاهن -لحكمة يعلمها الله، وإلا فهو سبحانه لا يفوته شيء-، فيُزاد مع تلك الكلمة من قِبل الشيطان أو الآدمي تسعٌ وتسعون كذبة، وتُذاع كلها في الناس، فيصدِّقونها كلها بسبب تلك الكلمة المسموعة.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الرد على المشركين؛ فإنه إذا كان هذا حال الملائكة عند سماع كلام الله مع ما أعطاهم الله من القوة، عُلم أنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لهم، فكيف بمن دونهم.

ما يستفاد من الحديث:

١- الرد على المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين.

٢- تعظيم الله -سبحانه-، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٣- إثبات علو الله على خلقه، وإثبات تكلمه بكلام يُسمع.

٤- إبطال السحر والكهانة، وإن صدُق الكاهن والساحر في بعض الأحيان.

٥- أن العبرة بالغالب الكثير، لا بالنادر القليل.

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بالأمرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتْ السَّمَاوَات مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ رَعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ، خَوْفًا مِنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْل السَّمَاوَات صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلهِ سُجَّدًا، فَيَكُون أَوَّل مَنْ يَرْفَع رَأْسَهُ جِبْرِيل، فَيُكَلِّمهُ اللهُ مِنْ وَحْيه بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَة، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُول جِبْرِيلُ: قَالَ: ﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]. قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلّهمْ مِثْل مَا قَالَ جِبْرِيلُ. فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إلى حَيْثُ أَمَرَهُ الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

الشَّرْح

النَّوَّاس: هو النواس بن سِمعان -بكسر السين- ابن خالد الكلابي، صحابيٌّ جليلٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

«الْوَحْي»؛ أي: كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه.

«أَخَذَتْ السَّمَاوَات»؛ أي: أصاب السماوات.

«رَجْفَةٌ»: بالرفع فاعلُ أخذتْ؛ أي: ارتجفت واضطربت.

«خَوْفًا مِنْ اللهِ»: لأنها تخاف من الله بما جُعل فيها من الإحساس والمعرفة بالله.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨)، والآجُري في الشريعة (٣٠٧)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٩١)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في تفسيره، وساقه بإسناده (٣/ ٥٣٨)، وأبونعيم في الحلية (٥/ ١٥٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٦)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٥٧).

«صُعِقُوا»: الصعق: الغشي.

«خَرُّوا»: خرّ: سقط من أعلى، والمراد هنا: انحطوا بالسجود.

«أَوَّل»: بالفتح خبر يكون.

«إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ الله»: من السماء والأرض.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظمة ربه عَزَّوَجَلَّ بأنه -سبحانه- إذا تكلم بما شاء من وحيه، فإنه يصيب السماوات ارتجافٌ وحركة شديدة من خوف الله عَزَّوَجَلَّ؛ لمعرفتها بعظمة الله، فإذا سمعت الملائكة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، غُشي عليهم، وانحطوا بالسجود تعظيمًا لله وخوفًا منه، ثم يكون جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من يرفع رأسه منهم؛ لأنه السفير بين الله وبين رسله، فيكلمه الله بما شاء من أمره، ثم يمر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على ملائكة السماوات، فيسألونه عما قال الله؟ فيجيبهم بقوله: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فيقولون مثل ما قال، ثم يمضي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي، فيبلغه إلى من أمره الله بتبليغه إياه.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه ما في النصوص قبله من بيان عظمة الله وخوف الملائكة والسماوات منه، ففيه الرد على من عبد غير الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- الرد على المشركين الذين اتخذوا مع الله آلهة من مخلوقاته.

٢- بيان عظمة الله جَلَّ وَعَلَا واستحقاقه للعبادة وحده.

٣- إثبات أن الله يتكلم متى شاء بما يشاء كيف يشاء.

٤- إثبات علو الله على خلقه.

٥- فضل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٦ - بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه لما كان المشركون يبررون ما هم عليه من الشرك؛ من دعاء الملائكة والأنبياء والأولياء، ويقولون: (نحن نعلم أنهم مخلوقون، ولكنهم لهم جاه عند الله، فنحن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله)، أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك الذي نهى الله عنه، وأبطل كل وسيلة تؤدي إليه.

الشَّفَاعَة: مصدر شفع، بمعنى: ضم الشيء إلى مثله، تقول: شفعت الشيء شفعًا بمعنى ضممته إلى الفرد. وشفع فيه: أعانه في تحصيل مطلبه ممن هو عنده(١).

﴿ وَأَنذِرْ ﴾: الإنذار هو: الإعلام بموضع المخافة والتحذير منها.

﴿بِهِ ﴾؛ أي: بالقرآن.

﴿يَخَافُونَ ﴾: يخشون.

﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾: يُجمعوا ويُبعثوا.

---

(١) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: في موضع نصبٍ على الحال؛ أي: متخلِّين من كل ولي ينصرهم وشفيع يشفع لهم.

المعنى الإجمالي للآية: يقول تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خوِّف بالقرآن الذين يخشون ربهم من أصحاب القلوب الواعية، الذين يتذكرون الوقوف بين يدي ربهم متخلّين عن كل قريب ينصرهم وواسطة تشفع لهم عنده بغير إذنه؛ لعلهم يعدون العُدة لذلك، فيعملون في هذه الدار عملًا ينجّيهم الله به من عذابه يوم القيامة.

مناسبة الآية للباب: أن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الأنبياء والصالحين يطلبون منهم الشفاعة.

ما يستفاد من الآية:

١- الرد على المشركين الذين يتقربون إلى الأنبياء والصالحين يطلبون منهم الشفاعة.

٢- مشروعية الوعظ والتذكير بيوم القيامة.

٣- أن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالموعظة.

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشَّرْح

﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾؛ أي: هي ملك لله، فليس لمن تطلبونها منهم شيءٌ منها.

﴿جَمِيعًا﴾: حالٌ مؤكدة.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾؛ أي: لا أحد.

﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: له فيها، فلا أحدٌ يتكلم بشفاعةٍ ولا غيرها، إلا إذا أذن الله تعالى له في الكلام.

المعنى الإجمالي للآيتين: يأمر الله نبيه أن يقول للذين يتعلقون على الأولياء والصالحين يطلبون منهم الشفاعة: ليس لمن تدعونهم من الشفاعة شيء، إنما هي كلُّها ملكٌ لله، لا يستطيع أحدٌ شفاعةً لأحد، إلا بإذنه، فلا أحدٌ يملك أن يتكلم يوم القيامة، إلا إذا أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له في الكلام.

مناسبة الآيتين للباب: أن فيهما الرد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين، يظنون أنهم يملكون من الشفاعة شيئًا، فيستطيعون أن يشفعوا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بغير إذنه.

ما يستفاد من الآيتين:

١- الرد على المشركين الذين يطلبون الشفاعة من المخلوقين.

٢- أن الشفاعة ملكٌ لله وحده، فيجب طلبها منه وحده.

٣- بيان عظمة الله وكبريائه وخضوع جميع الخلق لسلطانه.

٤- في الآية الثانية إثبات الشفاعة لمن أذن الله له بها.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

الشَّـرْح

﴿ وَكَم ﴾: خبريةٌ في موضع رفعٍ على الابتداء، ومعناها: كثيرٌ من الملائكة.

﴿ لَا تُغْنِى ﴾: لا تُجدي، ولا تنفع. في موضع رفع خبر المبتدأ.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾: لهم في الشفاعة.

﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾: من عباده.

﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾: عنه قولَه وعمَله.

معنى الآية إجمالًا: يخبر تعالى أن كثيرًا من الملائكة مع مكانتهم عنده لا تجدي شفاعتهم في أحد شيئًا، ولا تنفعه، إلا إذا أذن الله لهم أن يشفعوا فيمن يشاء الشفاعة له من عبادِه، وكان المشفوع فيه ممن رضي الله قوله وعمله؛ بأن يكون سالمًا من الشرك قليلِه وكثيرِه، وإذا كان هذا في حقّ الملائكة، فغيرهم من باب أولى.

مناسبة الآية للباب: أن فيها الرد على المشركين الذين يطلبون الشفاعة من الملائكة وغيرهم من المخلوقين.

ما يستفاد من الآية:

١- الرد على المشركين الذين يتقرّبون إلى المخلوقين يطلبون منهم الشفاعة.

٢- أن الشفاعة ملكٌ لله وحده، لا تُطلب إلا منه.

٣- أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:

الشرط الأول: إذن الرب للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد والإخلاص.

وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

الشَّرْح

﴿ قُلِ ﴾؛ أي: للمشركين.

﴿ زَعَمْتُم ﴾؛ أي: زعمتموهم آلهة.

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: غيره لينفعوكم بزعمهم.

﴿ مِثْقَالَ ﴾: وزن.

﴿ ذَرَّةٍ ﴾: من خير أو شر، والمراد بالذرة: النملة الصغيرة. ويُقال لكل جزء من أجزاء الهباء: ذرةٌ.

﴿ شِرْكٍ ﴾: شركة مع الله.

﴿ مِنْهُم ﴾: من الآلهة.

﴿ مِّن ظَهِيرٍ ﴾: معين يعينه على تدبير أمر السماوات والأرض.

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ ﴾؛ أي: عند الله تعالى. ردٌّ لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده.

﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾: أن يشفع لغيره.

المعنى الإجمالي للآيتين: يأمر الله سبحانه نبيه أن يقول للمشركين على وجه التحدي: اطلبوا من آلهتكم التي زعمتم أنها تنفعكم وتكشفُ الضر عنكم؛ فإنهم لا يقدرون على ذلك؛ لأنهم لا يملكون من الكون وزن أصغر نملة ملكًا مستقلًا، وليس لهم في الكون أدنى شركة مع الله، وليس منهم أحد يعين الله في تصريف الأمور، ولا يقدرون على التقدم بين يديه في الشفاعة لكم، إلا إذا أذن لهم بذلك، وهو لا يأذن بالشفاعة لمشرك، فهم لا يملكون شيئًا استقلالًا، ولا يشاركون في الملك، ولا يعاونون المالك، ولايملكون الشفاعة عنده بغير إذنه. فبطُلت عبادتهم من دون الله.

مناسبة الآيتين للباب: أن فيهما الرد على المشركين الذين يتقربون إلى الأولياء؛ يطلبون منهم الشفاعة، ويدعونهم لجلب النفع ودفع الضر.

ما يستفاد من الآيتين:

١- الرد على المشركين الذين يدعون مع الله آلهة من الملائكة وغيرهم، يزعمون أنهم يملكون لهم نفعًا، أو يدفعون عنهم ضرًا.

٢- مشروعية محاجة المشركين لإبطال الشرك ومناظرتهم في ذلك.

٣- قطع الأسباب التي يتعلق بها المشركون، وذلك أن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلةٌ من أربع:

الأولى: إما أن يكون مالكًا لما يريده منه عابده.

الثانية: وإما أن يكون شريكًا للمالك.

الثالثة: وإما أن يكون ظهيرًا أو معينًا له.

الرابعة: وإما أن يكون شفيعًا عنده.

وقد نفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأسباب الأربعة في آلهة المشركين. فبطُلت عبادتها.

٤- إثبات الشفاعة التي تكون بإذن الله.

٥- أن المشركين لا تنفعهم الشفاعة؛ لأن الله تعالى لا يأذن فيها لمشرك.

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: فَنَفَى عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ، أَوْ قِسْطٌ مِنَ الْمُلْكِ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، فَإِذَا سَجَدَ وَحَمِدَ رَبَّهُ بِمَحَامِدَ يَفْتَحُهَا عَلَيْهِ؛ يُقَالُ لَهُ: «ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٢)، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ الشَّافِعِ الَّذِي أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ، لِيُكْرِمَهُ بِذَلِكَ، وَيَنَالَ بِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مُطْلَقًا؛ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ وَتِلْكَ مُنْتَفِيَةٌ مُطْلَقًا؛ وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَتِلْكَ قَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ. انْتَهَى(٣).

---

(١) كما في حديث الشفاعة الذي رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: «... ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ من مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئا لم يَفْتَحْهُ على أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا محمد ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧-٧٩).

الشَّرْح

أبُو العَبَّاسِ: هو شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الإمام المشهور صاحب المصنفات المفيدة، كانت وفاته سنة ٧٢٨هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قِسْطٌ: القسط هو النصيب.

الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ: أي: التي يطلبونها من غير الله من الأنداد.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ: أي: في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما من حديث الشفاعة.

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: أي: في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

«أَسْعَدُ النَّاسِ»: أكثرهم سعادة بها.

«خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»: احتراز من المنافق الذي يقولها بلسانه فقط.

وَحَقِيقَتُهُ: أي: حقيقة الأمر في بيان الشفاعة الصحيحة، لا كما يظنه المشركون.

الْمَقَام الْمَحْمُود: أي: الذي يحمده فيه الخلائق كلهم.

مقصود المؤلف من سياق كلام شيخ الإسلام هنا:

أن فيه شرحًا وتفسيرًا لما في هذا الباب من الآيات، ففيه:

١- صفة الشفاعة المنفية، وصفة الشفاعة المثبتة.

٢- ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود، وماذا يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يؤذن له فيها.

٣- أن أسعد الناس بالشفاعة أهل الإيمان.

فائدة: له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أنواع من الشفاعة[١].

الأول: الشفاعة التي يختص بها نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الشفاعة لأهل الموقف؛ ليفصل الله بينهم ويريحهم من مقامهم في الموقف.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة حتى يدخلوها.

الثالث: الشفاعة لقوم من العصاة استوجبوا دخول النار أن لا يدخلوها.

الرابع: الشفاعة في قوم من العصاة دخلوا النار أن يخرجوا منها.

الخامس: الشفاعة في قوم من أهل الجنة لزيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم.

السادس: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذاب النار[٢].

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٧).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**».

١٧- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن فيه الرد على عُبّاد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين النفع والضر، وذلك أنه إذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حرص على هداية عمّه في حياته، فلم يتيسر له، ودعا له بعد موته، فنُهي عن ذلك، وذكر سبحانه أن الرسول لا يقدر على هداية من أحبّ، فهذا يدل على أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك ضرًا ولا نفعًا، فبطل التعلق به لجلب النفع ودفع الضر، وغيره من باب أولى.

﴿إِنَّكَ﴾: الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَا تَهْدِي﴾: هداية توفيقٍ للدخول في الإسلام، وأما هداية الدعوة والبيان، فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يملكها: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: هدايته.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: يوفّق للدخول في الإسلام.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.

المعنى الإجمالي للآية: يقول تعالى لرسوله ﷺ: إنك لا تقدر على توفيق من تحب دخوله في الإسلام، ولكن ذلك إنما يكون بيد الله؛ فهو الذي يوفق من شاء له، وهو أعلم بمن يستحقه ممن لا يستحقه.

مناسبة الآية للباب: أن فيها دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا، ولا عطاء ولا منعًا، وأن الأمر كله بيد الله، ففيها الرد على الذين ينادونه لتفريج الكربات وقضاء الحاجات.

ما يستفاد من الآية:

١- الرد على الذين يعتقدون أن الأولياء ينفعون أو يضرون، ويتصرفون بعد الموت على سبيل الكرامة.

٢- أن هداية التوفيق بيد الله سبحانه.

٣- إثبات العلم لله سبحانه.

٤- إثبات الحكمة لله سبحانه.

٥- إبطال التعلق بغير الله.

في الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أبيهْ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، فقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحاجّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فأعادَ عليهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادَا: فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]»(١).

الشَّرح

ترجمة ابن المسيب: هو سعيد بن المسيب، أحد العلماء والفقهاء الكبار من التابعين، مات بعد التسعين.

في الصَّحِيحِ: أي: صحيح البخاري.

عَنْ أبيهْ: المسيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صحابيّ، توفي في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ»: أي: علاماتها ومقدماتها.

«يَا عَمِّ»: «عَمِّ» منادى مضاف حذفت منه الياء، وبقيت الكسرة دليلًا عليها.

«كَلِمَةً»: بالنصب على البدل من «لا إله إلا الله».

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، ومسلم (٢٤).

«أُحاجّ»: بتشديد الجيم مفتوحة على الجزم بجواب الأمر -من المحاجة، وهي بيان الحجة-؛ أي: أشهد لك بها عند الله.

«أَتَرْغَبُ»: أتترك؟

«مِلَّة عَبْدِ المُطَّلِبِ»: هي الشرك وعبادة الأصنام، ذكّره بحجة المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢].

«فَأَعَادَ عَلِيهِ النَّبِيُّ»؛ أي: أعاد عليه مقالته، وهي قولُه: «**يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

«فَأَعَادَا»؛ أي: أعاد عليه أبو جهل وعبد الله مقالتهما، وهي: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟».

«هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ»: استبدل الراوي بضمير المتكلم ضمير الغائب؛ استقباحًا للفظ المذكور.

«وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هذا تأكيدٌ لما قبله.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾؛ أي: ما ينبغي، وهو خبرٌ بمعنى النهي.

المعنى الإجمالي للحديث: كان أبو طالب يحمي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى قومه، وفعل من حمايته ما لم يفعله غيرُه من الناس، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على هدايته، ومن ذلك أنه عاده لما مرض، فجاءه وهو في سياق الموت، وعرض عليه الإسلام؛ ليكون خاتمة حياته؛ ليحصل له بذلك الفوز والسعادة، وطلب منه أن يقول كلمة التوحيد، وعرض عليه المشركون أن يبقى على دين آبائه الذي هو الشرك؛ لعلمهم بما تدل عليه هذه الكلمة من نفي الشرك وإخلاص العبادة لله وحده، وأعاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب

التلفظ بالشهادة من عمه، وأعاد المشركون المعارضة، وصاروا سببًا لصده عن الحق وموته على الشرك.

وعند ذلك حلف النبي ﷺ ليطلُبن له من الله المغفرة ما لم يمنع من ذلك، فأنزل الله المنع من ذلك، وبيّن له أن الهداية بيد الله يتفضل بها على من يشاء؛ لأنه يعلم من يصلح لها ممن لا يصلح.

مناسبة الحديث للباب: أن الرسول ﷺ لا يملك نفعًا لمن هو أقرب الناس إليه، مما يدل على بطلان التعلق عليه ﷺ لجلب النفع أو دفع الضر، وغيره من باب أولى.

ما يستفاد من الحديث:

١- جواز عيادة المريض المشرك إذا رُجي إسلامه.

٢- مضرة أصحاب السوء وقرناء الشر على الإنسان.

٣- أن معنى «لا إله إلا الله»: ترك عبادة الأصنام والأولياء والصالحين، وإفراد الله بالعبادة. وأن المشركين يعرفون معناها.

٤- أن من قال: «لا إله إلا الله» عن علمٍ ويقين واعتقادٍ، دخل في الإسلام.

٥- أن الأعمال بالخواتيم.

٦- تحريم الاستغفار للمشركين، وتحريم موالاتهم ومحبتهم.

٧- بطلان التعلق على النبي ﷺ وغيره لجلب النفع أو دفع الضرر.

٨- الرد على من زعم إسلام أبي طالب.

٩- مضرة تقليد الآباء والأكابر بحيث يُجعل قولهم حجة، يرجع إليها عند التنازع.

١٨- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفرِ بَنِي آدمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهم هُوَ الغُلُوُّ في الصَّالحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

الشَّرح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما بين بعض ما يفعله عبّاد القبور مع الأموات من الشرك المضاد للتوحيد، أراد في هذا الباب أن يبين السبب في ذلك؛ ليحذر، ويجتنب، وهو الغلو في الصالحين.

مَا جَاءَ: أي: من الأدلة.

تَرْكِهِمْ: بالجر، عطفًا على المضاف إليه «كفر».

الغُلُوُّ: هو مجاوزة الحد[1]، والإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، وتعدي ما أمر الله تعالى به.

في الصَّالِحِينَ: من الأنبياء والأولياء وغيرهم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم اليهود والنصارى.

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾: لا تتعدوا ما حدد الله لكم، فغلا النصارى في المسيح، وغلا اليهود في عزير.

---

(١) انظر: (ص ١٣).

المعنى الإجمالي للآية: ينهى الله اليهود والنصارى عن تعدّي ما حدد الله لهم؛ بأن لا يرفعوا المخلوق فوق منزلته التي أنزله الله وألا ينزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله.

مناسبة الآية للباب: أن فيها النهي عن الغلو مطلقًا، فيشمل الغلو في الصالحين، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام، يتناول جميع الأمة؛ تحذيرًا لهم أن يفعلوا في نبيهم وصالحيهم فعل النصارى في المسيح واليهود في عزيز.

ما يستفاد من الآية:

١- تحريم الغلو في الأشخاص والأعمال وغير ذلك.

٢- الرد على اليهود والنصارى ومن شابههم في غلوهم في الأشخاص والأعمال وغير ذلك.

٣- الحث على لزوم الاعتدال في الدين وجميع الأمور بين جانبي الإفراط والتفريط.

٤- التحذير من الشرك وأسبابه ووسائله.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]. قَالَ: «هذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ»(١).

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عليهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»(٢).

الشَّرْح

ترجمة ابن القيم: هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، مات سنة ٧٥١هـ رَحِمَهُ اللَّهُ. وله مؤلفات مفيدة مشهورة.

﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾: لا تتركوا عبادتها.

﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾؛ أي: ولا تتركوا هؤلاء خصوصًا.

«فَلَمَّا هَلَكُوا»؛ أي: مات أولئك الصالحون، وحزن عليهم قومهم حزنًا شديدًا.

«أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ»؛ أي: وسوس وألقى إليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٣).

«**انْصِبُوا**»: بكسر الصاد.

«**أَنْصَابًا**»؛ أي: أصنامًا مصورة على صورهم.

«**حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ**»؛ أي: الذين نصبوها ليتذكروا برؤيتها أفعال أصحابها، فينشطوا على العبادة.

«**وَنُسِيَ العِلْمُ**»؛ أي: زالت المعرفة، وغلب الجهال الذين لا يميزون بين الشرك والتوحيد.

«**عُبِدَتْ**»؛ أي: تلك الأصنام، لما قال لهم الشيطان: إن آباءكم كانوا يعبدونها.

المعنى الإجمالي للأثر: يفسر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا هذه الآية الكريمة بأن هذه الآلهة التي ذكر الله أن قوم نوح تواصوا بالاستمرار على عبادتها، بعدما نهاهم نبيهم نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عن الشرك بالله؛ أنها في الأصل أسماء رجال صالحين منهم، غلوا فيهم بتسويل الشيطان لهم، حتى نصبوا صورهم، فآل الأمر بهذه الصور إلى أن صارت أصنامًا تعبد من دون الله.

وما ذكره ابن القيم هو بمعنى ما ذكره البخاري، إلا أنه ذكر أن عكوفهم على قبورهم كان قبل تصويرهم، فهو يضيف إلى ما سبق أن العكوف على القبور سببٌ لعبادتها -أيضًا.

مناسبة الأثر للباب: أنه يدل على أن الغلو في الصالحين سببٌ لعبادتهم من دون الله.

ما يستفاد من الأثر:

١- أن الغلو في الصالحين سببٌ لعبادتهم من دون الله وترك الدين بالكلية.

٢- التحذير من التصوير وتعليق الصور، لا سيما صور العظماء.

٣- التحذير من مكر الشيطان وعرضه الباطل في صورة الحق.

٤- التحذير من البدع والمحدثات، ولو حسُن قصد فاعلها.

٥- أن هذه وسائل إلى الشرك، فيجب الحذر منها.

٦- معرفة قدر وجود العلم ومضرة فقده.

٧- أن سبب فقد العلم هو موت العلماء.

٨- التحذير من التقليد، وأنه قد يؤول بأهله إلى المروق من الإسلام.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ**[1].

الشَّرْح

ترجمة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أمير المؤمنين، وأفضل الصحابة بعد الصديق، استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

«**لَا تُطْرُونِي**»: الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه[2].

«**كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»؛ أي: كما غلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى ادَّعوا فيه الألوهية.

«**فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»؛ أي: صفوني بذلك؛ كما وصفني به ربي.

معنى الحديث إجمالًا: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تمدحوني، فتغلوا في مدحي؛ كما غلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فادعوا فيه الألوهية. إني لا أعدو أن أكون عبدًا لله ورسولًا منه، فصفوني بذلك، ولا ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢٣).

مناسبة الحديث للباب: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الغلو في حقه بإعطائه شيئًا من خصائص الربوبية، مما يدل على تحريم الغلو، وأنه يفضي إلى الشرك؛ كما أفضى بالنصارى في حق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم مجاوزة الحد في مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخراجه من دائرة العبودية؛ لأن ذلك هو الشرك بالله.

٢- شدة نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته.

٣- أن الغلو في الصالحين سببٌ للوقوع في الشرك.

٤- التحذير من التشبه بالكفار.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»(١).

الشَّرْح

راوي الحديث: هذا الحديث ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ دون ذكر روايه، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس.

«**إِيَّاكُمْ**»: كلمة تحذير.

«**وَالْغُلُوَّ**»: منصوب على التحذير بفعل مقدر، وهو مجاوزة الحد.

«**مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»: من الأمم.

معنى الحديث إجمالًا: يحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من الزيادة في الدين على الحد المشروع، وهو عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، ومن ذلك الغلو في تعظيم الصالحين؛ مما يكون سببًا في هلاك الأمم السابقة، وذلك يقتضي مجانبة هديهم في هذا؛ إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به؛ لأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه من الهلاك مثلهم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن الغلو مطلقًا، وبيان أنه سببٌ للهلاك في الدنيا والآخرة، فيدخل فيه النهي عن الغلو في الصالحين من باب أولى؛ لأنه سبب للشرك.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٠، ٥/ ٢٩٨)، والنسائي (٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن الغلو، وبيان سوء عاقبته.

٢- الاعتبار بمن سبقنا من الأمم؛ لتجنب ما وقعوا فيه من الأخطاء.

٣- حرصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نجاة أمته من الشرك ووسائله وابتعادهم عنه.

٤- الحث على الاعتدال في العبادة وغيرها بين جانبيّ الإفراط والتفريط.

٥- أن الغلو في الصالحين سببٌ للوقوع في الشرك.

٦- شدة خوفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرك والتحذير عنه.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ». قَالَهَا ثَلَاثًا(١).

الشَّرْح

«الْمُتَنَطِّعُونَ»: المتعمقون في الشيء من كلامٍ وعبادةٍ وغيرها.

«ثَلَاثًا»؛ أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات؛ مبالغة في الإبلاغ والتعليم.

المعنى الإجمالي للحديث: يوضح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن التعمق في الأشياء والغلو فيها يكون سببًا للهلاك، ومراده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عن ذلك.

مناسبة الحديث للباب: أن التنطع من الغلو المنهي عنه، ويدخل في ذلك التنطع في تعظيم الصالحين إلى الحد الذي يفضي إلى الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على اجتناب التنطع في كل شيء؛ لا سيما في العبادات وتقدير الصالحين.

٢- الحث على الاعتدال في كل شيء.

٣- شدة حرصه على نجاة أمته، واجتهاده في الإبلاغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❀❀❀

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

١٩ - بَابُ مَا جَاءَ مَنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وما فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»(١).

فَهؤلاءِ جَمَعُوا بينَ فِتنتينِ: فِتنةِ القُبُورِ، وفِتنةِ التَّماثيلِ(٢).

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: هي بيان أن عبادة الله عند القبر وسيلةٌ إلى الشرك المنافي للتوحيد.

ترجمة أم سلمة: هي أم المؤمنين هند بنت أمية المخزومية القرشية ماتت سنة ٦٢هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«**ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»؛ أي: في مرض موته.

«**كَنِيسَةً**»: بفتح الكاف وكسر النون: معبد النصارى.

«**أُولَئِكِ**»: بفتح الكاف وكسرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٣).

«**العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ**»: هذا -والله أعلم- شكٌّ من الراوي.

«**تِلْكَ الصُّوَرَ**»؛ أي: التي ذكرتْ أم سلمة.

فَهؤلاءِ جَمَعُوا بينَ فِتنتينِ: فِتنةِ القُبُورِ، وفِتنةِ التَّماثيلِ: هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره المصنف لتوضيح معنى الحديث.

المعنى الإجمالي للحديث: أن أمّ سلمة وصفت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مرض الموت ما شاهدته في معبد النصارى من صور الآدميّين، فبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبب الذي من أجله اتخذوا هذه الصور، وهو الغلو في تعظيم الصالحين؛ مما أدى بهم إلى بناء المساجد على قبورهم، ونصب صورهم فيها، ثم بيّن حكم من فعل ذلك بأنهم شرار الناس؛ لأنهم جمعوا بين محذورين في هذا الصنيع، هما: فتنة القبور باتخاذها مساجد، وفتنة تعظيم التماثيل مما يؤدي إلى الشرك.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الدلالة الواضحة على المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين واتخاذها مساجد؛ لأن ذلك من فعل النصارى، ومن فَعَله، فهو من شرار الخلق.

ما يستفاد من الحديث:

١- المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين؛ لأنه وسيلة إلى الشرك، وهو من فعل النصارى.

٢- التحدث عما يفعله الكفار؛ ليحذره المسلمون.

٣- التحذير من التصوير ونصب الصور؛ لأن ذلك وسيلةٌ إلى الشرك.

٤- أن من بنى مسجدًا عند قبر رجل صالح، فهو من شرار الخلق، وإن حسنت نيته.

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». أَخْرَجَاهُ(١).

الشَّرْح

وَلَهُمَا: أي: البخاري ومسلم، وهو يغني عن قوله في آخره: «أخرجاه»، فلعله سبق قلم.

عَنْهَا: أي: عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

«لَمَّا نُزِلَ»: بضم النون وكسر الزاي؛ أي: نزل به ملك الموت.

«طَفِقَ»: بكسر الفاء وفتحها؛ أي: جعل.

«خَمِيصَةً»: كساءٌ له أعلام؛ أي: خطوط.

«اغْتَمَّ بِهَا»؛ أي: غمّته، فاحتبس نفسُه عن الخروج.

«كَشَفَهَا»؛ أي: أزالها عن وجهه الشريف.

«فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ»؛ أي: في هذه الحالة الحرجة يقاسي شدة النزع.

«يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»؛ أي: لعنهم تحذيرًا لأمته أن تصنع ما صنعوا.

«لَوْلَا ذَلِكَ»؛ أي: لولا تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما صنعوا ولعنُه من فعَله.

«أُبْرِزَ قَبْرُهُ»؛ أي: لدُفن خارج بيته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١).

«خَشِيَ»: يُروى بفتح الخاء بالبناء للفاعل، فيكون المعنى: أنّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي أمرهم بعدم إبراز قبره. ويُروى بضم الخاء بالبناء للمفعول، فيكون المعنى: أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين خشوا ذلك، فلم يُبرزوا قبره.

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرصًا منه على حماية التوحيد وتجنيب الأمة ما وقعت فيه الأمم الضالة من الغلو في قبور أنبيائهم، حتى آل ذلك بهم إلى الشرك، جعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في سياق الموت ومقاساة شدة النزع يحذر أمته أن لا يغلو في قبره، فيتخذوه مسجدًا يصلون عنده؛ كما فعلت اليهود والنصارى ذلك مع قبور أنبيائهم، فصلى الله عليه وسلم! لقد بلّغ البلاغ المبين.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه المنع من عبادة الله عند قبور الأنبياء واتخاذها مساجد؛ لأنه يُفضي إلى الشرك بالله.

ما يستفاد من الحديث:

١- المنع من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلى فيها لله؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

٢- شدة اهتمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتنائه بالتوحيد وخوفِه أن يعظّم قبره؛ لأن ذلك يفضي إلى الشرك.

٣- جواز لعن اليهود والنصارى ومن فعل مثل فعلهم من البناء على القبور واتخاذها مساجد.

٤- بيان الحكمة من دفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته، وأن ذلك لمنع الافتتان به.

٥- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشرٌ يَجري عليه ما يجري على البشر من الموت وشدة النزع.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسِ لَيَالٍ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَأَنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَأَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[1].

الشَّرْح

التراجم:

١- جندب هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، صحابيٌّ مشهور، مات بعد الستين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- أبو بكر هو: أبو بكرٍ الصديق، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي، خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإجماع، مات سنة ١٣، وله ٦٣ سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**بِخَمْسٍ**»؛ أي: خمس ليال. وقيل: خمس سنين.

«**أَنِّي أَبْرَأُ**»؛ أي: أمتنع وأنكر.

«**خَلِيلًا**»: الخليل هو: المحبوب غاية الحب.

«**أَلَا**»: حرف استفتاح وتنبيه.

«**مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»: يعني: اليهود والنصارى.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

«يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: بالصلاة عندها وإليها، وبناءِ المساجد والقباب عليها.

المعنى الإجمالي للحديث: يتحدث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيل وفاته إلى أمته بحديث مهمّ، فيخبر عن مكانته عند الله، وأنها بلغت أعلى درجات المحبة؛ كما نالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك نفى أن يكون له خليلٌ غير الله؛ لأن قلبه امتلأ من محبته وتعظيمه ومعرفته؛ فلا يتسع لأحد. ولو كان له خليلٌ من الخلق، لكان أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو إشارةٌ إلى فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستخلافه من بعده. ثم أخبر عن غلو اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، حتى صيّروها متعبدات شركية، ونهى أمته أن يفعلوا مثل فعلهم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن اتخاذ القبور أمكنة للعبادة؛ لأنه وسيلة إلى الشرك؛ كما تفعل اليهود والنصارى وغيرهم من أهل البدع.

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن اتخاذ القبور أمكنة للعبادة، يُصلى عندها أو إليها، ويُبنى عليها مساجد أو قبابٌ؛ حذرًا من الوقوع في الشرك بسبب ذلك.

٢- سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

٣- إثبات المحبة لله سبحانه على ما يليق بجلاله.

٤- فضل الخليلين: محمد وإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٥- فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه أفضل الأمة على الإطلاق.

٦- أنه دليل على خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَدْ نَهَى عنهُ في آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ في السِّياقِ- مَنْ فعلَهُ، والصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَى قولِهَا: «خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيبنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا؛ كَمَا قَالَ: «وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[1].

الشَّرْح

هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يوضح به ما تدل عليه الأحاديث السابقة في الباب.

توضيح كلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله: «فَقَدْ نَهَى عنهُ في آخِرِ حَيَاتِهِ»؛ كما في حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ في السِّياقِ- مَنْ فعلَهُ»؛ كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وقوله: «وَالصَّلاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ»؛ أي: من اتخاذها مساجد.

وقوله: «وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ»؛ أي: الصلاة عند القبور من اتخاذها مساجد الملعون من فعله، ولو بدون بناء مساجد.

وقوله: (وَهُوَ مَعْنَى قولِهَا: «خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»)؛ أي: معنى قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في تعليل دفن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته وعدم إبراز قبره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، واللفظ للبخاري.

وقوله: «فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيبنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا»؛ أي: لما علموا من تشديده ﷺ في ذلك وتغليظه ولعنِ من فعله، فيكون المقصود النهي عن الصلاة عندها.

وقوله: «وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا»؛ لكونه أُعد للصلاة، وإن لم يُبن.

وقوله: «بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا»؛ أي: وإن لم يقصد بذلك بخصوصه، بل أوقعت فيه الصلاة عرضًا لما حان وقتها فيه.

وقوله: «كَمَا قَالَ: «**وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»» أراد به الاستدلال للجملة التي قبله؛ حيث سمى ﷺ في هذا الحديث الأرض مسجدًا، تجوز الصلاة في كل بقعة منها، إلا ما استثناه الدليل.

❀❀❀

وَلأحمدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «إنَّ مِنْ شِرارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ(١).

الشَّرْح

«شِرَار النَّاسِ»: بكسر الشين جمع شرّ، أفعل تفضيل.

«مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ»؛ أي: مقدماتها: كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها.

«يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»؛ أي: بالصلاة عندها وإليها.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عمن تقوم الساعة عليهم وهم أحياءٌ أنهم شرار الناس، ومنهم الذين يصلون عند القبور وإليها، ويبنون عليها القباب، وهذا تحذيرٌ لأمته أن تفعل مع قبور نبيهم وصالحيهم مثل فعل هؤلاء الأشرار.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من اتخاذ القبور مساجد، يُصلى في ساحتها، ويُتبرك بها؛ لأنه ذريعةٌ إلى الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- التحذير عن الصلاة عند القبور؛ لأنه وسيلةٌ إلى الشرك.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، وابن حبان (٦٨٤٧).

٢- أن من اتخذ قبور الصالحين مساجد للصلاة فيها، فهو من شرار الخلق، وإن كان قصده التقرب إلى الله.

٣- أن الساعة تقوم على شرار الناس.

٤- التحذير عن الشرك ووسائله وما يقرب إليه، مهما كان قصد صاحب تلك الوسائل.

٢٠ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ

وَرَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لما حذر في الباب الذي قبله من الغلو في الصالحين، أراد أن يبين في هذا الباب أن الغلو في القبور وسيلةٌ إلى الشرك المضاد للتوحيد، وذلك بعبادة الأموات. كما أراد -أيضًا- التحذير من الغلو في القبور.

ترجمة الإمام مالك: هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٧٩هـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

«اللَّهُمَّ»: منادى مبنيٌّ على الضم في محل نصب، والميم المشددة زائدة.

«أَوْثَانًا»: هو المعبود الذي لا صورة له: كالقبور، والأشجار، والعُمد، والحيطان، والأحجار ونحوِها.

---

(١) أخرجه مالك (٨٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، والبزار (١٢/ ٢١٦، ١٤/ ١٦٣).

المعنى الإجمالي للحديث: خاف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع في أمته مع قبره ما وقع من اليهود والنصارى مع قبور أنبيائهم من الغلو فيها، حتى صارت أوثانًا، فرغِب إلى ربه أن لا يجعل قبره كذلك.

ثم نبّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبب لحوق شدة الغضب واللعنة باليهود والنصارى؛ أنه ما فعلوا في حق قبور الأنبياء، حتى صيّروها أوثانًا تعبد، فوقعوا في الشرك العظيم المضاد للتوحيد.

مناسبة الحديث للباب: أن الغلو في القبور يجعلها أوثانًا تُعبد؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»، وبيّن ذلك بقوله: «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الغلو في قبور الأنبياء يجعلُها أوثانًا تُعبد.

٢- أن من الغلو في القبور اتخاذها مساجد، وهذا يؤدّي إلى الشرك.

٣- إثبات اتصاف الله سبحانه بالغضب على ما يليق بجلاله.

وَلابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفيانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجاهِدٍ في قولِهِ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩]، قالَ: «كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَماتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبرِهِ»[١].

وَكَذَا قَالَ أبو الجَوْزَاءِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ، لِلحَاجِّ»[٢].

الشَّرح

التراجم:

١- ابن جرير: هو الإمام الحافظ محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير، مات سنة ٣١٠ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- سفيان: الأظهر أنه سفيان بن سعيد الثوري، إمامٌ حجة عابد، مات سنة ١٦١هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- منصور: هو ابن المعتمر، ثقةٌ فقيهٌ، مات سنة ١٣٢ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- مجاهد: هو ابن جبر، ثقة، إمام في التفسير، أخذ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، مات سنة ١٠٤ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- أبو الجوزاء: هو أوس بن عبد الله الرّبعي، ثقةٌ مشهورٌ، مات سنة ٨٣هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«يَلُتُّ السَّوِيقَ»؛ أي: يخلطه بسمن ونحوه.

«عَكَفُوا عَلَى قَبرِهِ»: أقبلوا، وواظبوا، واحتبسوا عليه.

مناسبة الأثر للباب: أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره، حتى صار وثنًا يُعبد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٥٩).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ**[(١)].

الشَّرْح

أَهْلُ السُّنَنِ: أي: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. ولم يروِه النسائي.

«زَائِرَاتِ الْقُبُورِ»؛ أي: من النساء.

«وَالسُّرُجَ»؛ أي: الذين يوقِدون السرج على المقابر، ويضيؤونها.

معنى الحديث إجمالًا: يدعو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللعنة -وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله- للنساء اللاتي يزُرن القبور؛ لأن زيارتهن يترتب عليها مفاسد، منها النياحة والجزع وافتتان الرجال بهن.

ولَعن الذين يتخذون المقابر مواطن عبادة، أو يضيؤونها بالسّرج والقناديل؛ لأن هذا غلوٌّ فيها، ومدعاة للشرك بأصحابها.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على تحريم الغلو في القبور؛ لأن ذلك يصيّرها أوثانًا تُعبد.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الغلوّ في القبور باتخاذها مواطن للعبادة؛ لأنه يفضي إلى الشرك.

٢- تحريم تنوير المقابر؛ لأن ذلك وسيلةٌ لعبادتها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وابن ماجه (١٥٧٥)، والنسائي (٢١٨١)، وأحمد (٣/ ٤٧١، ٤/ ٣٦٣، ٥/ ١٢٨، ٢٢٧).

٣- أن الغلو في القبور من الكبائر.

٤- أن علة النهي عن الصلاة عند القبور هي: خوف الشرك، لا لأجل النجاسة؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرن بين اتخاذها مساجد وإسراجها، ولعن على الأمرين، وليس اللعن على إسراجها من أجل النجاسة، فكذا الصلاة عندها.

٢١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسدِّه كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما بين في الأبواب السابقة شيئًا من حمايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجناب التوحيد، أراد أن يبين في هذا الباب حمايته الخاصة.

المُصْطَفَى: هو المختار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جَنَابَ: أي: جانب.

﴿جَآءَكُمْ﴾: يا معشر العرب.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم وبلغتكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾؛ أي: شديد عليه جدًّا -وهو خبرٌ مقدم.

﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: ما يشق عليكم، ويلحق الأذى بكم؛ من كفر، وضلال، وقتل، وأسر، و«ما» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأٌ مؤخر.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾؛ أي: شديد الحرص والرغبة في هدايتكم وحصول النفع العاجل والآجل لكم.

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: لا بغيرهم.

﴿رَءُوفٞ﴾: بليغ الشفقة.

﴿رَّحِيمٞ﴾: بليغ الرحمة.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عباده على سبيل الامتنان أنه بعث فيهم رسولًا عظيمًا من جنسهم وبلغتهم، يشق عليه جدًّا ما يشق عليهم، ويؤذيه ما يؤذيهم، شديد الحرص على هدايتهم وحصول النفع لهم، شديد الشفقة والرحمة بالمؤمنين خاصة منهم.

مناسبة الآية للباب: أن هذه الأوصاف المذكورة فيها في حق النبي ﷺ تقتضي أنه أنذر أمته، وحذّرهم عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب؛ لأن هذا هو المقصود الأعظم في رسالته.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الرسول ﷺ قد حذّر أمته من الشرك، وباعدها منه، وسد كل طريق يفضي بها إليه.

٢- التنبيه على نعمة الله على عباده بإرسال هذا الرسول الكريم إليهم، وكونه منهم.

٣- مدح نسب الرسول ﷺ، فهو من صميم العرب وأشرفهم بيتًا ونسبًا.

٤- بيان رأفته ورحمته بالمؤمنين.

٥- فيها دليلٌ على غلظته وشدته على الكفار والمنافقين.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ[١].

الشَّرْح

«**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»: لا تعطّلوها من صلاة النافلة والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور.

«**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»: العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان[٢]؛ أي: لا تتخذوا قبري محل اجتماعٍ ترددون إليه وتعتادونه للصلاة والدعاء وغير ذلك.

«**فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»؛ أي: ما ينالني منكم من الصلاة يحصل مع قربكم وبعدكم من قبري؛ فلا حاجة بكم إلى المجيء إليه والتردد عليه.

المعنى الإجمالي للحديث: نهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعطيل البيوت من صلاة النافلة فيها والدعاء وقراءة القرآن، فتكون بمنزلة القبور؛ لأن النهي عن الصلاة عند القبور قد تقرر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك، ونهى عن تكرار زيارة قبره والاجتماع عنده على وجهٍ معتاد لأجل الدعاء

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢).

(٢) انظر: (ص١١٤).

والتقرب؛ لأن ذلك وسيلةٌ إلى الشرك، وأمر بالاكتفاء عن ذلك بكثرة الصلاة والسلام عليه في أي مكان من الأرض؛ لأن ذلك يبلغه من القريب والبعيد على حدّ سواء، فلا حاجة إلى انتياب قبره.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه حسمًا لمادة الشرك، وسدًّا للطرق الموصلة إليه؛ حيث أفاد أن القبور لا يصلَّى عندها، ونهى عن الاجتماع عند قبره واعتياد المجيء إليه؛ لأن ذلك مما يوصل إلى الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- سد الطرق المفضية إلى الشرك؛ من الصلاة عند القبور، والغلو في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن يجعل محل اجتماع وارتياد، ترتب له زيارات مخصوصة.

٢- مشروعية الصلاة والسلام عليه في جميع أنحاء الأرض.

٣- أنه لا مزية للقرب من قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- المنع من السفر لزيارة قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- حمايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَدَعَاهُ فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ[1].

الشَّرْح

ترجمة علي بن الحسين: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين، أفضل التابعين، مات سنة ٩٣هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«فُرْجَةٍ»؛ أي: فتحة في الجدار.

المختارة: اسم كتابٍ يشتمل على الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين لمؤلفه ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن قصد قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجل الدعاء عنده، فغيرُه من القبور من باب أولى؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيدًا، وهو وسيلةٌ إلى الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن الدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حمايةً لحمى التوحيد.

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة (٢/ ٤٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠)، وأبو يعلى (١/ ٣٦١).

٢- مشروعية إنكار المنكر وتعليم الجاهل.

٣- المنع من السفر لزيارة قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حمايةً للتوحيد.

٤- أن الغرض الشرعي من زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السلام عليه فقط؛ وذلك يبلغه من القريب والبعيد.

٢٢ - بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف لما ذكر التوحيد وما ينافيه أو يُنقِصه من الشرك، ذكر في هذا الباب أن هذا الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة، قصد بذلك الردّ على عُبّاد القبور الذين يفعلون الشرك، ويقولون: (لا يقع في هذه الأمة المحمدية شركٌ، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

الأَوْثَانَ: جمع وثن، وهو ما قُصد بنوع من أنواع العبادة من القبور والمشاهد وغيرها[(١)].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تنظر.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾: أُعطوا، وهم اليهود والنصارى.

﴿نَصِيبًا﴾: حظًّا.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون.

---

(١) انظر: (ص١١٤).

﴿بِٱلۡجِبۡتِ﴾: وهو كلمةٌ تقع على الصنم والكاهن والساحر(١).

﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، فكل من تجاوز المقدار والحد، فهو طاغوت(٢)، والمراد به هنا: الشيطان(٣).

المعنى الإجمالي للآية: يقول الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه التعجب والاستنكار: ألم تنظر إلى هؤلاء اليهود والنصارى، الذين أُعطوا حظًا من كتاب الله، الذي فيه بيان الحق من الباطل، ومع هذا يصدقون بالباطل من عبادة الأصنام والكهانة والسحر، ويطيعون الشيطان في ذلك؟!

مناسبة الآية للباب: أنه إذا كان الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، فهذه الأمة التي أوتيت القرآن لا ينكر ولايستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يفعل مثل فعل اليهود والنصارى موافقةً لهم، ولو كان يبغضها، ويعرف بُطلانها.

ما يستفاد من الآية:

١- أنه سيكون في هذه الأمة من يعبد الأوثان؛ كما حدث لليهود والنصارى.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٥)، وتفسير الطبري (٥/ ١٣٤، ١٣٥).

(٢) انظر: (ص١٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري [(٥/ ٤١٧) برقم (٥٨٣٥،٥٨٣٤)]، والمحرر الوجيز (١/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم [(٢/ ٤٩٥)، و(٣/ ٩٧٥)].

٢- أن الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع معناه موافقةُ أصحابها، ولو كان يبغضها، ويعرف بُطلانها.

٣- أن الكفر بالجبت والطاغوت واجبٌ في جميع الكتب السماوية.

٤- وجوب العمل بالعلم، وأن من لم يعمل بعلمه، ففيه شبهٌ من اليهود والنصارى.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

الشَّرْح

﴿ قُلْ ﴾: الخطاب لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾: أخبركم.

﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾: الذي ذكرتم في حقّنا من الذم زورًا وبهتانًا من قولكم في حقنا: (ما رأينا شرًّا منكم).

﴿ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: جزاءً عنده يوم القيامة -نُصب على التمييز-، وهذا يصدق عليكم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات، لا نحن.

﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾: طرده، وأبعده من رحمته.

﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾: غضبًا لا يرضى بعده.

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ ﴾: وهم: أصحاب السبت من اليهود.

﴿ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾: وهم كفار مائدة عيسى من النصارى. وقيل: كِلا المَسخين في أصحاب السبت من اليهود؛ فالشباب مُسخوا قردةً، والشيوخ مُسخوا خنازير.

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾؛ أي: وجعل منهم من عبد الشيطان؛ أيْ: أطاعه فيما سوّل له.

المعنى الإجمالي للآية: يقول تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هُزُوًا ولعبًا من أهل الكتاب: هل أخبركم بمن ينال شر الجزاء يوم القيامة عند الله؟ إنه من اتصف بهذه الصفات، التي هي الإبعاد عن رحمة الله، ونيل غضبه الدائم، ومن مُسخت صورته ظاهرًا بتحويله إلى قردٍ أو خنزير، وباطنًا بطاعة الشيطان وإعراضه عن وحي الرحمن.

وهذه الصفات إنما تنطبق عليكم يا أهل الكتاب ومن تشبه بكم، لا علينا.

مناسبة الآية للباب: أنه إذا كان في أهل الكتاب من عبَد الطاغوت من دون الله، فكذلك يكون في هذه الأمة من يفعل ذلك.

ما يستفاد من الآية:

١- وقوع الشرك في هذه الأمة؛ كما كان في اليهود والنصارى من عبد الطاغوت.

٢- محاجة أهل الباطل وبيان ما فيهم من العيوب، إذا نبزوا أهل الحق بما ليس فيهم.

٣- أن الجزاء إنما يكون على الأعمال، ويكون من جنس العمل.

٤- وصف الله بأنه يغضب، ويلعن العصاة.

٥- أن طاعة الشيطان هي منشأ الشرك بالله.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف:٢١].

الشَّرْح

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾؛ أي: على أمر أصحاب الكهف، وهم أصحاب الكلمة والنفوذ.

﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم ﴾: حولهم.

﴿ مَّسْجِدًا ﴾: يُصلى فيه، ويقصدهم الناس، ويتبركون بهم.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف على وجه الذم لهم أنهم قالوا: (لنتخذن حولهم مصلى، يقصِده الناس، ويتبركون بهم).

مناسبة الآية للباب: أن فيها دليلًا على أنه سيكون في هذه الأمة من يتخذ المساجد على القبور؛ كما كان يفعله من كان قبلهم.

ما يستفاد من الآية:

١- تحريم اتخاذ المساجد على القبور والتحذير من ذلك؛ لأنه يؤدي إلى الشرك.

٢- أنه سيكون في هذه الأمة من يتخذ المساجد على القبور؛ كما فعله من كان قبلهم.

٣- التحذير من الغلو في الصالحين.

٤- أن اتخاذ المساجد على القبور من الغلو في الصالحين.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ**: «فَمَنْ؟» **أَخْرَجَاهُ**[1].

الشَّرْح

«سَنَنَ»: بفتح السين؛ أي: طريق.

«مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»؛ أي: الذين قبلكم من الأمم.

«حَذْوَ»: منصوبٌ على المصدر؛ أي: تحذون حذوهم.

«**الْقُذَّةِ**»: بضم القاف: واحدة القُذَذ، وهي ريش السهم. وله قذّتان متساويتان.

«حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ»؛ أي: لو تُصوِّر دخولهم فيه مع ضيقه.

«لَدَخَلْتُمُوهُ»: لشدة سلوككم طريق من قبلكم.

«**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟**»؛ أي: أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم، أو تعني اليهود والنصارى؟

«قَالَ: فَمَنْ؟»: استفهامٌ إنكاريٌّ؛ أي: فمن هم غير أولئك.

«**أَخْرَجَاهُ**»؛ أي: البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرًا معناه النهي عما يتضمنه هذا الخبر: أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى، إلا فعلته كلَّه، لا تترك منه شيئًا، ولو كان شيئًا تافهًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

ويؤكد هذا الخبرَ بأنواع من التأكيدات، وهي: اللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد.

ووصف مشابهتهم بأنها كمشابهة قذة السهم للقذة الأخرى، ثم وصفها بما هو أدق في التشبه بهم؛ بحيث لو فعلوا شيئًا تافهًا غريبًا، لكان في هذه الأمة من يفعله تشبُّهًا بهم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على وقوع الشرك في هذه الأمة؛ لأنه وُجد في الأمم قبلنا، ويكون في هذه الأمة من يفعله اتباعًا لهم.

ما يستفاد من الحديث:

١- وقوع الشرك في هذه الأمة؛ تقليدًا لمن سبَقها من الأمم.

٢- علمٌ من أعلام نبوته؛ حيث أخبر بذلك قبل وقوعه، فوقع كما أخبر.

٣- التحذير من مشابهة الكفار.

٤- التحذير مما وقع فيه الكفار من الشرك بالله وغيره مما حرَّم الله تعالى.

ولِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَأَنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

وَرَوَاهُ الْبُرْقَانِي فِي صَحِيحِهِ وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تُعْبَدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»(٢).

الشَّرْح

ترجمة ثوبان: هو مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صحِبَه، ولازمَه، وسَكَنَ بعده بالشام، ومات بحمص سنة ٥٤هـ.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).
(٢) أخرجه بهذه الزيادة: أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨).

«**زَوَى لِي الْأَرْضَ**»: طواها، وجعلها مجموعة كهيئة كفٍّ في مرآةٍ ينظره، فأبصر ما تملكه أمته من أقصى مشارق الأرض ومغاربها.

«**مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»: يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل، وأن يكون مبنيًّا للمفعول.

«**الْكَنْزَيْنِ**»: كنزُ كسرى، وهو ملكُ الفرس، وكنز قيصرَ، وهو ملكُ الروم.

«**الْأَحْمَرَ**»: عبارةٌ عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب.

«**وَالْأَبْيَضَ**»: عبارةٌ عن كنز كِسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة. والأحمر والأبيضَ منصوبان على البدل.

«**بِسَنَةٍ**»: السنة: الجدْب.

«**عَامَّةٍ**»: صفةٌ لسنةٍ -رُوي بالباء وبحذفها-؛ أي: جدبٌ عامّ يكون به الهلاك العام.

«**مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ**»؛ أي: من غيرهم من الكفار.

«**بَيْضَتَهُمْ**»: قيل: ساحتهم، وما حازوه من البلاد، وقيل: معظمهم وجماعتهم.

«**حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا**»؛ أي: حتى يوجد ذلك منهم، فعند ذلك يسلِّط عليهم عدوَّهم من الكفار.

«**الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»؛ أي: الأمراء والعلماء والعباد، الذين يقتدي بهم الناس.

«**وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ**»؛ أي: وقعت الفتنة والقتال بينهم.

«لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ أي: تبقى الفتنة والقتال بينهم.

«حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي»، الحي: واحد الأحياء، وهي القبائل.

«بِالْمُشْرِكِينَ»؛ أي: ينزلون معهم في ديارهم.

«فِئَامٌ»؛ أي: جماعات.

«خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»؛ أي: آخر النبيين.

«حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»: الظاهر أن المراد به: الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين.

«تَبَارَكَ»: كمُل وتعاظم وتقدَّس، ولا يقال إلا لله.

«وَتَعَالَى»: تعاظم وكمُل علُوُّه.

المعنى الإجمالي للحديث: هذا حديثٌ جليلٌ يشتمل على أمور مهمة وأخبار صادقة، يخبر فيها الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله سبحانه جمع له الأرض، حتى أبصر ما تملكه أمته من أقصى المشارق والمغارب، وهذا خبرٌ وُجد مخبره، فقد اتسع ملك أمته، حتى بلغ من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، وأخبر أنه أُعطي الكنزين، فوقع كما أخبر، فقد حازت أمته ملكي كسرى وقيصر بما فيهما من الذهب والفضة والجوهر، وأخبر أنه سأل ربه لأمته أن لا يهلكهم بجدبٍ عامٍّ، ولا يسلط عليهم عدوًا من الكفار، يستولي على بلادهم، ويستأصل جماعتهم. وأن الله أعطاه المسألة الأولى، وأعطاه المسألة الثانية ما دامت الأمة متجنبة للاختلاف والتفرق والتناحر فيما بينها، فإذا وُجد ذلك، سلط عليهم عدوهم من الكفار، وقد وقع كما أخبر حينما تفرقت الأمة.

وتخوّف صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته خطر الأمراء والعلماء الضالين المضلين؛ لأن الناس يقتدون بهم في ضلالهم.

وأخبر أنها إذا وقعت الفتنة والقتال والأمة كذلك، فإن ذلك يستمر فيها إلى يوم القيامة، وقد وقع كما أخبر، فمنذ حدثتِ الفتنة بمقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهي مستمرة إلى اليوم.

وأخبر أن بعض أمته يلحقون بأهل الشرك في الدار والديانة، وأن جماعاتٍ من الأمة ينتقلون إلى الشرك، وقد وقع كما أخبر، فعُبدت القبور والأشجار والأحجار.

وأخبر عن ظهور المدّعين للنبوة، وأن كل من ادعاها، فهو كاذب؛ لأنها انتهت ببعثته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبشّر صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببقاء طائفة من أمته على الإسلام رغمَ وقوع هذه الكوارث والويلات، وأن هذه الطائفة مع قِلّتها لا تتضرر بكيد أعدائها ومخالفيها.

مناسبة الحديث للباب: أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر فيه أن جماعات من أمته ستعبد الأوثان؛ ففيه الرد على من أنكر وقوع الشرك في الأمة.

ما يستفاد من الحديث:

١- وقوع الشرك في هذه الأمة، والرد على من نفى ذلك.

٢- علمٌ من أعلام نبوته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر بأخبار وقع مضمونها كما أخبر.

٣- كمال شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته؛ حيث سأل ربه لها ما فيه خيرها، وأعظمُه التوحيد، وتخوّف عليها ما يضرها، وأعظمُه الشرك.

٤- تحذير الأمة من الاختلاف ودعاة الضلال.

٥- ختم النبوة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية وببقاء طائفة عليه، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها.

٢٣ - بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجبتُ: السِّحْرُ. والطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»[١].

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»[٢].

الشَّرح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه لمّا كان السحر من أنواع الشرك -إذ لا يأتي السحر بدون الشرك-، عقد له المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد؛ ليبين ذلك تحذيرًا منه.

مَا جَاءَ: أي: من الوعيد وبيان منافاته للتوحيد وتكفير فاعله.

---

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (٥/ ١٣١)، وأخرجه مقتصرًا على شطره الأول ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٧٤). وأخرجه البخاري معلقًا في صحيحه (ص٨٣٥)، كتاب تفسير القرآن، (باب: وإن كنتم مرضى أو على سفر).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٧٦)، وأخرجه البخاري معلقًا في صحيحه (ص٨٣٥)، كتاب تفسير القرآن، (باب: وإن كنتم مرضى أو على سفر).

فِي السِّحْرِ: السحر لغة: عبارةٌ عما خفي ولطُف سببه[١].

وشرعًا: عزائم ورقى وكلام يُتكلم به، وأدوية وتدخينات وعُقد، يؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرض، ويَقتل، ويفرّق بين المرء وزوجه[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾؛ أي: علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل.

﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: رضي بالسحر عوضًا عن شرع الله ودينه.

﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾: من نصيب.

﴿بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: كلمةٌ تقع على الصنم والساحر والكاهن[٣].

وتفسير عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ له بالسحر من تفسير الشيء ببعض أفراده.

﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: من الطغيان وهو: مجاوزة الحد[٤]، فكل من تجاوز المقدار والحد في العصيان، فهو طاغوت.

«**الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ**»: المراد به أن الكهان من الطواغيت؛ فهو من أفراد المعنى، وليس المراد الحصر.

«**ينزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيطانُ**»؛ أي: الشياطين، لا إبليس خاصة؛ فهو اسم جنس.

«**فِي كُلِّ حَيٍّ**»: في كل قبيلة.

---

(١) انظر: مادة (سحر) في: تهذيب اللغة (٤/ ١٧٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٣٤٨)، والتعاريف (ص١٩١).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٢٨)، والكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ١٦٤).

(٣) انظر: (ص٢٠٤).

(٤) انظر: (ص١٣).

المعنى الإجمالي للآيتين: يقول تعالى: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله لمن استبدل السحر بكتاب الله ومتابعة رسله ما له نصيب في الآخرة.

وفي الآية الثانية: يخبر تعالى عن اليهود أنهم يصدقون بالجبت الذي منه السحر.

مناسبة الآيتين للباب: أنهما يدلان على تحريم السحر، وأنه من الجبت.

ما يستفاد من الآيتين:

١- تحريم السحر.

٢- كفر الساحر.

٣- الوعيد الشديد لمن أعرض عن كتاب الله، واستبدل به غيره.

٤- أن السحر من الشرك المنافي للتوحيد؛ لأنه استخدامٌ للشياطين وتعلق بهم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ»[(١)].

الشَّرْح

هذا الحديث رواه البخاري ومسلمٌ.

«اجْتَنِبُوا»: أَبْعِدُوا.

«المُوبِقَاتِ»: المهلكات، سُميت موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا والآخرة.

«الشِّرْكُ بِاللهِ»: بأن يجعل لله ندًا يدعوه، ويرجوه، ويخافه.

«الَّتِي حَرَّمَ اللهُ»؛ أي: حرم قتلها.

«إِلَّا بِالحَقِّ»؛ أي: بفعل موجبٍ للقتل.

«وَأَكْلُ الرِّبَا»؛ أي: تناوله بأي وجه.

«وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ»: يعني: التعدي فيه. واليتيم: من مات أبوه وهو دون البلوغ.

«وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ»؛ أي: الإدبار من وجوه الكفار وقت القتال.

«وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ»: رميهن بالزنا. والمحصنات: المحفوظات من الزنا. والمراد: الحرائر العفيفات.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦، ٥٧٦٤، ٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩).

«**الغَافِلَاتِ**»: عن الفواحش وما رمين به؛ أي: البريئات.

«**الْمُؤْمِنَاتِ**»: بالله.

المعنى الإجمالي للحديث: يأمر ﷺ أمته بالابتعاد عن سبع جرائم مهلكاتٍ، ولما سُئل عنها: ما هي؟ بيّنها بأنها الشرك بالله باتخاذ الأنداد له من أي شكل كانت، وبدأ بالشرك؛ لأنه أعظم الذنوب، وقتلِ النفس التي منع الله من قتلها إلا بمسوغٍ شرعي، وتناول الربا بأكلٍ أو بغيره من وجوه الانتفاع، والتعدي على مال الطفل الذي مات أبوه، والفرار من المعركة مع الكفار، ورمي الحرائر العفيفات بالزنا.

وجه سياق الحديث في باب السحر: أن فيه دليلًا على تحريم السحر، واعتباره من الكبائر المهلكة.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الشرك، وأنه هو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب.

٢- تحريم السحر، وأنه من الكبائر المهلكة ومن نواقض الإسلام.

٣- تحريم قتل النفس بغير حق.

٤- جواز قتل النفس إذا كان بحقٍّ؛ كالقصاص، والردة، والزنا بعد إحصان.

٥- تحريم الربا وعظيم خطره.

٦- تحريم الاعتداء على مال الأيتام.

٧- تحريم الفرار من الزحف.

٨- تحريم القذف بالزنا واللواط.

٩- أن قذف الكافر ليس من الكبائر.

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِرمِذِيُّ. وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ[(١)].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنْ بَجَالَةَ بن عَبْدَةَ قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»[(٢)].

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ»[(٣)]، وَكَذَلِكَ صَحَ عَنْ جُنْدُبٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

«حَدُّ السَّاحِرِ»؛ أي: عقوبته.

«ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»؛ أي: قتله، رُوي «ضربه» بالهاء والتاء.

مَوْقُوفٌ: أي: من كلام الصحابي، لا من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هم: عمر، وحفصة، وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٤/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦١)، و عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٨٤)، والحاكم (٤/ ٤٠١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٤٣)، وأحمد في المسند (١/ ١٩٠)، والشافعي في مسنده (ص٣٨٣). وأخرجه البخاري بغير هذا اللفظ، ولم يذكر قتل السواحر (٣١٥٦).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٨١)، والشافعي في مسنده (ص٣٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٦).

مناسبة الآثار للباب: أن فيها بيانَ حدّ الساحر بأنه القتل؛ مما يدل على عِظَم جريمة السحر، وأنه من الكبائر.

ما يستفاد من الآثار:

١- بيان حد الساحر، وأنه يُقتل، ولا يُستتاب.

٢- وجود تعاطي السحر في المسلمين على عهد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكيف بمن بعده؟!

❀❀❀

٢٤- بَابُ بَيَانِ شَيءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ، حَدَّثَنِي قَطَنُ ابْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»، قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْجِبْتُ، قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانُ»(١). إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلأَبِي دَاوُدَ والنَّسائِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ فِي (صَحِيحِهِ) الْمُسْنَدِ مِنْهُ(٢).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر في الباب الذي قبل هذا السحر، ذكر في هذا الباب شيئًا من أنواعه؛ لكثرة وقوعها، وخفائها على الناس، حتى ظنّوها من كرامات الأولياء، وآل بهم الأمر إلى أن عبدوا أصحابها، فوقعوا في الشرك العظيم.

التراجم:

١- أحمد: هو الإمام أحمد بن حنبل.

٢- محمد بن جعفر: هو المشهور بغُنْدُر الهُذَليّ البصري، ثقةٌ مشهور.

٣- عوف: هو ابن أبي جَميلة، المعروف بعوفٍ الأعرابي، ثقة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٤/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٠٢).

٤- عن أبيه: هو قبيصة بن المُخارق الهلالي صحابي مشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- الحسن: هو الحسن البصريّ.

«**زَجْرُ الطَّيْرِ**»: التفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها.

«**مِنَ الْجِبْتِ**»؛ أي: من أعمال السحر.

«**يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ**»: يخطه الرمالون، ويدعون به علم الغيب.

«**الْجِبْتُ رَنَّهُ الشَّيْطَانُ**»: هذا تفسير للجبت ببعض أفراده.

والرنة: الصوت، ويدخل فيه كل أصوات الملاهي، وأضافه إلى الشيطان؛ لأنه يدعو إليه.

وَلأَبِي دَاوُدَ والنَّسائِي وابنِ حِبَّانَ فِي (صَحِيحِهِ) الْمُسْنَدِ مِنْهُ: أي: أن هؤلاء رَوَوا الحديث، واقتصروا على المرفوع منه، ولم يذكروا تفسير عوف.

مناسبة الحديث للباب: بيان أن العِيافة والطَرْق والطيَرة من الجبت الذي هو السحر المنافي للتوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم ادعاء علم الغيب؛ لأنه ينافي التوحيد.

٢- تحريم الطيرة؛ لأنها تنافي التوحيد أو كماله.

٣- تحريم الملاهي بأنواعها؛ لأنها تنافي طاعة الله وكمال توحيده.

٤- أن الملاهي بأنواعها -من الأغاني، والمزامير، وسائر آلات اللهو- من رنّة الشيطان، الذي شأنه كله الصد عن سبيل الله.

❁❁❁

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**». **رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ**[1].

الشَّرْح

«**مَنِ اقْتَبَسَ**»: من تعلّم.

«**شُعْبَةً**»: طائفة وقطعة.

«**شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**»: المعلوم تحريمه.

«**زَادَ مَا زَادَ**»: يعني: كلما زاد من علم النجوم، زاد له من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد من اقتباس شعب السحر مثل ما زاد من اقتباس علم النجوم.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذ الحديث خبرًا معناه النهيُ والتحذيرُ أن من تعلّم شيئًا من التنجيم، فقد تعلّم شيئًا من السحر المحرّم، وكلما زاد تعلّمه التنجيم، زاد تعلمه السحر؛ وذلك لأن التنجيم تحكمٌ على الغيب، بحيث إن المنجم يحاول اكتشاف الحوادث المستقبلة التي هي من علم الغيب، الذي استأثر الله بعلمه.

مناسبة الحديث للباب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر فيه أن التنجيم نوعٌ من أنواع السحر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد في المسند (١/ ٢٢٧).

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التنجيم الذي هو الإخبار عن المستقبل اعتمادًا على أحوال النجوم؛ لأنه من ادعاء علم الغيب.

٢- أن التنجيم من أنواع السحر المنافي للتوحيد.

٣- أنه كلما زاد تعلّمه للتنجيم، زاد تعلّمه للسحر.

وَللنَّسائِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ»[١].

الشَّرْح

«مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً»: على شكل ما يفعله السحرة من عقدِ الخيوط ونحوها.

«ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا»: النفث هو: النفخ مع ريقٍ، وهو دون التفل.

«فَقَدْ سَحَرَ»؛ أي: فعل السحر المحرم.

«وَمَنْ سَحَرَ، فَقَدْ أَشْرَكَ»؛ لأن السحر لا يتأتى بدون الشرك؛ لأنه استعانة بالشياطين.

«وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ»؛ أي: من تعلق قلبه بشيء، واعتمد عليه، وكله الله إلى ذلك الشيء، وخذله.

معنى الحديث إجمالًا: يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوعًا من أنواع السحر وحكمَه، محذرًا أمته من تعاطيه، فيقول: إن من أنواع السحر أن يعقد العقد في الخيوط ونحوها، وينفخ في تلك العُقد نفخًا مصحوبًا بالريق؛ وذلك أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر، عقدوا الخيوط، ونفثوا على كل عقدةٍ؛ حتى ينعقد ما يريدون من السحر، فتتكيف نفسه الخبيثة بالشر، ويستعين بالشياطين، وينفخ في تلك العقد، فيخرج من نفسه الخبيثة نفَسٌ مقترنٌ

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٣٠٧)، والمجتبى (٧/ ١١٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٨).

بالريق الممازج للشر، ويستعين بالشياطين، فيصيب المسحورَ بإذن الله الكونيّ القدريّ.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان نوع من أنواع السحر، وهو سحر العقد، المسمى بالعزيمة.

ما يستفاد من الحديث:

١- بيان نوع من أنواع السحر، وهو ما كان بواسطة العقد والنفث.

٢- أن السحر شركٌ؛ لأنه استعانة بالشياطين.

٣- أن من اعتمد على غير الله، خذله الله وأذله.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

الشَّرْح

«**أَلَا**»: أداة تنبيه.

«**أُنَبِّئُكُمْ**»: أخبركم.

«**الْعَضْهُ**»: بفتح العين وسكون الضاد مصدر عَضَه يعْضَهُ عضْهًا، بمعنى كذَب وسحر، والمراد به هنا: السحر.

«**النَّمِيمَةُ**»: نقل الحديث على وجه الإفساد.

«**الْقَالَةُ**»: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكى للبعض عن البعض.

المعنى الإجمالي للحديث: أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحذّر أمته عن السعاية بين الناس بنقل حديث بعضهم في بعض على وجه الإفساد، فافتتح حديثه بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقع في النفوس وأدعى للانتباه، فسألهم: ما العَضْهُ؟ أي: ما السحر؟ ثم أجاب عن هذا السؤال بأن العضه هو نقل الخصومة بينهم؛ لأن ذلك يفعل ما يفعله السحر من الفساد وتفريق القلوب.

مناسبة الحديث للباب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن فيه أن النميمة نوعٌ من أنواع السحر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

ما يستفاد من الحديث:

١- أن النميمة نوعٌ من أنواع السحر؛ لأنها تفعل ما يفعله السحر من التفريق بين القلوب والإفساد بين الناس، لاأن النمام يأخذ حكم الساحر من حيثُ الكفر وغيره.

٢- تحريم النميمة، وأنها من الكبائر.

٣- التعليم على طريقة السؤال والجواب؛ لأن ذلك أثبتُ في الذهن وأدعى للانتباه.

❀❀❀

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»**[١].

الشَّرْح

«**البَيَان**»: البلاغة والفصاحة.

«**لَسِحْرًا**»؛ أي: يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل والباطلَ في قالب الحق، فيستميل قلوب الجهال.

المعنى الإجمالي للحديث: يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوعًا آخر من أنواع السحر، وهو: البيان المتمثل في الفصاحة والبلاغة؛ لما يُحدِثه هذا النوع من أثر في القلوب والأسماع؛ حتى ربما يصور الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق؛ كما يفعل السحر. والمراد ذمّ هذا النوع من البيان الذي يلبس الحق بالباطل، ويموّه على السامع.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيانَ نوع من أنواع السحر، وهو بعض البيان.

ما يستفاد من الحديث:

١- بيان نوع من أنواع السحر، وهو البيان الذي فيه التمويه.

٢- ذمّ هذا النوع من البيان، وأما البيان الذي يوضح الحق، ويقرره، ويبطل الباطل، ويدحضه، فهو ممدوح.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمِ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْ النَّبِيِّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»**(١).

الشَّرْح

الْكُهَّان: جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل؛ اعتمادًا على الاستعانة بالشياطين.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما كان الكهان ونحوهم يدّعون علم الغيب الذي قد اختص به الله تعالى، وذلك دعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب، أراد المصنف أن يبين في هذا الباب ما جاء في حقهم وحق من صدّقهم من الوعيد.

مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ: أي: من التغليظ والوعيد.

وَنَحْوِهِمِ: كالعرافين والمنجّمين والرمّالين.

عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هي حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

«لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ»؛ أي: لا ثواب له فيها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) من طريق نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس فيه: «فَصَدَّقَهُ».

المعنى الإجمالي للحديث: يبين ﷺ الوعيد المترتب على الذهاب إلى الكهان ونحوهم لسؤالهم عن المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، أن جزاءَ من فعل ذلك حرمانُه من ثواب صلاته لمدة أربعين يومًا؛ لتلبّسه بالمعصية.

وفي هذا وعيد شديد، ونهيٌ أكيد عن هذا الفعل، مما يدل على أنه من أعظم المحرمات، وإذا كان هذا جزاءُ من أتى الكاهن، فكيف بجزاء الكاهن نفسه؟! نعوذ بالله من ذلك، ونسأل الله العافية!

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن إتيان الكُهّان ونحوهم، وعن تصديقهم لمنافاته للتوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

١- المنع من الذهاب إلى الكهان وسؤالهم عن المغيبات وتصديقهم في ذلك، وأنه كفر.

٢- تحريم الكهانة، وأنها من الكبائر.

فائدة: من ذهب إلى الكهّان، ولم يصدقهم، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا -كما جاء في ذلك الحديث الآخر-، وأما من صدّقهم، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ(١).

وَلِلأَرْبَعَةِ وَالحَاكِمِ -وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا- عَنِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

وَلأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيْدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا(٣).

الشَّرْح

«بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ أي: الكتاب والسنة.

المعنى الإجمالي للحديث بروايتيه: الوعيد الشديد على إتيان الكهان والعرافين لسؤالهم عن المغيبات وتصديقهم في ذلك؛ لأن علم الغيب قد اختص الله تعالى به، فمن أتاهم وصدّقهم، فقد كفر بالوحي المنزّل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٦)، والدارمي (١١٣٦).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (٢/ ٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه بنحوه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٢٣)، والدارمي في سننه (١١٣٦). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧): (وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين، أخرجها البزار بسندين جيدين).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٩/ ٢٨٠).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن إتيان الكهّان والعرافين وبيان الوعيد في ذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الذهاب إلى الكهان والعرافين وسؤالهم ووجوب الابتعاد عنهم؛ لأن ذلك كفرٌ إذا صدقهم، ومحرمٌ إذا لم يصدقهم.

٢- وجوب تكذيب الكهان والمنجمين.

٣- من أتاهم وصدقهم، فقد كفر بالوحي المنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- أن الكهانة شرك؛ لأنها تتضمن دعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب.

وَعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَه، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». رَوَاهُ البَزارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ[(١)].

وَرَوَاهُ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَاسٍ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا....» إِلَى آخِرِهِ[(٢)].

قَالَ البَغَوِي: (العَرَّافُ: الذي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُ بِهَا عَلَى المَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)[(٣)].

وَقِيلَ: (هُوَ الكَاهِنُ، وَالكَاهِنُ: هُوَ الذي يُخْبِرُ عَنْ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقبلِ، وَقِيلَ: الذي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ).

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (العَرَّافُ اسْمٌ للكَاهِنِ، وَالمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ)[(٤)].

الشَّرح

«لَيْسَ مِنَّا»؛ أي: لا يفعل هذا من هو من أشياعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.

«مَنْ تَطَيَّرَ»: فَعل الطيرة.

«أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ»: أمر من يُتطير له، ومثله بقية الألفاظ.

---

(١) أخرجه البزار (٩/ ٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٢).

(٣) انظر: شرح السنة (١٢/ ١٨٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

المعنى الإجمالي للحديث: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يكون من أتباعنا المتبعين لشرعنا من فعل الطيرة أو الكهانة أو السحر، أو فُعلت له هذه الأشياء؛ لأن فيها ادعاء لعلم الغيب الذي اختص الله به، وفيها إفساد للعقائد والعقول، ومن صدّق من يفعل شيئًا من هذه الأمور، فقد كفر بالوحي الإلهي الذي جاء بإبطال هذه الجاهليات ووقاية العقول منها. ويلحق بذلك ما يفعله بعض الناس من قراءة ما يسمّى بالكف، أو ربط سعادة الإنسان وشقائه وحظّه بالبروج ونحو ذلك.

وقد بين كلٌّ من الإمامين البغوي وابن تيمية معنى العرّاف والكاهن والمنجم والرّمّال بما حاصلُه: أن كل من يدعي علم شيءٍ من المغيبات، فهو إما داخلٌ في اسم الكاهن، أو مشاركٌ له في المعنى، فيلحق به، والكاهن هو الذي يخبر عما يحصل في المستقبل، ويأخذ عن مسترق السمع من الشياطين؛ كما سبق في أول كتاب التوحيد.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي والتغليظ عن فعل الكهانة ونحوها وتصديق أهلها.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم ادعاء علم الغيب؛ لأنه ينافي التوحيد.

٢- تحريم تصديق من يفعل ذلك بكهانةٍ أو غيرها؛ لأنه كفرٌ.

٣- وجوب تكذيب الكهان ونحوهم ووجوب الابتعاد عنهم وعن علومهم.

٤- وجوب التمسك بما أُنزل على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطرح ما خالفه.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ)، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ»(١).

الشَّرْح

يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ): أي: يقطعون حروف «أبجد هوز... إلخ» التي تسمى حروف الجمل، ويتعلمونها لادعاء علم الغيب.

وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: أي: ويعتقدون أن لها تأثيرًا؛ فيبنون أمورهم على زعمٍ فاسدٍ واعتقادٍ باطل في النجوم والحساب، الذي يظنون أنهم يدركون به علم الغيب.

«مَا أَرَى»: بفتح الهمزة بمعنى: لا أعلم، وبضمها بمعنى: لا أظن.

«مِنْ خَلَاقٍ»: من نصيب.

المعنى الإجمالي للأثر: يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا أعلم ولا أظن أن من يكتب حروف (أبا جاد)، وينظر في النجوم، ويبني على ذلك الحكم على المستقبل، ما أرى لمن فعل ذلك نصيبًا عند الله؛ لأن ذلك يدخل في حكم العرّافين المدّعين لعلم الغيب.

مناسبة الأثر للباب: أنه يدل على أن كتابة (أبا جاد) وتعلّمها لمن يدعي بها معرفة علم الغيب والنظر في النجوم على اعتقاد أن لها تأثيرًا، كل ذلك يدخل في العرافة، ومن فعله، فقد أضاع نصيبه من الله.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٩)، وشعب الإيمان (٤/ ٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٤٠).

ما يستفاد من الأثر:

١- تحريم تعلّم (أبا جاد) على وجه ادعاء علم الغيب به؛ لأنه ينافي التوحيد، أما تعلّمها للتهجّي وحساب الجمل، فلا بأس به.

٢- تحريم التنجيم؛ لأنه وسيلةٌ إلى الشرك بالله تعالى.

٣- عدم الاغترار بما يُؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم؛ لأن ذلك من باب الاستدراج لهم.

٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيْدٍ، وَأَبُو دَاودَ، وَقَالَ: «سُئِلَ أَحْمَدَ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ»[١].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لَمَّا ذكر المصنف حكم السحر والكهانة، ذكر في هذا الباب ما جاء في النُّشرة؛ لأنها قد تكون من قبَل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد.

النُّشْرَة: نوع من العلاج والرقية يعالَج به من كان يظن أن به مسًّا من السحر؛ سميت بذلك لأنها ينشر بها عنه ما خامره من الداء؛ أي يُكشف ويزال[٢].

سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ: أي: النشرة التي كان أهل الجاهلية يعملونها.

«هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»: لأنهم ينشرون عن المسحور بأنواع من السحر واستخدامات شيطانية.

«يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ»؛ أي: النشرة التي هي من عمل الشيطان.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود (٣٨٦٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٥٤).

المعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن علاج المسحور على الطريقة التي كانت تعلمها الجاهلية: ما حكمه، فأجاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه من عمل الشيطان أو بواسطته؛ لأنه يكون بأنواع سحرية واستخدامات شيطانيةٍ، فهي شركية ومحرمة.

مناسبة الحديث للباب: أنه دل على تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نُشرة الجاهلية.

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن النشرة على الصفة التي تعملها الجاهلية؛ لأنها سحر، والسحر كفر.

٢- مشروعية سؤال العلماء عما أشكل حكمه؛ حذرًا من الوقوع في المحذور.

❀❀❀

وَفِي الْبُخَارِي عَنْ قَتَادَةَ: «قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ: يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ». انْتَهَى(١).

وَرُوِيَ عَنْ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحُلُ السِّحْرِ إِلَّا سَاحِرٌ»(٢).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النَّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: حَلُّ سِحْرٍ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُ فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النَّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالأَدْوِيَةِ، وَالدَّعَوَاتِ المُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ(٣).

الشَّرْح

ترجمة قتادة: هو ابن دُعامة السدوسي البصري، ثقة من أحفظ التابعين، مات سنة بضع عشرة ومائة.

«بِهِ طِبٌّ»: بكسر الطاء أي: سحرٌ. كنوا عنه بالطب تفاؤلًا.

«يُؤَخَّذُ»: بفتح الواو مهموزة وتشديد الخاء؛ أي: يُحبس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: هل يستخرج السحر؟ (ص١٠٨٨). ووصله الطبري في التهذيب، والأثرم في السنن، كما في تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(٢) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار. ذكر ذلك ابن حجر في تغليق التعليق (٥/ ٤٩). وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٦٤).

(٣) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٦)، وزاد المعاد (٤/ ١٢٤-١٨١).

«لَا بَأْسَ بِهِ»؛ أي: بمعالجته بأمور مباحة لم يُرد بها إلا المصلحة ودفع المضرة.

«لَا يَحُلُّ السِّحْرِ إِلا سَاحِرٌ»؛ أي: لا يقدر على حلِّه إلا من يعرف السحر.

المعنى الإجمالي للأثرين: أن ابن المسيب سُئل عن حكم النشرة، فأفتى بجوازها؛ نظرًا لأن المقصود منها النفع وزوال الضرر، ولم يُنه عما كان كذلك، ومقصوده نوعٌ من النشرة لا محذور فيه: كالرقى بأسماء الله وكلامه.

وأما الحسن، فمقتضى كلامه منع النشرة؛ لأنه لا يقدر على حل السحر، إلا من له معرفةٌ بالسحر. وهذا محمولٌ على حل السحر بسحرٍ مثله، وهو من عمل الشيطان. وفي التفصيل الذي ذكره ابن القيم جمع بين القولين حاصله: أن علاج المسحور بأدوية مباحة وقراءة قرآن أمر جائز، وعلاجه بسحر مثله محرم. والله أعلم.

مناسبة الأثرين للباب: بيان التفصيل في حكم النشرة وبيان الجائز والممنوع منها.

٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس:١٩].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما كانت الطيرة نوعًا من الشرك الذي يتنافى مع التوحيد، أو ينقص كماله، عقد المصنف لها هذا الباب في كتاب التوحيد؛ تحذيرًا منها.

مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ: أي: من الوعيد. والتطير: مصدر تطيرَ، وهو التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع.

﴿أَلَآ﴾: أداة تنبيه.

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر.

﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾: ما قُضي عليهم وقُدِّر لهم.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله وبحكمه الكوني القدري بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: وصفٌ لهم بالجهالة وعدم العلم، وأنهم لا يدرون.

﴿طَٰٓئِرُكُم﴾؛ أي: حظكم وما نابكم من شرّ.

﴿ مَّعَكُمْ ﴾؛ أي: بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾؛ أي: من أجل أنا ذكرناكم قابلتمونا بقولكم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ [يس:١٨].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾: عادتكم الإسراف في العصيان، فمن ثمّ جاءكم الشؤم. والسرف: الفساد، وهو مجاوزة الحد في مخالفة الحق.

المعنى الإجمالي للآيتين:

الآية الأولى: لمّا كان قوم فرعون إذا أصابهم غلاء وقحط، قالوا: هذا أصابنا بسبب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه وبشؤمهم. رد الله تعالى عليهم بأن ما أصابهم من ذلك إنما هو بقضائه وقدره عليهم بكفرهم، ثم وصف أكثرهم بالجهالة وعدم العلم، ولو فهموا لعلموا أن موسى ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

الآية الثانية: أن الله سبحانه رد على من كذّب الرسل فأصيب بالبلاء، ثم ادعى أن سببه جاء من قبل الرسل وبسببهم، فبيّن الله سبحانه أن سبب هذا البلاء من قِبَل أنفسهم، وبسبب أفعالهم وكفرهم، لا من قبَل الرسل كما ادَّعوا. وكان اللائق بهم أن يقبلوا قول الناصحين ليسلموا من هذا البلاء؛ لكنهم قومٌ متمادون في المعاصي، فمن ثَم جاءهم الشؤم والبلاء.

مناسبة الآيتين للباب: أن الله ذكر أن التطير من عمل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله تعالى ومقَتهم.

ما يستفاد من الآيتين:

١- أن التطير من عمل الجاهلية والمشركين.

٢- إثبات القضاء والقدر والإيمان بهما.

٣- أن المصائب بسبب المعاصي والسيئات.

٤- في الآية الأولى: ذمٌّ للجهل؛ لأنه يؤدي إلى عدم معرفة الشرك ووسائله، ومن ثمّ الوقوع فيه.

٥- في الآية الثانية: وجوب قبول النصيحة؛ لأن عدم قبولها من صفات الكفار.

٦- أن ما جاءت به الرسل فهو الخير والبركة لمن اتبعه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ». أَخْرَجَاهُ**[1].

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ»[2].

الشَّرْح

«لَا عَدْوَى»: العدوى اسمٌ من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره، والمنفيّ ما كان يعتقده أهل الجاهلية أن العلة تسري بطبْعها لا بقدر الله.

«وَلَا طِيَرَةَ»: الطيرة هي: التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص، و«لا» يحتمل أن تكون نافية أو ناهية، والنفي أبلغ.

«وَلَا هَامَةَ»: الهامة بتخفيف الميم: البُومة كانوا يتشاءمون بها، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

«وَلَا صَفَرَ»: قيل المراد به: حيةٌ تكون في البطن، تصيب الماشية والناس، يزعمون أنها أشد عدوى من الجرب، فجاء الحديث بنفي هذا الزعم، وقيل: المراد: شهر صفر، كانوا يتشاءمون به، فجاء الحديث بإبطال ذلك.

«وَلَا نَوْءَ»: سيأتي بيان ذلك في بابه إن شاء الله.

«وَلَا غُولَ»: الغُول جنسٌ من الجن والشياطين، يزعمون أنها تضلهم عن الطريق، وتهلكهم، فجاء الحديث بإبطال ذلك، وبيان أنها لاتستطيع أن تضل أحدًا أو تهلكه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (١٠٦) (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المعنى الإجمالي للحديث: ينفي ﷺ ما كانت تعتقده الجاهلية من اعتقادات باطلة؛ من التشاؤم بالطيور وبعض الشهور والنجوم وبعض الجن والشياطين، فيتوقعون الهلاك والضرر منها؛ كما كانوا يعتقدون سريان الأمراض من محل الإصابة إلى غيرها بأنفسها.

فيرد ﷺ كل هذه الخرافات، ويغرس مكانها التوكل على الله وعقيدة التوحيد الخالص.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على إبطال الطيرة، وأنها اعتقادٌ جاهليٌّ.

ما يستفاد من الحديث:

١- إبطال الطيرة.

٢- إبطال اعتقاد الجاهلية أن الأمراض تُعدي بطبيعتها، لا بتقدير الله تعالى.

٣- إبطال التشاؤم بالهامة وشهر صفر.

٤- إبطال اعتقاد تأثير الأنواء.

٥- إبطال اعتقاد الجاهلية في الغيلان.

٦- وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه.

٧- أن من تحقيق التوحيد الحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك.

٨- إبطال ما يفعله بعض الناس من التشاؤم بالألوان -كالأسود والأحمر-، أو بعض الأرقام والأسماء والأشخاص وذوي العاهات.

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»(١).

الشَّرْح

«الفَأْلُ»: مهموزٌ فيما يُسِرّ ويسوء، بخلاف الطيرة؛ فلا تكون إلا فيما يسوء.

«الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»: كأن يكون الرجل مريضًا، فيسمع من يقول: (يا سالم)، فيؤمل البرء من مرضه.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه بيان أن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها.

٢- تفسيرُ الفأل.

٣- مشروعية حسن الظن بالله، والنهي عن سوء الظن به.

الفرق بين الفأل والطيرة:

١- الفأل يكون فيما يسر.

٢- الفأل فيه حسن ظنٍّ بالله، والعبد مأمورٌ أن يحسن الظن بالله.

٣- الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.

٤- الطيرة فيها سوء ظن بالله، والعبد منهيّ عن سوء الظن بالله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢) (٢٢٢٤).

وَلِأَبِي دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُرْوَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»**(١).

الشَّرْح

ترجمة عروة: هو: عروة بن عامر القرشي، وقيل: الجهَني المكي. ذكره ابن حبان في الثقات.

«**وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا**»: بخلاف الكافر؛ فإنها تردّه عن قصده.

«**لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ**»؛ أي: ولا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع السيئات.

«**وَلَا حَوْلَ**»: الحول: التحول والانتقال من حالٍ إلى حالٍ.

«**وَلَا قُوَّةَ**»: على ذلك.

«**إِلَّا بِكَ**»: وحدك.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر الراوي أن الطيرة ذُكرت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليبين حكمَها وما يُعمل حيالَها، فأبطل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطيرة، وأخبر أن الفأل منها؛ ولكنه خيرٌ منها، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الطيرة لا تردُّ مسلمًا عن قصده؛ لإيمانه أنه لا ضارّ ولا نافع إلا الله، وإنما ترد المشرك

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٩).

الذي يعتقدها، ثم أرشد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العلاج الذي تدفع به الطيرة، وهو هذا الدعاء المتضمن تعلق القلب وحده في جلب النفع ودفع الضر والتبري من الحول والقوة إلا بالله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه إبطال الطيرة وبيان ما تُدفع به واستثناء الفأل منها.

ما يستفاد من الحديث:

١- إبطال الطيرة وبيان ما تدفع به من الدعاء والذكر.

٢- أن ما يقع في القلب من الطيرة لا يضر، بل يُذهِبه الله بالتوكل.

٣- أن الفأل من الطيرة، وهو خيرُها.

٤- وجوب التوكل على الله والتبرّي من الحول والقوة.

❀❀❀

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ[1].

الشَّرْح

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»: لما فيها من تعلق القلب على غير الله.

«**وَمَا مِنَّا إِلَّا**»: فيه إضمارٌ تقديره: وما منا إلا وقع في قلبه شيءٌ منها.

«**يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»؛ أي: التوكل على الله في جلب النفع ودفع الضر يذهب الطيرة.

آخِرهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وهو قوله: «**وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»، وهو الصواب؛ لأنها شركٌ، والنبي معصومٌ من الشرك.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر، ويكرر الإخبار؛ ليتقرر مضمونه في القلوب؛ أن الطيرة شرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله وسوء الظن به.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على أن الطيرة شركٌ.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣١٣).

ما يستفاد من الحديث:

١- أن الطيرة شركٌ؛ لأن فيها تعلق القلب على غير الله.

٢- مشروعية تكرار إلقاء المسائل المهمة؛ لتحفظَ وتستقر في القلوب.

٣- أن الله يذهب الطيرة بالتوكل عليه، فلا تضر من وجد في نفسه شيئًا منها، ثم توكَّل على الله، ولم يلتفت إليها.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ رَدَّتْه الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَاخَيْرَ إِلَّاخَيْرُكَ، وَلَاطَيْرَ إِلَّاطَيْرُكَ، وَلَاإِلَهَ غَيْرُكَ»(١).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ»(٢).

الشَّرْح

التراجم:

١- ابن عمرو هو: عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أحد السابقين المكثرين.

٢- الفضل هو: الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«فَقَدْ أَشْرَكَ»؛ لأنه لم يُخلص توكله على الله بالتفاته إلى غيره.

«كَفَّارَةُ ذَلِكَ»؛ أي: ما يقع من الطيرة.

«لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»؛ أي: لا معبود بحقٍّ سواك.

«إِنَّمَا الطِّيَرَةُ»؛ أي: المنهي عنها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٢٥٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٢٠١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٥): (رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٣).

«مَا أَمْضَاكَ»؛ أي: حملك على المضيّ فيما أردت.

«أَوْ رَدَّكَ»: عن المضي فيه.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الطيرة المنهي عنها والتي هي شركٌ، حقيقتها وضابطُها ما حمل الإنسان على المضيّ فيما أراده أو رده عنه اعتمادًا عليها، فإذا ردته عن حاجته التي عزم عليها -كإرادة السفر ونحوه-، فقد ولَج باب الشرك، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف.

ومفهوم الحديث: أن من لم تثنِه الطيرة عن عزمه، فإنها لا تضره.

ثم أرشد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى ما تدفع به الطيرة من الأدعية فيما فيه الاعتماد على الله والإخلاص له في العبادة.

مناسبة الحديثين للباب: أن فيهما بيانًا لحقيقة الطيرة الشركية.

ما يستفاد من الحديثين:

١- أن الطيرة شركٌ.

٢- أن حقيقة الطيرة الشركية ما دفعت الإنسان إلى العمل بها.

٣- أن ما لم يؤثّر على عزم الإنسان من التشاؤم، فليس بطيَرة.

٤- معرفة الذكر الذي تُدفع به الطيرة عن القلب وأهميته للمسلم.

٢٨ - بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: وَقَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». انتهى[١].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لمّا كان بعض التنجيم باطلًا؛ لِما فيه من دعوى مشاركة الله في علم الغيب، وتعلُّق القلب بغير الله، ونسبة التصرف إلى النجوم، وذلك ينافي التوحيد، ناسب أن يُعقد له بابٌ هنا، يبين فيه الممنوع والجائز منه؛ ليكون المسلم على بصيرةٍ من ذلك.

مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ: أي: ذكرُ ما يجوز منه وما لا يجوز منه، وذمُّه وتحريمه، وما ورد من الوعيد فيه.

والتنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو ما يسمّى بعلم التأثير.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: أي: تعليقًا.

«خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ»: هذا مأخوذٌ من القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا- كتاب بدء الخلق، باب في النجوم (ص٥٧٨)، والطبري في تفسيره (١٤/ ٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩١٣)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٣٩٥). وانظر: الدر المنثور (٣/ ٣٢٨).

«زِينَةً لِلسَّمَاءِ»: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك:٥].

«وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ»: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك:٥].

«وَعَلَامَاتٍ»؛ أي: دلالات على الجهات والبلدان وغير ذلك.

«يُهْتَدَى بِهَا»؛ أي: يهتدي بها الناس؛ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام:٩٧].

«فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ»؛ أي: من زعم فيها غير ما ذكره الله تعالى في هذه الثلاث، فادعى علم الغيب.

«أَخْطَأَ»؛ حيث تكلم رجمًا بالغيب.

«وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ»؛ أي: حظّه من عمره؛ لأنه اشتغل بما لا فائدة فيه، بل فيه مضرّة.

المعنى الإجمالي للأثر: أن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر الحكمة التي خلق الله من أجلها النجوم -كما ذكره الله في كتابه-؛ ردًّا على الذين ظهروا في عصره، ويعتقدون في النجوم غير ما ذكره خالقها في كتابه. وهؤلاء قالوا بلا علمٍ، وأفنوا أعمارهم فيما يضرّهم، وكلّفوا أنفسهم ما ليس في مقدورها الحصول عليه، وهكذا كل من طلب الحق من غير الكتاب والسنة.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه بيان الحكمة في خلق النجوم -كما ذكرها الله في كتابه- والرد على من زعم في النجوم حكمةً تخالف ما ذكره الله فيها.

ما يستفاد من الأثر:

١- بيان الحكمة في خلق النجوم كما دلّ عليها القرآن.

٢- الرد على من زعم أن النجوم خُلقت لحكمة غير ما ذكر الله فيها.

٣- أنه يجب الرجوع إلى كتاب الله؛ لبيان الحق من الباطل.

٤- أن من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة، فقد الصواب، وضيّع وقته، وتكلّف ما لا قدرة له في الوصول إليه.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلَ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ ابْنُ عُيينَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ(١).

الشَّرْح

التراجم:

١- ابْنُ عُيينَةَ: أي: سفيان بن عيينة.

٢- حَرْبٌ: أي: حربٌ الكرمانيّ من جلة أصحاب أحمد.

٣- أَحْمَدُ: أي: الإمام أحمد بن حنبل.

٤- وَإِسْحَاقُ: أي: إسحاق بن راهَوَيْه.

مَنَازِلَ القَمَرِ: التي ينزل القمر في كل ليلة منزلة منها، وهي ثمانٍ وعشرون منزلة، ومعرفة ذلك تسمى بعلم التسيير.

الغرض من هذا السياق: بيان خلاف العلماء في حكم تعلم منازل القمر، الذي هو «علم التسيير»، الذي الغرض منه الاستدلال به على القبلة، وأوقات الصلوات، ومعرفة الفصول. فإذا كان هذا اختلافهم في هذا النوع الذي لا محذور فيه -حسْمًا للمادة؛ لئلا يتوصل إلى الممنوع-، فما بالك بمنعهم من تعلُّم علم التأثير، الذي هو ضلالٌ وخطَرٌ.

---

(١) انظر: شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٥٥٣)، ومطالب أولي النهى (١/ ٣٨٥).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ[١].

الشَّرْح

ترجمة أبي موسى: هو أبو موسى الأشعريّ عبد الله بن قيس، صحابي جليل مشهور، مات بالكوفة سنة ٥٠ هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**»: هذا من نصوص الوعيد التي تُمر كما جاءت.

«**مُدْمِنُ الْخَمْرِ**»: المداوم على شربها حتى مات ولم يتب.

«**وَقَاطِعُ الرَّحِمِ**»؛ أي: الذي لا يقوم بواجب القرابة.

«**وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**»: الذي من أنواعه التنجيم؛ كما مر في الحديث: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**»[٢].

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه التحذير أن ثلاثةً من العصاة لا يدخلون الجنة:

الأول: المداوم على شرب المسكر من أيّ شيء كان.

الثاني: الذي لا يقوم بواجب القرابة التي أمر الله بصلتها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٠٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٥).

الثالث: مصدِّقٌ بالسحر الذي يجمع أنواعًا كثيرة وأشكالًا متعددة، ومنها التنجيم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه وعيد المصدق بالسحر، ومنه التنجيم الذي هو موضوع الباب.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التنجيم، وأنه من الكبائر؛ لأنه داخلٌ في السحر الذي لايدخل الجنة من صدّق به.

٢- تحريم شرب الخمر والوعيد الشديد في حقّ من مات ولم يتُب من شربها.

٣- وجوب صلة القرابة وتحريم قطيعتها.

٤- وجوب التكذيب بالسحر بجميع أنواعه.

٢٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لمّا كان نسبة نزول المطر إلى النوء على وجه الاعتقاد -أن له تأثيرًا في نزوله- شركًا أكبر؛ كاعتقاد جلب النفع أو دفع الضر في الأموات والغائبين، أو شركًا أصغر -إن كان لا يعتقد أن لها تأثيرًا، وإنما هي أسباب لنزول المطر-، ناسب أن يَعقد له المصنف بابًا في كتاب التوحيد للتحذير منه.

مَا جَاءَ: أي: من الوعيد.

فِي الاسْتِسْقَاءِ: أي: طلب السقيا ومجيء المطر.

بِالأَنْوَاءِ: جمع نَوء، وهي منازل القمر، وهي ثمانية وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس:٣٩]، وهي عبارة عن ثمانية وعشرين نجمًا معروفة المطالع، في كل ثلاثة عشر يومًا يغيب واحدٌ منها مع طلوع الفجر، ويطلع رقيبه من المشرق، وتنقضي كلها مع انقضاء السنة القمرية.

وتزعم العرب في الجاهلية أنه إذا غاب واحدٌ منها، وطلع رقيبه، يكون مطرٌ، وينسبونه إلى طلوع النجم أو غروبه، ويقولون: (مُطرنا بنوء كذا).

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾؛ أي: تجعلون نصيبكم -من شكر نعمة الله بإنزال المطر - التكذيب.

﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾: بنسبة النعم لغير الله من الكواكب، فتقولون: (مطرنا بنوء كذا وكذا).

المعنى الإجمالي للآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعيب على المشركين كفرَهم بنعمة الله بنسبة نزول المطر إلى النجم، ويخبرُ أن هذا القول كذبٌ محضٌ؛ لأن نزول المطر إنما هو بفضل الله وتقديره، ولا دخل فيه لمخلوق.

مناسبة الآية للباب: أن الله سبحانه أنكر نزول المطر إلى غيره من النجوم والأنواء، وسمّاه كذبًا.

ما يستفاد من الآية:

١- إبطال نسبة نزول المطر إلى الأنواء.

٢- أن نسبة نزول المطر إلى النوء كذب.

٣- وجوب شكر الله على نعمه، ووجوب نسبة نزول المطر إليه؛ تفضلًا منه وإحسانًا.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

الشَّرْح

ترجمة أبي مالك: اسمه الحارث بن الحارث الشامي صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ**»: المراد بالجاهلية هنا: ما قبل البعثة[٢]، سمُّوا بذلك لفرط جهلهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن منظور: (جَهِلَ: الجَهْلُ: نَقِيضُ العِلْم، وَقَدْ جَهِلَه فُلَانٌ جَهْلًا وجَهَالَة، وجَهِلَ عَلَيْهِ. وتَجَاهَلَ: أَظهر الجَهْلَ؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ. الجَوْهَرِيُّ: تَجَاهَلَ أَرَى مِنْ نَفْسِهِ الجَهْلَ وَلَيْسَ بِهِ، واسْتَجْهَلَه: عَدَّه جاهِلًا واسْتَخَفَّه أَيضًا. والتَّجْهِيل: أَن تَنْسُبَهُ إِلى الجَهْل، وجَهِلَ فُلَانٌ حَقَّ فُلَانٍ وجَهِلَ فُلَانٌ عَلَيَّ وجَهِلَ بِهَذَا الأَمر. والجَهَالَة: أَن تَفْعَلَ فِعْلًا بِغَيْرِ العِلْم. ابْنُ شُمَيْلٍ: إِن فُلَانًا لَجَاهِل مِنْ فُلَانٍ أَي جاهِلٌ بِهِ. وَرَجُلٌ جَاهِلٌ وَالْجَمْعُ جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّلٌ وجُهَّالٌ وجُهَلَاء؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ، قَالَ: شَبَّهوه بِفَعِيل كَمَا شَبَّهُوا فَاعِلًا بفَعُول؛ قَالَ ابْنُ جِنِّي: قَالُوا جُهَلاء كَمَا قَالُوا عُلَمَاء، حَمْلًا لَهُ عَلَى ضِدِّهِ. وَرَجُلٌ جَهُول: كجاهِل، وَالْجَمْعُ جُهُلٌ وجُهْلٌ). انظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، وقال ابن فارس: (جَهِلَ) الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَّةُ وَخِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ. فَالْأَوَّلُ الْجَهْلُ نَقِيضُ الْعِلْمِ. وَيُقَالُ لِلْمَفَازَةِ الَّتِي لَا عَلَمَ بِهَا مَجْهَلٌ). انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

وكل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهليّة.

«**لَا يَتْرُكُونَهُنَّ**»؛ أي: ستفعلها هذه الأمة؛ إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك.

«**الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ**»؛ أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم.

«**وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ**»؛ أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص.

«**وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**»؛ أي: نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء.

«**وَالنِّيَاحَةُ**»؛ أي: رفع الصوت والندب إلى الميت.

«**تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»: تبعث من قبرها، وتوقف يوم الحساب والجزاء.

«**وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ**»؛ أي: ثوبٌ من نحاس مذاب، تلطّخ به، فيصير كالثوب.

«**وَدِرْعٌ**»: الدرع: ثوب ينسج من حديد، يلبس في الحرب.

«**مِنْ جَرَبٍ**»: الجرب مرض جِلدي.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي ﷺ أنه سيستمر في الأمة شيءٌ من المعاصي التي كان يفعلها الناس قبل البعثة، وذلك يتمثل في أربع خصال، هي: التعاظم بالآباء -مع أنه لا شرف إلا بالتقوى-، وتنقّص أنساب الناس وعيبُها، ونسبة نزول المطر إلى طلوع النجوم والأنواء، ورفع الصوت بالبكاء على الميت، وندبه. ثم يبين الوعيد في حق الخصلة الأخيرة بأن من استمر عليها من غير توبة، فإنه يأتي يوم القيامة ملطخًا جسمُه

بالنحاس المذاب، حتى يكون ذلك كالقميص؛ لتشتعل به النار، وتلتصق بجسمه، وتنتن رائحته.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على تحريم الاستسقاء بالأنواء، وأنه من أمور الجاهلية.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الاستسقاء بالأنواء، وأنه من أمور الجاهلية.

٢- أن ما كان من أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم.

٣- أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلِهم، فهو مذمومٌ في دين الإسلام.

٤- منع التشبه بالجاهلية.

٥- تحريم الافتخار بالأحساب، وأنه من أمور الجاهلية.

٦- تحريم الوقوع في الأنساب بذمّها وتنقّصها.

٧- تحريم النياحة وبيان عقوبتها، وأنها من الكبائر.

٨- التوبة تكفر الذنب، وإن عظُم.

٩- أن المسلم قد يكون فيه شيء من خصال الجاهلية، ولا يقتضي ذلك كفرُه.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(١).

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢](٢).

الشَّرْح

ترجمة زيد بن خالد: هو الجهني المدني صحابيٌّ مشهور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«صَلَّى لَنَا»؛ أي: صلى بنا، فاللام بمعنى الباء.

«الحُدَيْبِيَة»: قريةٌ سميت ببئر هناك على مرحلة من مكة، تسمى الآن الشميسي.

«إِثْرِ»: بكسر الهمزة: ما يعقب الشيء.

«سَمَاء»: مطرٌ، سمي بذلك لأنه ينزل من السماء، وهي: كل ما ارتفع.

«مِنَ اللَّيْلِ»؛ أي: كان في تلك الليلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).
(٢) أخرجه مسلم (٧٣).

«**فَلَمَّا انْصَرَفَ**»؛ أي: التفت إلى المأمومين، وليس المراد الانصراف من المكان.

«**أَتَدْرُونَ؟**»: لفظ الاستفهام معناه التنبيه.

«**مِنْ عِبَادِي**»: المراد العبودية العامة.

«**وَكَافِرٌ**»؛ أي: الكفر الأصغر.

«**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»؛ أي: نسب المطر إلى غير الله، وهو يعتقد أن المنزل له هو الله.

«**صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**»؛ أي: صدق سحاب ومطر النجم الفلاني.

﴿**فَلَآ أُقۡسِمُ**﴾: هذا قسمٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو يقسم بما شاء من خلقه.

﴿**بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ**﴾؛ أي: مطالع الكواكب ومغاربها؛ على قول الأكثر من المفسرين.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر لنا هذا الصحابي الجليل ما كان من إرشاد النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأمته، بمناسبة نزول المطر، وما ينبغي لهم أن يقولوه عند ذلك، فيروي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ربه أنه حينما امتحن الناس بإنعامه عليهم بإنزال الغيث الذي فيه حياتهم، انقسموا إلى قسمين:

* قسمٌ اعترف بفضل الله، ونسب النعمة إليه على وجه الشكر.

* وقسمٌ أنكر فضل الله، ونسب النعمة إلى طلوع النجم أو غروبه، وسُمي عمله إيمانًا وعمل الثاني كفرًا.

وفي رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن هذه الآيات -وهي قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ وما بعدها- نزلت في إنكار نسبة نزول المطر إلى النجوم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه تحريم نسبة المطر إلى النجم وتسميته كفرًا وكذبًا.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم نسبة نزول المطر إلى النجم، وتسميته كفرًا.

٢- مشروعية تعليم الناس وتنبيههم على ما يخل بالعقيدة.

٣- وجوب شكر الله على النعمة، وأنه لا يجوز إضافتها إلى غيره.

٤- إلقاء التعليم على طريقة السؤال والجواب؛ لأنه أوقع في النفس.

٥- أن من سُئل عما لا يعلم، فإنه يتوقف، ويكل العلم إلى عالمه.

٦- وصف الله بالفضل والرحمة.

٧- أن من الكفر ما لا يخرج من الملة.

٣٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لمّا كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل دين الإنسان، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، نبّه المصنف على ذلك بهذا الباب.

﴿ أَندَادًا ﴾: أمثالًا ونظراء.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾؛ أي: من حب أصحاب الأنداد لله. وقيل: من حب أصحاب الأنداد لأندادهم.

معنى الآية إجمالًا: يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا، وما لهم في الآخرة من العذاب؛ حيث جعلوا لله أمثالًا ونظراء من خلقه، يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم. ويذكر سبحانه أن المؤمنين يخلصون المحبة لله؛ كما يخلصون له سائر أنواع العبادة.

ما يستفاد من الآية:

١- أن من اتخذ ندًّا يساوى محبته بمحبة الله، فهو مشركٌ الشرك الأكبر.

٢- أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا، ولا ينفعه ذلك إلا بإخلاص المحبة لله.

وَقولِ اللهِ تعالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

الشَّرْح

﴿ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾: أقرباؤكم مأخوذ من العِشرة.

﴿ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: اكتسبتموها.

﴿ كَسَادَهَا ﴾: فوات وقت نفاقها ورواجها.

﴿ وَمَسَٰكِنُ ﴾: منازل.

﴿ تَرْضَوْنَهَآ ﴾: تعجبكم الإقامة فيها.

﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾؛ أي: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾؛ أي: انتظروا ما يحل بكم من عقابه.

معنى الآية إجمالًا: أمر الله نبيه أن يتوعد من أحب هذه الأصناف أو بعضها، فآثرها على حب الله ورسوله وفِعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التي يحبها ويرضاها -كالهجرة والجهاد ونحو ذلك-، فبدأ الله بالآباء والأبناء والإخوان وكذا الأصدقاء ونحوهم، فمن ادّعى محبة الله وهو يقدم محبة هذه الأشياء على محبته، فهو كاذب، ولينتظر العقوبة.

مناسبة الآية للباب: أن فيها وجوب تقديم محبة الله ومحبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال على محبة ما سوى ذلك.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه.

٢- وجوب حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- الوعيد على من كانت هذه الثمانية أو غيرها أحب إليه من دينه.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». أَخْرَجَاهُ(١).

الشَّرْح

«**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**»؛ أي: الإيمان الكامل.

«**حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ**»: بنصب (أحب) خبر (أكون).

«**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»: من عطف العام على الخاص.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أحدًا لن يؤمن الإيمان الكامل، الذي تبرأ به ذمته، ويستحق به دخول الجنة، حتى يقدم محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة أقرب الناس إليه، وعلى محبة كل مخلوق؛ لأن بسببه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصول الحياة الأبدية، والإنقاذ من الضلال إلى الهدى، ومحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقتضي طاعته، واتباع ما أمر به، وتقديم قوله على قول كل مخلوق.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على وجوب تقديم محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة كل مخلوق، وأن تحقيق الإيمان مشروط بذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديمها على محبة كل مخلوق.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

٢- أن الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عمل القلب، وقد نُفي الإيمان عمّن لم يكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليه مما ذُكر.

٣- أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

٤- أن الإيمان الصادق لا بد أن يظهر أثره على صاحبه.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...» إِلَى آخِرِهِ(٢).

الشَّرْح

«**وَلَهُمَا عَنْهُ**»؛ أي: وللبخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه.

«**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ**»؛ أي: ثلاث خصال من وُجدن فيه. وجاز الابتداء بـ(ثلاث)؛ وإن كانت نكرة؛ لأنها على نية الإضافة.

«**وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ**»: لما يحصل له من لذة القلب ونعيمه وسروره.

«**أَحَبَّ إِلَيْهِ**»: منصوبٌ على أنه خبر (يكون).

«**مِمَّا سِوَاهُمَا**»: مما يحبه الإنسان بطبعه كالولد والأزواج ونحو ذلك.

«**أَنْ يُحِبَّ المَرْءَ**»: الذي يعتقد إيمانه وعبادته.

«**لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»؛ أي: لأجل طاعة الله.

«**أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ**»؛ أي: يرجع إليه.

«**كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»؛ يعني: يستوي عنده الأمران: الإلقاء في النار، أو العودة في الكفر.

«**وَفِي رِوَايَةٍ**»؛ أي: للبخاري.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ﷺ أن المسلم إذا توفّرت فيه ثلاث خصال -هي: تقديم محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما من أهل ومال، ويحب من يحبه من الناس من أجل إيمانه وطاعته لله، لا لغرض دنيوي، ويكره الكفر كراهيةً متناهيةً، بحيث يستوي عنده الإلقاء في النار والرجوع إليه-، من توفرت هذه الخصال الثلاث فيه، ذاق حلاوة الإيمان، فيستلذ الطاعات، ويتحمل المشقات في رضا الله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه فضيلة تقديم محبة الله ورسوله محمد ﷺ على محبة ما سواهما.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضيلة تقديم محبة الله ورسوله محمد ﷺ على كل شيء.

٢- فضيلة المحبة في الله.

٣- أن المؤمنين يحبون الله تعالى محبة خالصة.

٤- أن من اتصف بهذه الخصال الثلاث أفضل ممن لم يتصف بها، ولو كان المتصف بها كافرًا، فأسلم، أو كان مذنبًا، فتاب من ذنبه.

٥- مشروعية بغض الكفر والكافرين؛ لأن من أبغض شيئًا، أبغض من اتصف به.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ في اللهِ، وَأَبْغَضَ في اللهِ، وَوَالى في اللهِ، وَعَادَى في اللهِ، فَإِنَّمَا تُنالُ وَلايةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ حَتَّى يكونَ كَذَلِكَ. وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مؤاخاةِ النَّاسِ عَلَى أمرِ الدُّنْيا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[(١)].

وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]. قَالَ: المَوَدَّةَ[(٢)].

الشَّرْح

«مَنْ أَحَبَّ في اللهِ»؛ أي: أحب المؤمنين من أجل إيمانهم بالله.

«وَوَالى في اللهِ»؛ أي: والى المؤمنين بنصرتهم واحترامهم وإكرامهم.

«وَأَبْغَضَ في اللهِ»؛ أي: أبغض الكفار والفاسقين لمخالفتهم لربهم.

«وَعَادَى في اللهِ»؛ أي: أظهر العداوة للكفار بالفعل؛ كجهادهم والبراءة منهم.

«وَلايةُ اللهِ»: بفتح الواو تولّيه لعبده بالنصرة والمحبة.

«طَعْمَ الإِيمَانِ»: ذوق الإيمان ولذته والفرح به.

«مؤاخاةِ النَّاسِ»: تآخيهم ومحبة بعضهم لبعض.

---

(١) أخرج نحوه ابن أبي شيبه في مصنفه (٧/ ١٣٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٣٥، ٩٣٦) موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبَّ في اللهِ، وَأَبْغَضَ في اللهِ...» الحديث.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٨)، والبخاري معلقا مجزومًا به (٨/ ١١٠ فتح) قَالَ: «الوُصُلَاتُ فِي الدُّنْيَا».

«**عَلَى أمرِ الدُّنْيا**»؛ أي: لأجل الدنيا، فأحبوها، وأحبوا لأجلها.

«**وَذَلِكَ**»؛ أي: المؤاخاة على أمر الدنيا.

«**لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شيئًا**»: لا ينفعهم أصلًا، بل يضرهم.

المعنى الإجمالي للأثر: يحصر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الأسباب التي توجب محبة الله لعبده ونصرته له في محبة أولياء الله، وبغض أعدائه، وإظهار هذه المحبة وهذه العداوة علانية بمناصرة المؤمنين ومقاطعة المجرمين وجهادهم.

ويذكر أنه لن يذوق الإيمان ويتلذذ بطعمه من لا يتصف بذلك، وإن كثُرت عبادته.

ثم يذكر ابن عباس أن هذه القضية قد انعكست في وقته، فصار الناس يتحابون ويباغضون من أجل الدنيا، وهذا لا ينفعهم، بل يضرهم.

ثم فسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذه الآية الكريمة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ بأن المراد بها أن المحبة التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم يوم القيامة، وخانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض؛ لما كانت هذه المحبة في غير الله.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه أن حصول محبة الله لعبده ونصرته له مشروطٌ بأمرين:

أحدهما: محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالقلب.

ثانيهما: إظهار محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالفعل من مناصرة أوليائه وجهاد أعدائه.

ما يستفاد من الأثر:

١- بيان الأسباب التي تُنال بها محبة الله لعبده ونصرته لعبده.

٢- وصف الله بالمحبة على ما يليق بجلاله.

٣- مشروعية وفضيلة الحب في الله والبغض في الله، وأنه لا يُغني عنهما كثرة الأعمال الصالحة.

٤- مشروعية مناصرة المؤمنين وإعانتهم، وبغض الكافرين وجهادهم.

٥- بيان ثمرة الحب في الله والبغض في الله من ذوق طعم الإيمان والتلذذ به.

٦- ذم الحب والبغض من أجل الدنيا وبيان سوء عاقبته.

٣١- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

[آل عمران:١٧٥].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه لما كان الخوف من أجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، نبّه المصنف بهذا الباب على وجوب إخلاصه لله.

﴿ إِنَّمَا ﴾: أداة حصر.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾: عَلمٌ على إبليس اللعين.

﴿ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾؛ أي: يخوفكم بأوليائه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس شديد.

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ ﴾؛ أي: لا تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم.

﴿ وَخَافُونِ ﴾: فلا تخالفوا أمري.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾: لأن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى أن من كيد عدوّ الله أنه يخوّف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بالمعروف، ولا ينهوهم عن منكر.

ونهانا سبحانه أن نخافَهم، وأمرنا أن نخافَه وحده؛ لأن هذا هو مقتضى الإيمان، فكلما قوي إيمان العبد، زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعُف إيمانه، قويَ خوفه منهم.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الخوف عبادةٌ، يجب إخلاصه لله.

٢- أن صرف الخوف لغير الله شركٌ؛ كأن يخاف من غير الله -من وثن أو طاغوت- أن يصيبه بما يكره.

٣- التحذير من كيد الشيطان.

وَقَوْلِه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

الشَّرْح

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنما تستقيم عمارتها بالعبادة والطاعة.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: الجامعين للكمالات العلمية والعملية.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: الخشية هي: المخافة والهيبة، والمراد بالخشية هنا: أي خشية التعظيم والعبادة والطاعة(١).

أما الخشية الجبلِّية -كخشية المحاذير الدنيوية-، فلا يكاد أحد يسلم منها، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المتصفون بهذه الصفات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: أولئك هم المهتدون. وكلُّ «عسى» من الله فهي واجبة.

المعنى الإجمالي للآية: لمّا نفى تعالى عمارة المساجد المعنوية بالعبادة عن المشركين في الآية التي قبلها، أثبت في الآية عمارتها بالعبادة للمؤمنين الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وداوموا على إقام الصلاة بأركانها

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ١٥٥)، والكليات (١/ ٤٢٨).

وواجباتها وسننها، وأعطوا الزكاة مستحقيها، وأخلصوا لله الخشية، وهي المخافة والهيبة.

مناسبة الآية للباب: أن فيها وجوب إخلاص الخشية -أي: الخوف والهيبة، التي هي أساس العبادة- لله وحده.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب إخلاص الخشية لله وحده.

٢- أن الشرك لا ينفع معه عمل.

٣- أن عمارة المساجد إنما تكون بالطاعة والعمل الصالح، لا بمجرد البناء.

٤- الحث على عمارة المساجد حسيًّا ومعنويًّا.

❁❁❁

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت:١٠].

الشَّرْح

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: بعض الناس.

﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾؛ أي: يدعي الإيمان بلسانه.

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: لأجل الله جَلَّوَعَلَا.

﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾: أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه.

﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: جعل أذى الناس الذي يناله بسبب تمسكه بدينه كعذاب الله الذي يناله على ارتداده عن دينه، ففرّ من ألم أذى الناس إلى ألم عذاب الله، فارتد عن دينه.

﴿نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾: فتحٌ وغنيمة.

﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾: في الدين، فأشركونا في الغنيمة.

﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: بما في قلوبهم من الإيمان والنفاق.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عن الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أصابته محنة وأذى من الكفار، جعل هذا الأذى -الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم-، جعل ذلك في فراره منه، وتركه السبب الذي ناله من أجله كعذاب الله الذي فرّ منه المؤمنون، ففرّ من ألم عذاب أعداء الله في تركه دينه إلى عذاب الله، فاستجار من الرمضاء بالنار.

وإذا نصر الله جندَه وأولياءه، قال: (إني كنت معكم)، والله عليمٌ بما انطوى عليه صدره من النفاق.

مناسبة الآية للباب: أنها أفادت أن الخوف من الناس أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله من جملة الخوف من غير الله المستلزم لضعف الإيمان.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الخوف من أذى الناس بسبب الإيمان خوف من غير الله.

٢- وجوب الصبر على الأذى في سبيل الله.

٣- دناءة همة المنافقين.

٤- إثبات علم الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ»[١].

الشَّرْح

«**ضَعْفِ**»: بضم الصاد وفتحها: ضد القوة والصحة.

«**الْيَقِين**»: ضد الشك هو: كمال الإيمان.

«**تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ**»؛ أي: تؤثر رضاهم على رضا الله.

«**وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ**»؛ أي: تشكرهم، وتثني عليهم.

«**عَلَى رِزْقِ اللهِ**»؛ أي: ما وصل منه إليك على أيديهم بأن تضيفه إليهم، وتنسى المنعم المتفضِّل.

«**وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ**»؛ أي: إذا طلبتهم شيئًا، فمنعوك، ذممتهم على ذلك.

المعنى الإجمالي للحديث: يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث ما ينبغي أن يكون عليه المسلم؛ من قوة الثقة بالله، والتوكل عليه، واعتقاد أن كل شيء بتدبيره ومشيئته، ومن ذلك الأسباب، إذا شاء الله رتّب عليها نتائجها، فأدّت المطلوب بها، وإن شاء، منعها من أداء نتائجها -وكل ذلك راجعٌ إلى الله، فهو المحمود على السراء والضراء والشدة والرخاء-، وهذا هو كمال اليقين، وأما من تعلق قلبه بالناس، ومالَ مع الأسباب، فإن نال شيئًا من الخير على أيدي

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٢١).

الناس، مدحهم، وإن لم ينل مراده، ذمّهم ولامهم، فهذا قد ضعُف يقينه، واختل توكّله على الله.

ثم ختم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث بما يؤكد ويوضح ما قرره في أوله بأن العطاء والمنع يجريان بأمر الله وحسب حكمته، ولا يرجعان إلى حرص العبد أو كراهته.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه وجوب تعلّق القلب بالله في جلب النفع، ودفع الضر، وخوفه وخشيته وحده، وعدم الالتفات إلى الخلق بمدحٍ أو ذمٍّ على ما يحصل من الإعطاء والمنع.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب التوكل على الله وخشيته وطلب الرزق منه.

٢- إثبات القضاء والقدر.

٣- عدم الاعتماد على الأسباب.

٤- تقديم رضا الله على رضا المخلوق.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ(١).

الشَّرْح

«الْتَمَسَ»: طلب.

المعنى الإجمالي للحديث: يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطريق الذي يحصل به رضا الله ورضا الناس، والطريق الذي يحصل به سخط الله وسخط الناس.

وذلك أن الناس لقصور معرفتهم بالعواقب وغلبة المؤثرات عليهم قد تتعارض رغبتهم مع ما شرعه الله مما فيه صلاحهم عاجلًا وآجلًا، وهنا يتميز موقف المؤمن الصحيح الإيمان من موقفٍ مزعزع الإيمان؛ فالمؤمن يؤثر رضا الله على رضا الناس، فيستمر مع شرع الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، فيتولاه بنصره؛ لأنه قد اتقى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، ومزعزع الإيمان يؤثر رضا الناس على رضا الله، فيحقق لهم مطلوبَهم -وإن كان مخالفًا لما شرعه الله-، وهذا في الحقيقة قد خاف الناس، ولم يخف الله، وسينعكس عليه مراده، فينقلب حامده في الناس ذامًّا، ولن يغنوا عنه من الله شيئًا، فضر نفسه، وضر من أراد نفعهم بمعصية الله.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٥١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٠٠).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه وجوب خشية الله وتقديم رضاه على رضا المخلوق.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب خشية الله وتقديم رضاه على رضا خلقه.

٢- بيان عقوبة من آثر رضا الناس على رضا الله.

٣- وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه.

٤- بيان ما في تقديم رضا الله من العواقب الحميدة، وما في تقديم رضا الناس على رضا الله من العواقب السيئة.

٥- أن قلوب العباد بيد الله سبحانه.

٣٢- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أراد المصنف بهذا الباب بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله؛ لأنه من أفضل العبادة وأعلى مقامات التوحيد.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: لا على غيره.

﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾: اعتمِدوا عليه وفوِّضوا أموركم إليه.

المعنى الإجمالي للآية: يذكر تعالى أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، ولا يرتدوا على أدبارهم خوفًا من الجبارين، بل يمضوا قُدُمًا لا يهابونهم ولا يخشونهم، متوكلين على الله في هزيمتهم، مصدِّقين بصحة وعدِه لهم إن كانوا مؤمنين.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب التوكل على الله وحده سبحانه، وأن صرف التوكل لغير الله شركٌ؛ لأنه عبادة.

٢- أن التوكل على الله شرطٌ في صحة الإيمان، ينتفي الإيمان عند انتفائه.

وَقَولِهِ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

الشَّرْح

﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: خافت من الله.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾: لا على غيره.

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: يفوِّضون إليه أمورهم، ولا يخشون ولا يرجون، إلا إياه.

المعنى الإجمالي للآية: يصف الله جَلَّوَعَلَا المؤمنين حق الإيمان بثلاث صفاتٍ عظيمةٍ، هي:

١- الخوف منه عند ذكره، فيفعلون أوامره، ويتركون زواجره.

٢- زيادة إيمانهم عند سماع تلاوة كلامه.

٣- وتفويض الأمور إليه والاعتماد عليه وحده.

مناسبة الآية للباب: أنها تدل على أن التوكل على الله وحده من صفات المؤمنين.

ما يستفاد من الآية:

١- مشروعية التوكل على الله، وأنه من صفات المؤمنين.

٢- أن الإيمان يزيد وينقص؛ فيزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٣- أن الإيمان بالله يستدعي التوكل عليه وحده.

٤- أن من صفات المؤمنين الخشوع والذل لله تعالى.

وَقَولِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤].

وَقَولِهِ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣].

الشَّرْح

﴿ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾؛ أي: كافيك الله وحده وكافي أتباعِك.

﴿ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾؛ أي: كافيه.

المعنى الإجمالي للآيتين: يخبر الله سبحانه نبيه وأمته بأنه هو وحده كافيهم؛ فلا يحتاجون معه إلى أحد، فليكن توكّلهم ورغبتهم عليه وحده، كما جعل سبحانه لكل عملٍ جزاء، فجعل جزاء التوكل عليه كفايته للمتوكل، فإذا كان الله سبحانه كافيًا المتوكل عليه وحسبَه وواقيه، فلامطمع فيه لعدو.

مناسبة الآيتين للباب: أنهما يدلان على وجوب التوكل على الله؛ لأنه هو الكافي لمن توكل عليه.

ما يستفاد من الآيتين:

١- وجوب التوكل على الله؛ لأنه من أعظم أنواع العبادة.

٢- بيان فضل التوكل على الله وفائدته، وأنه أعظم الأسباب لجلب النفع ودفع الضر.

٣- أن الجزاء من جنس العمل.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إبراهيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ(١).

الشَّرْح

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: كافينا؛ فلا نتوكل إلا عليه.

﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾؛ أي: الموكول إليه أمور عباده.

المعنى الإجمالي للأثر: يروي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الكلمة العظيمة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها الخليلان إبراهيم ومحمدٌ -عليهما الصلاة والسلام- في موقفين حرجين لقياهما من قومهما، وذلك حينما دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله، فأبوا، وكسَّر أصنامهم، فأرادوا أن ينتصروا لها، فجمعوا حطبًا، وأضرموا له نارًا، ورموه بالمنجنيق إلى وسطها، فقال هذه الكلمة. فقال الله للنار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، وحينما أرسلت قريش إلى محمد ﷺ تتوعده، وتقول: إنا قد أجمعنا السير إليك وإلى أصحابك لنستأصلكم. فقال ﷺ عند ذلك هذه الكلمة العظيمة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤](٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٥٤، ٣١٦).

(٢) انظر غزوة حمراء الأسد في: سيرة ابن هشام (٢/ ١٠١)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٣٤)، والروض الأنف (٦/ ٦٢)، والبداية والنهاية (٥/ ٤٥٤).

مناسبة الأثر للباب: أن فيه أن هذه الكلمة التي هي كلمة التفويض والاعتماد على الله، هي الكلمة التي تقال عند الكروب والشدائد. وهي تدل على التوكل على الله في دفع كيد الأعداء.

ما يستفاد من الأثر:

١- فضل هذه الكلمة، وأنه ينبغي أن تقال عند الشدائد والكروب.

٢- أن التوكل من أعظم الأسباب في حصول الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

٣- أن الإيمان يزيد وينقص.

٤- أن ما يكرهه الإنسان قد يكون خيرًا له.

٣٣- باب قول الله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب أن يبين أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من أعظم الذنوب، وأن كلًا منهما ينافي كمال التوحيد، وأنه يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء.

﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استدراجه العبد إذا عصى وإملاؤه له حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: الهالكون.

﴿يَقْنَطُ﴾: القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه.

﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: المخطئون طريق الصواب.

المعنى الإجمالي للآيتين: يذكر الله سبحانه حال أهل القرى المكذبين للرسل، أن الذي حملهم على تكذيبهم هو الأمن من استدراج الله لهم، وعدم الخوف منه، فتمادوا في المعاصي والمخالفات، واستبعدوا الاستدراج من الله، وهذه حال الهالكين.

وفي الآية الثانية يحكي الله عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه لما بشرته الملائكة بولده إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، استبعد ذلك على كبَر سنه، فقالت الملائكة: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ [الحجر:٥٥]؛ أي: الآيسين، فأجابهم بأنه ليس بقانط؛ لكنه قال ذلك على وجه التعجّب.

ما يستفاد من الآيتين:

١- في الآية الأولى: التحذير من الأمن من مكر الله، وأنه من أعظم الذنوب.

٢- في الآية الثانية: التحذير من القنوط من رحمة الله، وأنه من أعظم الذنوب.

٣- في الآيتين أنه يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء؛ فلا يغلّب جانب الرجاء، فيأمن من مكر الله، ولا يغلّب جانب الخوف، فييأس من رحمة الله.

٤- أن الخوف والرجاء من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله وحده لا شريك له.

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»[١].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[٢].

الشَّرْح

«الكَبَائِرِ»: جمع كبيرة، وهي: كل ذنب توعّد الله صاحبه بنارٍ، أو لعنةٍ، أو غضبٍ، أو عذابٍ، أو نفي الإيمان، أو رتب الله عليه حدًّا في الدنيا[٣].

«الشِّرْكُ باللهِ»: في ربوبيته وعبوديته.

«واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»؛ أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يرومه، ويقصده، ويخافه، ويرجوه.

«مِنْ مَكْرِ اللهِ»؛ أي: من استدراجه للعبد، أو سلبه ما أعطاه من الإيمان.

---

(١) أخرجه البزار كشف الأستار (١/ ٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٣٩١)، والطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٥)، وفي مصنفه (١٠/ ٤٥٩)، والطبري في تفسيره (٥/ ٤٠).

(٣) قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما كان فيه حد في الدنا أو توعدٌ ... بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد أو جاء وعيده ... بنفي لإيمان ولعن لمبعد

انظر: غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٢٨٧).

المعنى الإجمالي للحديث: ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن كبائر الذنوب هي:

١- أن يُجعل لله سبحانه شريكٌ في ربوبيته أوعبوديته، وبدأ به؛ لأنه أعظم الذنوب.

٢- وقطع الرجاء والأمل من الله؛ لأن ذلك إساءة ظنٍّ بالله وجهل بسعة رحمته.

٣- والأمن من استدراجه للعبد بالنعم، حتى يأخذه على غرة.

وليس المراد بهذا الحديث حصر الكبائر فيما ذكر؛ لأن الكبائر كثيرة، لكن المراد بيان أكبرها؛ كما يفيده أثر ابن مسعود الذي ساقه المؤلف بعده.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على أن الأمن من مكر الله واليأس من رحمته من كبائر الذنوب.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الأمن من مكر الله واليأس من رحمته، وأنهما من أكبر الكبائر؛ كما عليه المرجئة والخوارج.

٢- أن الشرك أعظم الذنوب وأكبر الكبائر.

٣- أن الواجب على العبد أن يكون بين الخوف والرجاء، فإذا خاف، لا ييأس، وإذا رجا، لا يأمن.

٣٤- بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»(١).

الشَّرْح

ترجمة علقمة: هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن علقمة، ولد في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين من الهجرة.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أراد المصنف بهذا الباب بيانَ وجوب الصبر على الأقدار، وتحريم التسخط منها؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد.

الإيمان: في اللغة: التصديق الذي معه ائتمانٌ للمخبر(٢).

وفي الشرع: نطقٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٢٣)، والبخاري معلقًا- كتاب التفسير، باب تفسير سورة التغابن- (ص٩٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٦)، وشعب الإيمان (٧/ ١٩٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

(٣) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

الصبر: في اللغة: الحبس والكف[١].

وشرعًا هو: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والسّخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب[٢].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: فيعتقد أن المصيبة بقضائه وقدره، ويسترجع عندها.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: للصبر عليها.

«هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»: هذا تفسيرٌ للإيمان المذكور في الآية.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى أن من أصابته مصيبةٌ، فعلم أنها من قدر الله، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوّضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه ويقينًا صادقًا، وقد يُخلِف عليه ما أُخذ منه أو خيرًا منه.

مناسبة الآية للباب: أن فيها دليلًا على فضيلة الصبر على أقدار الله المؤلمة.

ما يستفاد من الآية:

١- فضيلة الصبر على أقدار الله المؤلمة كالمصائب.

٢- أن الأعمال من مسمّى الإيمان.

٣- أن الصبر سببٌ لهداية القلب.

٤- أن الهداية من ثواب الصابر.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٨)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٢١).

(٢) انظر: طريق الهجرتين (ص٤٠٠)، ومدارج السالكين (٢/ ١٦٤-١٦٦)، وفتح الباري (١١/ ٣٠٥).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»**[1].

الشَّرْح

«**هُمَا**»؛ أي: الاثنتان.

«**بِهِمْ كُفْرٌ**»؛ أي: هاتان الخصلتان كفرٌ قائم بالناس؛ حيث كانتا من أعمال الكفار.

«**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**»؛ أي: الوقوع فيه بالعيب والتنقص.

«**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»؛ أي: رفع الصوت بتعديد شمائله؛ لما في ذلك من التسخط على القدر.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيستمر في الناس خصلتان من خصال الكفر، لا يسلم منهما إلا من سلَّمه الله.

الأولى: عيب الأنساب وتنقصها.

الثانية: رفع الصوت عند المصيبة؛ تسخطًا على القدر.

لكن ليس من قام به شعبةٌ من شعب الكفر يكون كافرًا الكفر المخرج من الملة، حتى يقوم به حقيقة الكفر.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على تحريم النياحة؛ لما فيها من السخط على القدر وعدم الصبر.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم النياحة، وأنها من خصال الكفر ومن الكبائر.

٢- وجوب الصبر؛ لأنه إذا حرمت النياحة، دل على وجوبه ضدها، وهو الصبر.

٣- أن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

٤- تحريم الطعن في الأنساب وتنقصها.

وَلَهُمَا عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[(١)].

الشَّرْح

«لَيْسَ مِنَّا»: هذا من باب الوعيد، ولا ينبغي تأويله.

«مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ»: خص الخدّ؛ لأنه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثلُه.

«وَشَقَّ الجُيُوبَ»: جمع جيب، وهو: مدخل الرأس من الثوب.

«دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»: هي: الندب على الميت والدعاء بالويل والثبور.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوعد من فعل شيئًا من هذه الأمور؛ لأنها مشتملة على التسخط على الرب، وعدم الصبر الواجب، والإضرار بالنفس من لطم الوجه، وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها، والدعاء بالويل والثبور، والتظلم من الله تعالى.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على تحريم التسخط من قدر الله بالقول والفعل، وأن ذلك من كبائر الذنوب.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التسخط من قدر الله بالقول أو الفعل، وأنه من الكبائر.

٢- وجوب الصبر عند المصيبة.

٣- وجوب مخالفة الجاهلية؛ لأن مخالفتهم من مقاصد الشارع الحكيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ، أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

الشَّرْح

هذا الحديث والذي بعده رواهما الترمذي بسند واحد وصحابي واحد؛ ولذلك جعلهما المؤلف كالحديث الواحد.

«**عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا**»؛ أي: ينزل به المصائب؛ لما صدر منه من الذنوب، فيخرج منها، وليس عليه ذنب.

«**أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ**»؛ أي: أخّر عنه عقوبة ذنبه.

«**يُوَافِيَ بِهِ**»: بكسر الفاء مبنيٌّ للفاعل، منصوبٌ بـ«حتى»؛ أي: يجيء يوم القيامة مستوفرَ الذنوب، فيستوفي ما يستحقه من العقاب.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن علامة إرادة الله الخيرَ بعبده معاجلته بالعقوبة على ذنوبه في الدنيا، حتى يخرج منها، وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة؛ لأن من حوسب بعمله عاجلًا، خفّ حسابه في الآجل.

ومن علامة إرادة الشر بالعبد ألا يجازى بذنوبه في الدنيا، حتى يجيء يوم القيامة مستوفر الذنوب وافيها، فيجازى بما يستحقه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٥١).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الحث على الصبر على المصائب والرضا بالقدر؛ لأن ذلك في صالح العبد.

ما يستفاد من الحديث:

١- علامة إرادة الله الخير بعبده معاجلته بالعقوبة على ذنوبه في الدنيا.

٢- علامة إرادة الشر بالعبد ألَّا يجازى بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة.

٣- الخوف من الصحة الدائمة أن تكون علامة شرّ.

٤- التنبيه على حسن الظن بالله ورجائه فيما يقضيه عليه من المكروه.

٥- أن الإنسان قد يكره الشيء، وهو خيرٌ له، وقد يحب الشيء، وهو شرّ له.

٦- الحث على الصبر على المصائب.

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». حَسَّنَهُ التِّرمِذِيُّ(١).

الشَّرْح

«عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ»: بكسر العين وفتح الظاء؛ أي: من كان ابتلاؤه أعظم، فجزاؤه أعظم.

«فَمَنْ رَضِيَ»: بما قضاه الله وقدّره عليه من الابتلاء.

«فَلَهُ الرِّضَا»: من الله جزاء وفاقًا.

«وَمَنْ سَخِطَ»: بكسر الخاء، والسخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به.

«فَلَهُ السَّخَطُ»؛ أي: من الله؛ عقوبةً له.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ﷺ أن عظمة الأجر وكثرة الثواب مع عظم الابتلاء والامتحان الذي يجري على العبد في هذه الدنيا إذا صبر واحتسب، وأن من علامة محبة الله لعبده أن يبتليه؛ فإن رضي بقضاء الله وقدره عليه، واحتسب الأجر والثواب، وأحسن الظن بربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأثابه، وإن تسخّط قضاء الله، وجزِع لما أصابه، سخط الله عليه، وعاقبه.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان علامة محبة الله لعبده، وبيان حكمته فيما يُجريه عليه من المكاره.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ما يستفاد من الحديث:

١- بيان علامة محبة الله لعبده، وهي الابتلاء.

٢- وصف الله بالمحبة والرضا والسخط على ما يليق بجلاله.

٣- إثبات الحكمة لله في أفعاله.

٤- أن الجزاء من جنس العمل.

٥- الحث على الصبر على المصائب.

٦- أن الإنسان قد يكره الشيء، وهو خيرٌ له.

٣٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشَّرْح

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد: أنه لما كان الرياء مخلًّا بالتوحيد ومحبطًا للعمل الذي قارنه، ناسب أن ينبه عليه المؤلف في هذا الباب.

الرِّيَاءُ: مصدر راءى مراءاة ورياء، وهو أن يقصد أن يرى الناس أنه يعمل عملًا على صفة، وهو يضمر في قلبه صفة أخرى.

﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: قل للناس.

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾؛ أي: في البشرية، ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء.

﴿أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: معبودكم بحق الذي أدعوكم إلى عبادته معبودٌ واحدٌ لا شريك له.

﴿يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: يخاف المصير إليه، ويطمع برؤيته يوم القيامة.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾: هو: ما كان موافقًا لشرع الله مقصودًا به وجهه.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: لا يرائي بعمله.

﴿أَحَدَۢا﴾: نكرة في سياق النفي، فتعم كل واحد كائنًا من كان.

المعنى الإجمالي: يأمر الله تعالى نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخبر الناس أنه بشر مثلهم في البشرية، ليس له من الربوبية والألوهية شيءٌ، وإنما مهمته إبلاغ ما يوحيه الله إليه، وأهم ما أوحي إليه أن المعبود حقًا معبودٌ واحد -هو الله-، لا يجوز أن يشرك معه أحدٌ في العبادة، ولا بد من المصير إليه في يوم القيامة، فالذي يرجو النجاة في هذا اليوم من عذاب الله، يستعد له بالعمل الخالص من الشرك الموافق لما شرعه الله.

مناسبة الآية للباب: أن فيها الأمر بإخلاص العمل من الشرك الذي منه الرياء.

ما يستفاد من الآية:

١- أن أصل الدين هو إفراد الله بالعبادة.

٢- أن الرياء شرك.

٣- أن الشرك الواقع من المشركين هو الشرك في العبادة.

٤- أنه لا يجوز أن يُعبد مع الله أحدٌ؛ لا من الأصنام، ولا من الأنبياء والصالحين، ولا غيرهم.

❁❁❁

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكُ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

الشَّرْح

«**أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكُ**»؛ أي: عن مشاركة أحد، وعن عملٍ فيه شرك.

«**أَشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي**»؛ أي: قصد بعمله غيري من المخلوقين.

«**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»؛ أي: لم أقبل عمله، بل أتركه لغير ذلك.

معنى الحديث إجمالًا: يروي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّ وَجَلَّ -وهو يسمَّى بالحديث القدسي- أنه يتبرأ من العمل الذي دخله مشاركةٌ لأحد برياءٍ أو غيره؛ لأنه سبحانه لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه.

مناسبة ذكره في الباب: أنه يدل على عدم قبول العمل الذي داخله رياءٌ أو غيره من أنواع الشرك.

ما يستفاد منه:

١- التحذير من الشرك بجميع أشكاله؛ وأنه مانعٌ من قبول العمل.

٢- وجوب إخلاص العمل لله من جميع شوائب الشرك.

٣- وصف الله بالغنى.

٤- وصف الله بالكلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ[1].

الشَّرْح

«**أَخْوَفُ**»: أفعل تفضيل؛ أي: أشد خوفًا.

«**المَسِيح**»: صاحب الفتنة العظمى، سُمِّي مسيحًا؛ لأن عينه ممسوحةٌ، أو لأنه يمسح الأرض؛ أي: يقطعها بسرعة.

«**الدَّجَّال**»: كثير الدجَل؛ أي: الكذب.

«**الشِّرْكُ الخَفِيُّ**»: سماه خفيًّا؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وهو في الباطن قد قصد به غيرَه.

«**يُزَيِّنُ صَلَاتَهُ**»: يحسِّنها، ويُطيلُها، ونحو ذلك.

المعنى الإجمالي للحديث: كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتذاكرون فتنةَ المسيح الدجال، ويتخوفون منها، فأخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هناك محذورًا يخافه عليهم أشد من خوفِ فتنة الدجال، وهو الشرك في النية والقصد، الذي لا يظهر للناس، ثم فسَّره بتحسين العمل الذي يُبتغى به وجه الله من أجل رؤية الناس.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه التحذير من الرياء، وفيه تفسيرُه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤).

ما يستفاد من الحديث:

١ - في الحديث شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته ونصحُه لهم.

٢- أن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال.

٣- الحذر من الرياء ومن الشرك عمومًا.

٣٦- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وقولِهِ تعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: بيان أن العمل لأجل الدنيا شركٌ، ينافي كمال التوحيد، ويحبط العمل، ويفترق عن الباب الذي قبله؛ أن هذا عملٌ لأجل دنيا يصيبُها، والمرائي عمِل لأجل المدح فقط.

﴿يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾؛ أي: يريد بعمله ثواب الدنيا ومالها.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾: نوفّر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور بالأهل والمال والولد.

﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: لا يُنقصون.

﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾: لأنهم لم يعملوا إلا للحياة الدنيا.

﴿وَحَبِطَ﴾: بطُل.

﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: في الآخرة؛ فلم يكن لهم ثوابٌ عليه؛ لأنهم لم يريدوا به الآخرة.

معنى الآيتين إجمالًا: أن من كانت الدنيا همّه وطلبته، فنواها بأعماله، ولم يلتفت للآخرة، جازاه الله بحسناته في الدنيا، إن شاء تعالى؛ كما في الآية

الأخرى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الآية [الإسراء:١٨]، ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنةٌ يعطى بها جزاء.

مناسبة ذكر الآيتين في الباب: أنهما بيَّنتا حكم من أراد بعمله الدنيا ومآله في الدنيا والآخرة.

ما يستفاد من الآيتين:

١- فيهما أن الشرك محبطٌ للأعمال، وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل محبطة له.

٢- فيهما أن الله قد يجزي الكافرَ وطالب الدنيا بحسناته في الدنيا، ولا يبقى له في الآخرة حسنةٌ يجازى بها.

٣- فيهما التحذير الشديد من إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

٤- فيهما الحث على إرادة الآخرة بالأعمال الصالحة.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[1].

الشَّرْح

«**فِي الصَّحِيحِ**»؛ أي: صحيح البخاري.

«**تَعِسَ**»: بكسر العين: سقط، والمراد هنا: هلك.

«**الخَمِيصَة**»: ثوب خزٍّ أو صُوفٌ معلّم، كانت من لباس الناس قديمًا.

«**الخَمِيلَةِ**» -بفتح الخاء-: القطيفة.

«**انْتَكَسَ**»؛ أي: عاوده المرض. وقيل: انقلب على رأسه، وهو: دعاءٌ عليه بالخيبة.

«**شِيكَ**»: أصابته شوكة.

«**فَلَا انْتَقَشَ**»: فلا يقدر على انتقاشها؛ أي: أَخْذها بالمنقاش.

«**طُوبَى**»: اسمٌ للجنة أو شجرةٍ فيها.

«**عِنَانِ**» -بكسر العين-: سير اللجام.

«**فِي سَبِيلِ اللهِ**»؛ أي: جهاد المشركين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧).

«**أَشْعَثَ رَأْسُهُ**»: نعت لعبدٍ مجرورٌ بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، ورأسه فاعل، ومعناه: أنه ثائر الرأس، شغلَه الجهاد عن التنعم بالادِّهان وتسريح الشعر.

«**مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ**»: صفة ثانية لعبد، وقدماه فاعلٌ؛ أي: علقهما الغبار والتراب، بخلاف المترفين المتنعمين.

«**الحِرَاسَةِ**»: بكسر الحاء؛ أي: يكون في حماية الجيش غير مقصر ولا غافل.

«**فِي السَّاقَةِ**»؛ أي: يكون في آخر الجيش؛ لأنه يقلب نفسه في مصالح الجهاد.

«**إِنِ اسْتَأْذَنَ**»؛ أي: للدخول على الأمراء.

«**لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ**»: لأنه لا جاه له عندهم؛ لكونه لا يقصد بعمله الدنيا والتزلّف إلى الأمراء.

«**وَإِنْ شَفَعَ**»؛ أي: ألجأته الحال إلى أن يتوسط في أمرٍ يحبه الله ورسوله من قضاء حوائج الناس.

«**لَمْ يُشَفَّعْ**»: بفتح الفاء المشددة؛ أي: لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم.

المعنى الإجمالي للحديث: يصور النبي ﷺ في هذا الحديث حالةَ رجلين: أحدهما من طلاب الدنيا، والآخر من طلاب الآخرة؛ فطالب بلفظ الخبر: «**تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»؛ أي: إذا أصابه شرّ لم يخرج منه، ولم يفلح؛ فلا نال المطلوب، ولا خلُص من المرهوب، وصار

عبدًا لما يهواه من شهواته؛ لا صلة له بربه يخلِّصه بسببها مما وقع فيه. ثم بيّن ﷺ حال عبد الله الصادق الساعي في مراضيه المبتعد عن مساخطه، الصابر على مشقة النصب والتعب؛ وأنه لم يتفرغ للترف ونيل الملذات، ولم يتظاهر أمام الناس؛ حتى يعرف لديهم، ويكون ذا جاه عندهم؛ لأنه لم يرد بعمله الدنيا ونيل الجاه، بل أراد به وجه الله والدار الآخرة؛ فجزاؤه أن له الجنة أو شجرة فيها.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه ذم العمل لأجل الدنيا، ومدح العمل لأجل الآخرة.

ما يستفاد من الحديث:

١- ذم العمل لأجل الدنيا، ومدح العمل لأجل الآخرة.

٢- فضل التواضع.

٣- فضل الجهاد في سبيل الله.

٤- ذم الترف والتنعم، ومدح الخشونة والرجولة والقوة؛ لأن ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله.

٣٧- بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ والأُمَرَاءَ في تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أو تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ، وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ؟»[١].

الشَّرْح

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد: لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، نبّه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الباب على وجوب اختصاص الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها، وأنه لا يطاع أحدٌ من الخلق إلا إذا كانت طاعته في غير معصية الله.

أَرْبَابًا: أي: شركاء مع الله في التشريع.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.... إلخ: أي: قاله لمن ناظره في متعة الحج، وكان هو يأمر بها؛ لأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، فاحتج عليه المخالف بنهي أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنها، واحتج ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**يُوشِكُ**»: أي: يقرب، ويدنو، ويسرع.

المعنى الإجمالي للأثر: أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتوقع أن ينزل الله عقوبة من السماء عاجلة شنيعة بمن يقدم قول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على قول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٨ رقم ٣١٢١).

رسول الله ﷺ؛ لأن الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي متابعته، وتقديم قوله على قول كل أحد كائنًا من كان.

مناسبة ذكره في الباب: أنه يدل على تحريم طاعة العلماء والأمراء فيما خالف هدي الرسول ﷺ، وأنها موجبةٌ للعقوبة.

ما يستفاد من الأثر:

١- وجوب تقديم قول الرسول ﷺ على قول كل أحد.

٢- أن مخالفة هدي الرسول ﷺ توجب العقوبة.

❀❀❀

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَجِبْتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإسنادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إلى رَأْيِ سُفْيَانَ. وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شيء مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»(١).

الشَّرْح

التراجم:

١- أحمد: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، مات سنة ٢٤١هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- سفيان: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، مات سنة ١٦١هـ.

قَالَ أَحْمَدُ: أي: لما قيل له: إن قومًا يتركون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان أو غيره من الفقهاء.

«عَرَفُوا الإسنادَ وَصِحَّتَهُ»؛ أي: عرفوا صحة إسناد الحديث؛ لأن صحة الإسناد تدل على صحة الحديث.

﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: أمر الله أو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدّي الفعل بـ«عن» لتضمنه معنى الإعراض.

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: محنة في الدنيا.

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة.

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (رقم ٩٧)، وانظر: مسائل عبد الله بن أحمد بن حنبل (٣/ ١٣٥٥)، والصارم المسلول على شاتم الرسول (٢/ ١١٦).

«**لَعَلَّهُ**»؛ أي: الإنسان الذي تصح عنده سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**إذا رَدَّ بَعضَ قَولِهِ**»؛ أي: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**مِنَ الزَّيْغِ**»؛ أي: العدول عن الحق وفساد القلب.

المعنى الإجمالي: ينكر الإمام أحمد على من يعرف الحديث الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ذلك يقلد سفيان أو غيره فيما يخالف الحديث، ويعتذر بالأعذار الباطلة؛ ليبرر فعله. مع أن الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلم معنى ذلك في أي شيء كان؛ أن يعمل به، ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأمرنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يتخوف الإمام أحمد على من صحت عنده سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم خالف شيئًا منها أن يزيغ قلبه، فيهلك في الدنيا والآخرة، ويستشهد بالآية المذكورة، ومثلها في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

مناسبة ذكر ذلك في الباب: التحذير من تقليد العلماء من غير دليل، وترك العمل بالكتاب والسنة؛ أن ذلك شرك في الطاعة.

ما يستفاد من الأثر:

١- تحريم التقليد على من يعرف الدليل وكيفية الاستدلال.

٢- جواز التقليد لمن لا يعرف الدليل؛ بأن يقلد من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم.

❀❀❀

وَعَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرأُ هَذِه الآيَـةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ». رَواهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ[1].

الشَّرْح

عَدِي: هو عدي بن حاتم الطائي، صحابي شهير حسن الإسلام، مات سنة ٦٨هـ، وله ١٢٠ سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾: جعلوا.

﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾: علماء اليهود.

﴿ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾: عباد النصارى.

﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: حيث اتبعوهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ.

«لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ»: ظن أن العبادة يراد بها التقرب إليهم بالسجود ونحوه فقط.

«أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ»: بيانٌ لمعنى اتخاذهم أربابًا.

---

(١) أخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ (٣٠٩٥).

المعنى الإجمالي: حينما سمع هذا الصحابي الجليل تلاوة الرسول ﷺ لهذه الآية التي فيها الإخبار عن اليهود والنصارى بأنهم جعلوا علماءهم وعبّادهم آلهة لهم، يشرعون لهم ما يخالف تشريع الله، فيطيعونهم في ذلك، استشكل معناها؛ لأنه يظن أن العبادة مقصورة على السجود ونحوه، فبين له الرسول ﷺ أن من عبادة الأحبار والرهبان طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، خلاف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ.

مناسبة الحديث للباب: أن طاعة المخلوق في معصية الله عبادة له من دون الله، لا سيّما في تشريع الأحكام، وسنّ القوانين المخالفة لحكم الله.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن طاعة العلماء وغيرهم من المخلوقين في تغيير أحكام الله -إذا كان المطيع يعرف مخالفتهم لشرع الله- شركٌ أكبر.

٢- أن التحليل والتحريم حقٌّ لله تعالى.

٣- بيان لنوع من أنواع الشرك، وهو شرك الطاعة.

٤- مشروعية تعليم الجاهل.

٥- أن معنى العبادة واسعٌ، يشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٣٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٠-٦٢].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: نبه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب على ما تضمَّنه التوحيد واستلزمه؛ من تحكيم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موارد النزاع؛ إذ هذا من مقتضى الشهادتين، فمن تلفظ بالشهادتين، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كذب في شهادته.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجّب واستنكار.

﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: يدّعون الإيمان بذلك، وهم كاذبون.

﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟﴾؛ أي: يتخاصموا.

﴿إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾: هو كثير الطغيان، والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي(١)، وهو يشمل كل من حكم بغير ما أنزل الله(٢).

﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: يرفضوا طاعة الطاغوت.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: بأمره لهؤلاء وتزيينه لهم التحاكم إلى الطاغوت.

﴿أَن يُضِلَّهُمۡ﴾: أن يصدهم عن سبيل الحق والهدى.

﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾: فيجور بهم جورًا بعيدًا.

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: في القرآن من الحكم بين الناس.

﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: الذين يدّعون الإيمان، وهم كاذبون.

﴿يَصُدُّونَ﴾: يُعرضون، في موضع نصبٍ على الحال.

﴿عَنكَ﴾: إلى غيرك.

﴿صُدُودٗا﴾: مصدر «صدّ»، أو اسم مصدر.

﴿فَكَيۡفَ﴾؛ أي: ماذا يكون حالهم؟ وماذا يصنعون؟

﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾: إذا نزلت بهم عقوبة من قتل ونحوه.

---

(١) (نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ). أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) معلقًا من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به.

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾؛ أي: بسبب التحاكم إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك، هل يقدرون على الفرار منها؟

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾: للاعتذار حين يُصابون، معطوفٌ على إصابتهم، أو على يصدون.

﴿ إِنۡ أَرَدۡنَآ ﴾؛ أي: ما أردنا بالمحاكمة إلى غيرك.

﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنًا ﴾؛ أي: الإصلاح بين الناس.

﴿وَتَوۡفِيقًا ﴾: تأليفًا بين الخصمين ولم نُرد مخالفتك.

المعنى الإجمالي للآيات: أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنكر على من يدّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، ويحاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله عباده المؤمنين أن يكفروا به؛ ولكن الشيطان يريد أن يضلّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الهدى والحق ويبعدهم عنه، وإذا دُعي هؤلاء إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، أعرضوا إعراض استكبار وتمنع، فماذا يكون حالهم وصنيعهم إذا نزلت بهم المصائب، واحتاجوا إلى الرسول في ذلك؛ ليدعو الله لهم، ويحل مشاكلهم؟! فجاؤوه يعتذرون عما صدر منهم بأنهم لم يريدوا مخالفته في عدولهم إلى غيره، وإنما أرادوا الإصلاح والتأليف بين الناس. فيُبدون هذه الأعذار الباطلة؛ ليُبرّروا فعلهم حينما يفتضحون.

ما يستفاد من الآيات:

١- وجوب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والرضا بذلك والتسليم له.

٢- أن من تحاكم إلى غير الشريعة الإسلامية، فليس بمؤمن، وليس بمصلح، وإن ادعى أنه يقصد الإصلاح.

٣- أن من حكم بغير ما أنزل الله، فهو طاغوت، ومن تحاكم إلى غير ما أنزل الله، فهو متحاكم إلى الطاغوت، وإن سماه بأي اسم.

٤- وجوب الكفر بالطاغوت.

٥- التحذير من كيد الشيطان وصدّه الإنسان عن الحق.

٦- أن من دعي إلى التحاكم إلى ما أنزل الله، وجب عليه الإجابة والقبول، فإن أعرض، فهو منافق.

٧- أن دعوى قصد الإصلاح ليست بعذر في الحكم بغير ما أنزل الله.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١].

الشَّرْح

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾؛ أي: للمنافقين.

﴿ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: بالكفر وغيره من أنواع المعاصي.

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾: وليس ما نحن فيه بفساد.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكر من صفات المنافقين أنهم إذا نُهوا عن ارتكاب المعاصي التي تسبب الفساد في الأرض بحلول العقوبات، وأُمروا بالطاعة التي فيها صلاح الأرض، أجابوا بأن شأننا الإصلاح؛ لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح؛ لما في قلوبهم من المرض.

مناسبة الآية للباب: أن من دعا إلى عدم التحاكم إلى ما أنزل الله، أو دعا إلى المعاصي، فقد أتى بأعظم الفساد في الأرض.

ما يستفاد منها:

١- التحذير من تحكيم النظُم والقوانين المخالفة للشريعة، وإن ادّعى أصحابها أن قصدهم الإصلاح.

٢- أن دعوى الإصلاح ليست بعذر في ترك ما أنزل الله.

٣- التحذير من الإعجاب بالرأي.

٤- أن مريض القلب يتصور الحق باطلًا والباطل حقًّا.

٥- أن النية الحسنة لا تُسوغ مخالفة الشرع.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦].

الشَّرْح

﴿ وَلَا ﴾: ناهية.

﴿ تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: بالشرك والمعاصي.

﴿ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾: ببعث الأنبياء وشرع الأحكام وعمل الطاعات.

المعنى الإجمالي للآية: ينهى الله سبحانه عباده عن الإفساد في الأرض -بالمعاصي والدعاء إلى طاعة المخلوقين في معصية الخالق- بعد إصلاحه سبحانه إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به، والظلم، والمعاصي هي أعظم فسادٍ في الأرض.

مناسبة الآية للباب: أن من يدعو إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقد أتى بأعظم الفساد في الأرض.

ما يستفاد من الآية:

١- أن المعاصي إفسادٌ في الأرض.

٢- أن الطاعة إصلاحٌ للأرض.

٣- أن تحكيم غير ما أنزل الله إفسادٌ في الأرض.

٤- أن صلاح البشر وإصلاحهم لا يكون إلا بتحكيم ما أنزل الله.

وَقَوْلِهِ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

الشَّرْح

﴿ أَفَحُكْمَ ﴾: استفهام إنكاري.

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾: ما كان قبل الإسلام، وكل ما خالف الإسلام فهو من الجاهلية.

﴿يَبْغُونَ ﴾: يطلبون.

﴿ وَمَنْ ﴾؛ أي: لا أحد.

﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا ﴾: هذا من استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾؛ أي: عند قومٍ يوقنون؛ فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور، فيعلمون أن لا أحسن حكمًا من حكم الله.

المعنى الإجمالي للآية: ينكر تعالى على مَن خرج عن حكم الله تعالى -المشتمل على كل خير وعدل، والناهي عن كل شر- إلى ما سِواه من: الآراء والأهواء الاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجَهالات والأعراف القبَلية.

مناسبة الآية للباب: أن من ابتغى غير حكم الله -من الأنظمة والقوانين الوضعية-، فقد ابتغى حكم الجاهلية.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب تحكيم شريعة الله.

٢- أن ما خالف شرع الله فهو من حكم الجاهلية.

٣- بيان مزية أحكام الشريعة وأنها هي الخير والعدل والرحمة.

٤- أن تحكيم القوانين الوضعية والنظم الغربية كفرٌ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ». قَالَ النَّوَوِي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ رُوِّينَاهُ[(١)] فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(٢)].

الشَّرْح

التراجم: النووي هو: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي -نسبة إلى نوى قرية بالشام- وهو إمام مشهور صاحب تصانيف، توفي سنة ٦٧٦ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحُجَّة: أي: كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ أبي الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي الشافعي.

وهذا الحديث في إسناده مقالٌ، لكن معناه صحيح قطعًا، وإن لم يصح إسناده، وله شواهد من القرآن؛ كقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) قال شيخنا صالح آل الشيخ -حفظه الله- قوله: (رُوِّينَا): هذه كلمة يستعملها ابن الصلاح والنووي ومن بعدهم إذا ذكروا الكتاب فيقولون: (رُوِّيناهُ)، إذا ذكروا الحديث، وإذا ذكروا الكتاب يقولون: (رُوِّيناهُ) في كتاب كذا، أو روّيناه في كتاب البخاري، روّيناه في كتاب مسلم، قال روّيناه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني يكون بإسناده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو من طريق أحد الكتب.
أمّا إذا ذكر الكتاب فيضبط بقولهم: رُوِّيناه، كما ضبط في مقدمة ابن الصلاح، ضبطًا بالشكل، وعليها الشراح.
فإذًا روَيناه لها معنى، ورُوّيناه لها معنى آخر، رويناه يعني نحن، وروِّيناه يعني روى مشايخنا لنا ذلك في كتاب الحجة، روِّيناه في كتاب الحجة، يعني رواه مشايخنا لنا في كتاب: (الحجة على تارك المحجّة).
(٢) انظر: الأربعين النووية، الحديث الحادي والأربعين (ص٨٤).

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

«**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»؛ أي: لا يحصل له الإيمان الواجب، ولا يكون من أهله.

«**هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»؛ أي: ما يهواه، وتحبه نفسه، وتميل إليه.

«**تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»: فيحب ما أمر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكره ما نهى عنه.

المعنى الإجمالي للحديث: أن الإنسان لا يكون مؤمنًا الإيمان الكامل الواجب، حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه.

مناسبة الحديث للباب: نفيُ الإيمان عمن لم يطمئن إلى شرع الله ويحبه، ويكره ما خالفه من القوانين والنظم الوضعية.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب محبة كل ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولا سيما من التشريع- والعمل به.

٢- وجوب بغض كل ما خالف شريعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والابتعاد عنه.

٣- انتفاء الإيمان عمن يميل بقلبه إلى مخالفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو عمل به ظاهرًا.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ، وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ لِأَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ. وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيهِ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيَةُ»(١).

الشَّرْح

الـتراجـم: الشعبي هو: عامر بن شراحيل الشعبي، وقيل: عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري، أبو عمرو الكوفي، ثقة حافظ فقيه من التابعين. قيل: مات سنة ١٠٣هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقيل غير ذلك.

«مِنَ المُنَافِقِينَ»: جمع منافق، وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

«الْيَهُود»: جمع يهودي؛ مِن هاد إذا رجع، وقيل: اليهودي نسبة إلى يهودا ابن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

«خُصُومَةٌ»؛ أي: جدال ونزاع.

«الرِّشْوَةَ»: ما يُعطى لمن يتولى شيئًا من أمور الناس؛ ليحيف مع المعطي، ومن ذلك: ما يعطيه أحد الخصمين للقاضي أو غيره؛ ليحكم له، مأخوذة من الرشاء، الذي يتوصل به إلى الماء.

«جُهَيْنَةَ»: قبيلة عربية مشهورة.

«فَنَزَلَتْ»: هذا بيان لسبب نزول الآية الكريمة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٠).

المعنى الإجمالي للأثر: يروي الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الآية الكريمة -﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ الآية- نزلت بسبب ما حصل من رجلٍ يدّعي الإيمان، ويريد أن يتحاكم إلى غير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ تهربًا من الحكم العادل؛ مما حمله على التحاكم إلى الطاغوت من غير مبالاة بما يترتب على ذلك من مناقضة للإيمان؛ مما يدل على كذبه في ادعائه الإيمان؛ فمن عمل مثل عمله، فهو مثله في هذا الحكم.

مناسبة الأثر للباب: أن التحاكم إلى غير شرع الله يناقض الإيمان بالله وكتبه.

ما يستفاد من الأثر:

١- وجوب التحاكم إلى شريعة الله.

٢- أن التحاكم إلى غير شريعة الله ينافي الإيمان.

٣- فيه كشفٌ لحقيقة المنافقين، وأنهم شرٌّ من اليهود.

٤- تحريم أخذ الرشوة؛ وأن أخذ الرشوة من أخلاق اليهود، وقد لعن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ معطيها وآخذها[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٣٧)، وأبو داود (٣٥٨٠)، وابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (١١/ ٨٧) عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا مَرْفُوعًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**». وَلِأَحْمَدَ (٢٧/ ٨٥) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مَرْفُوعًا: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ».

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ»[1].

الشَّرْح

كعب بن الأشرف: يهوديّ عربيّ من طيء، وأمه من بني النضير، كان شديد العداوة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«وَقِيلَ: نَزَلَتْ»: يعني: الآية المذكورة سابقًا.

المعنى الإجمالي للأثر: هذا الأثر فيه بيان قول آخر -غير ما سبق- في سبب نزول الآية الكريمة -﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية-، وأن القصة لما بلغت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستثبتها، قتل الذي لم يرض بحكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مناسبة ذكره في الباب: أن فيه دليلًا على كفر من احتكم إلى غير شرع الله واستحقاقه للقتل؛ لأنه مرتدٌّ عن دين الإسلام.

ما يستفاد من الأثر:

١- أن تحكيم غير الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضّ المنازعات ردةٌ عن الإسلام.

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) معلقًا من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به.
وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

٢- أن المرتد عن دين الإسلام يقتل.

٣- أن الدعاء إلى تحكيم غير شرع الله من صفات المنافقين، ولو كان المدعو إلى تحكيمه إمامًا فاضلًا كعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٤- مشروعية الغضب لله ولرسوله ولدينه.

٥- مشروعية تغيير المنكر باليد لمن يقدر على ذلك.

٦- أن معرفة الحق لا تغني عن العمل به والانقياد له.

٣٩- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما كان التوحيد ثلاثة أنواع -توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات-، وكان الإيمان بالله لا يحصل إلا بتحقق هذه الثلاثة، نبه المصنف بهذا الباب على هذا النوع؛ ليبين حكم من جحده.

بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: أي: أنه يكفر بذلك.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: كفار قريش.

﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: يجحدون هذا الاسم، مع إيمانهم بالله، فالرحمن اسمٌ من أسماء الله، والرحمة صفةٌ من صفاته.

﴿قُلْ﴾: يا محمد؛ ردًا عليهم في كفرهم بالرحمن.

﴿هُوَ رَبِّي﴾؛ أي: الرحمن عَزَّوَجَلَّ ربي، وإن كفرتم به.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي: لا معبود بحق سواه.

﴿عَلَيْهِ﴾: لا على غيره.

﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فوضت أموري كلها إليه، واعتمدت عليه.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي وتوبتي.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينكر على مشركي قريش جحودهم لاسمه الرحمن، ويأمر رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرد عليهم هذا الجحود، ويعلن إيمانه بربه وأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه هو الذي يستحق العبادة وحده، ويتوكل عليه، ويُرجع إليه في جميع الأمور، ويُتاب إليه من الذنوب.

مناسبة الآية للباب: أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر.

ما يستفاد من الآية:

١- أن جحود شيء من الأسماء والصفات كفر.

٢- وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته.

٣- وجوب التوكل على الله والتوبة إليه.

٤- وجوب إخلاص العبادة لله.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»[1].

الشَّرْح

صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أي: الكتاب الذي جمع فيه البخاري الأحاديث الصحيحة. والبخاري: هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري؛ نسبة إلى بخارى بلدة في المشرق. وكتابه أصح كتاب بعد كتاب الله.

المعنى الإجمالي للأثر: يرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى أنه لا ينبغي أن يحدث عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه -من التوحيد، وبيان الحلال والحرام-، ويُترك ما يشغل عن ذلك؛ مما لا حاجة إليه، أو كان مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله؛ مما يشتبه عليهم فهمه، ويصعب عليهم إدراكه، وقد قال ذلك حينما كثر القصاص -أي: الوعاظ- في خلافته.

مناسبة الأثر للباب: يأتي بيانها بعد ذكر الأثر الذي بعده.

ما يستفاد من الأثر: أنه إذا خشي ضررٌ من تحديث الناس ببعض ما لا يفهمون؛ فلا ينبغي تحديثهم بذلك، وإن كان حقًّا.

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وفيه: «أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ».

وَرَوَى عَبْدُ الرزاقِ عَنْ مَعْمَر عَنْ ابنِ طَاُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابن عَبَّاسٍ: «أَنَّه رَأَى رَجُلًا انتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ استِنْكارًا لِذَلِكَ ـ فَقَالَ: مَا فَرَقُ هؤلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِندَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟». انْتَهَى[(١)].

الشَّرْح

التراجم:

١- عبد الرزاق هو: عبد الرزاق بن همام الصنعاني الإمام الحافظ صاحب المصنفات، مات سنة ٢١١هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- معمر هو: أبو عروة معمر بن راشد الأزدي البصري، ثقة ثبت، مات سنة ١٥٤هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- ابن طاووس هو: عبد الله بن طاووس اليماني، ثقة فاضل عابد، مات سنة ١٣٢هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«**انتَفَضَ**»؛ أي: ارتعد.

«**فَقَالَ**»؛ أي: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**مَا**»: استفهامية.

«**فَرَقُ**»: بفتح الفاء والراء؛ أي: خوف.

«**هؤلاءِ**»: يشير إلى أناس يحضرون مجلسه من عامة الناس.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٩) وفي مصنفه (١١/ ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٢).

«رِقَّةً»: لينًا وقبولًا.

«مُحْكَمِهِ»: ما وضح معناه؛ فلم يلتبس على أحد.

«مُتَشَابِهِهِ»: ما اشتبه عليهم فهمه.

المعنى الإجمالي للأثر: ينكر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس يحصل منهم خوفٌ عندما يسمعون شيئًا من أحاديث الصفات، ويرتعدون؛ استنكارًا لذلك، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب بما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن، وبعضهم يحمله على غير معناه الذي أراده الله، فيهلك بذلك.

مناسبة الأثر للباب: بعدما ذكر المؤلف أثر عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يدل على أنه لا ينبغي تحديث الناس بما لا يعرفون، ذكر هذا الأثر الذي يدل على أن نصوص الصفات ليست مما نهى عن التحديث به؛ بل ينبغي ذكرها وإعلانها؛ فليس استنكار بعض الناس لها بمعناه من ذكرها، فما زال العلماء قديمًا وحديثًا يقرؤون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة العوام والخواص.

ما يستفاد من الأثر:

١- أنه لا مانع من ذكر آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام الناس وخواصهم من باب التعليم.

٢- أن من رد شيئًا من نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته، فهو من الهالكين.

٣- الإنكار على من استنكر شيئًا من نصوص الصفات.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠](١).

الشَّرْح

المعنى الإجمالي للأثر: يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ: يعني حين «كَتَبَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في صلح الحديبية، فقالوا: «لَا تَكْتُبِ الرَّحْمَنَ، وَمَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ، وَلَا نَكْتُبْ إِلَّا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»(٢)، فيكون هذا هو سبب نزول الآية، وقيل: قالوا ذلك حينما سمعوا الرسول ﷺ يدعو في سجوده، ويقول: «يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى»(٣)؛ (الرحمن الرحيم)، وهذا سبب آخر لنزول الآية، ولا مانع أن تنزل الآية لسببين أو أكثر.

وتقدمت هذه الآية وما يتعلق بها في أول الباب.

ما يستفاد من الأثر:

١- ثبوت الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- أن تعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى.

٣- مشروعية دعاء الله بأسمائه وصفاته.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٦/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧/ ٥٨٠).

٤٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يقولون: لَوْلَا فُلَانٌ مَا كَانَ كَذَا»(١).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا»(٢).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن المصنف أراد بهذا الباب بيان وجوب التأدب مع الربوبية، بتجنب الألفاظ الشركية الخفية؛ كنسبة النعم إلى غير الله؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد.

التراجم:

١- مجاهد هو: شيخ التفسير مجاهد بن جبر المكي الإمام الرباني، من تلاميذ ابن عباس، مات سنة ١٠٤هـ على الراجح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- عون هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ثقة عابد، مات حوالي سنة ١٢٠هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٥٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٧٩)، وشفاء العليل (ص٣٦).

٣- ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الحافظ، صاحب التفسير وغيره من المؤلفات، مات سنة ٢٧٦هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ يَعۡرِفُونَ ﴾؛ أي: يعرف المشركون.

﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: اختُلف في المراد بها، وقد ذكر المصنف جملة من أقوال العلماء في ذلك[1].

«وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي»: وقائل هذه الأقوال ونحوها منكر لنعمة الله بإضافتها إلى غيره، جاحد لها غير معترف بها، والآية تعم ما ذكره العلماء في معناها.

المعنى الإجمالي للآية: أن المشركين يعترفون بنعم الله التي عدّدها عليهم -في سورة النحل وغيرها- أنها من الله، ثم ينكرونها بإضافتها إلى غيره من آلهتهم وآبائهم وغيرهم، فهم متناقضون في ذلك.

ما يستفاد من الآية:

١- أن المشركين معترفون بتوحيد الربوبية.

٢- وجوب نسبة النعم إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وحده.

٣- التحذير من نسبة النعم إلى غير الله؛ لأنه شركٌ في الربوبية.

٤- وجوب التأدب في الألفاظ، وتحريم الاعتماد على الأسباب.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٥٨)، و زاد المسير (٤/ ٤٧٩)، وشفاء العليل (ص٣٦).

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيْهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الحديث[١]، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: (وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا.

وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ)[٢].

الشَّـرْح

التراجم: أبو العباس: هو شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد تقدم: أي: في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

المَلَّاحُ: قائد السفينة.

السَّلَف: هم المتقدمون من علماء هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

المعنى الإجمالي للأثر: أن السفن إذا جَرَين بريح طيبة بأمر الله جريًا حسنًا، نسبوا ذلك إلى طيب الريح وحذق قائد السفينة، ونسوا ربهم الذي أجرى لهم الفلك في البحر رحمة بهم؛ فيكون هذا من جنس نسبة المطر إلى الأنواء.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣).

حكم من فعل ذلك: فيه تفصيل:

١- إن كان المتكلم بذلك لم يقصد أن الريح والملاح ونحو ذلك هو الفاعل لذلك من دون خلق الله وأمره، وإنما أراد نسبتها إلى السبب فقط، فهذا شرك أصغر؛ لأنه أضاف النعمة إلى غير الله، والواجب إضافتها إلى الله.

٢- وإن كان يقصد أن هذه الأشياء تفعل ذلك من دون الله، فهذا شرك أكبر.

والأول هو الذي يجري على ألسنة كثير من المسلمين؛ فيجب الحذر منه.

٤١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِن دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلانُ، وَحَيَاتِي. وَتَقُولُ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فلانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ(١).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أنه لما كان من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصده المتكلم بقلبه؛ نبه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الباب على ذلك، وبيّن بعض هذه الألفاظ؛ لتجتنب هي وما ماثلها.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: أشباهًا ونظراء، تصرفون لهم العبادة أو شيئًا منها.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه ربكم، لا يرزقكم غيره، ولا يستحق العبادة سواه.

في الآية: أي: في تفسير الآية.

«دَبِيبِ النَّمْلِ»: مشيه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢).

«عَلَى صَفَاةٍ»: الصفا: الحجر الأملس.

«كُلَيْبَةُ»: تصغير كلبة، وهي هنا: التي تُتخذ لحفظ المواشي وغيرها.

«اللُّصُوصُ»: جمع لصّ، وهم: السراق.

«الْبَطُّ»: جمع بطّة، وهي: من طيور الماء تُتخذ في البيوت، فإذا دخلها غيرُ أهلها، استنكرته، وصاحت.

«لَا تَجْعَلْ فِيهَا فلانًا»؛ أي: لا تجعله في مقالتك، فتقول: لولا الله وفلان، بل قل: لولا الله وحده.

«هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»؛ أي: هذه الألفاظ المذكورة وما شابهها شرك بالله؛ أي: شرك أصغر.

المعنى الإجمالي للآية: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينهى الناس أن يتخذوا له أمثالًا ونظراء، يصرفون لهم شيئًا من عبادته؛ وهم يعلمون أن الله وحده الخالق الرازق؛ وأن هذه الأنداد عاجزة فقيرة، ليس لها من الأمر شيء.

وما ذكره ابن عباس أمثلة لاتخاذ الأنداد؛ لأن لفظ الآية يشملها، وإن كانت شركًا أصغر، والآية نازلة في الشرك الأكبر؛ فالسلف يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

ما يستفاد من الآية:

١- التحذير من الشرك في العبادة.

٢- أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية.

٣- أن الشرك الأصغر خفيّ جدًّا، وقلّ من يتنبه له.

٤- وجوب تجنب الألفاظ الشركية، ولو لم يقصدها الإنسان بقلبه.

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ الترمذيُّ وحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ**(١).

الشَّرْح

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صوابه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«مَنْ حَلَفَ»: الحلف: اليمين، وهي توكيد الحكم بذكر معظّم على وجهٍ مخصوص.

«بِغَيْرِ اللهِ»؛ أي: بأي مخلوق من المخلوقات.

«كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»: يحتمل أن يكون هذا شكًا من الراوي، ويحتمل أن تكون «أو» بمعنى الواو، فيكون كفر وأشرك. والمراد الكفر والشرك الأصغران.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث خبرًا معناه النهي: أن من أقسم بغير الله من المخلوقات، فقد اتخذ ذلك المحلوف به شريكًا لله، وكفر بالله؛ لأن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فلا يُحلف إلا به أو بصفة من صفاته.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على أن من حلف بغير الله، فقد اتخذ المحلوف به ندًّا لله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد في المسند (٢/ ١٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الحلف بغير الله، وأنه شرك وكفر بالله.

٢- أن التعظيم بالحلف حقّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يحلف إلا به.

٣- أن الحلف بغير الله لا تجب به كفّارة؛ لأنه لم يذكر فيه كفارة.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(١).

الشَّرْح

«لِأَنْ»: اللام: لام الابتداء، و«أن» مصدرية، والفعل بعدها منصوب في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء.

«أَحَبُّ»... إلخ: خبر المبتدأ.

المعنى الإجمالي للأثر: يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إقسامي بالله على شيء أنا كاذبٌ فيه أحب إلي من إقسامي بغير الله على شيءٌ أنا صادقٌ فيه؛ وإنما رجح الحلف بالله كاذبًا على الحلف بغيره صادقًا؛ لأن الحلف بالله في هذه الحالة فيه حسنة التوحيد، وحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك.

مناسبة الأثر للباب: أنه يدل على تحريم الحلف بغير الله.

ما يستفاد من الأثر:

١- تحريم الحلف بغير الله.

٢- أن الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب كالكذب، ونحوه من الكبائر.

٣- جواز ارتكاب أقل الشرين ضررًا إذا كان لا بد من أحدهما.

٤- دقة فقه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(١).

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ أَعُوذُ باللهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: باللهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ»(٢).

الشَّرْح

«لَا تَقُولُوا»: (لا) ناهية، والفعل بعدها مجزومٌ بها، وعلامة جزمه حذف النون.

«مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ»: لأن العطف بالواو يقتضي الجمع والمساواة.

«مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»: لأن العطف بثُمّ يقتضي الترتيب والتراخي.

«يَكْرَهُ»: الكراهة في عُرف السلف يُراد بها التحريم.

«أَعُوذُ»: العوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به.

«لَوْلَا»: حرف امتناع لوجود؛ أي: امتناع شيء لوجود غيره.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٥)، وابن ماجه (١٠٨٢١)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢١٦).

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١/ ١٩٤).

المعنى الإجمالي للحديث: ينهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطف اسم المخلوق على اسم الخالق بالواو بعد ذكر المشيئة ونحوها؛ لأن المعطوف بها يكون مساويًا للمعطوف عليه؛ لكونها إنما وُضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا؛ وتسوية المخلوق بالخالق شركٌ، ويُجوِّز صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطف المخلوق على الخالق بـ(ثُمّ)؛ لأن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة؛ فلا محذور؛ لكونه صار تابعًا.

والأثر المروي عن النخعي يفيد ما أفاده الحديث.

ويختص هذا الحكم -وهو العوذ بالمخلوق- بالمخلوقين الأحياء الذين لهم قدرة، دون الأموات والعاجزين، فلا يجوز أن يسند إليهم شيء.

مناسبة الحديث والأثر للباب: أنهما يدلان على النهي عن قول: «**مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ**» ونحو ذلك؛ لأنه من اتخاذ الأنداد لله الذي نهتْ عنه الآية التي في أول الباب؛ على ما فسرها به ابن عباس.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم قول: «ما شاء الله وشئت»، وما أشبه ذلك من الألفاظ مما فيه العطف على الله بالواو؛ لأنه من اتخاذ الأنداد لله.

٢- جواز قول: «ما شاء الله ثم شئت»، وما أشبه ذلك مما فيه العطف على الله بثُمَّ؛ لانتفاء المحذور فيه.

٣- إثبات المشيئة لله، وإثبات المشيئة للعبد، وأنها تابعة لمشيئة الله تعالى.

٤٢- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ[1].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن عدم الرضا بالحلف بالله ينافي كمال التوحيد؛ لدلالته على قلة تعظيم الرب جَلَّ جَلَالُهُ.

مَا جَاءَ فِيمَنْ... إلخ: أي: من الوعيد.

الحلف: القسم.

«لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»: نهيٌ عن القسم بالآباء؛ لأنه هو المعروف عندهم، ولا مفهوم له؛ لتقدّم النهي عن القسم بغير الله مطلقًا.

«فَلْيَصْدُقْ»؛ أي: وجوبًا؛ تعظيمًا لليمين بالله؛ لأن الصدق واجب، ولو لم يحلف بالله، فكيف إذا حلف به؟!

«فَلْيَرْضَ»؛ أي: وجوبًا؛ تعظيمًا لليمين بالله. وهذا عام، الصدق واجب ولو لم يحلف بالله فكيف إذا حلف به؟!

«فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»: هذا وعيدٌ؛ أي: فقد برئ الله منه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٦٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٨١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

معنى الحديث إجمالًا: ينهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحلف بالآباء؛ لأن الحلف تعظيمٌ للمحلوف به، والتعظيم حقٌّ لله سبحانه، ثم يأمر من حلف بالله أن يكون صادقًا فيما يحلف عليه؛ لأن الصدق مما أوجبه الله على عباده مطلقًا، فكيف إذا حلفوا بالله؟!

ويأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حُلف له بالله في خصومة أو غيرها أن يرضى باليمين؛ لأن ذلك من تعظيم الله، ثم يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوعيد الشديد في حق من لم يرض بالحلف بالله؛ لأن ذلك يدل على عدم تعظيمه لله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الوعيد الشديد في حق من لم يقنع بالحلف بالله.

ما يستفاد من الحديث:

١- الوعيد الشديد في حق من لم يقنع بالحلف بالله.

٢- وجوب الصدق في اليمين.

٣- تحريم الكذب في اليمين.

٤- حسن الظن بالمسلم ما لم يتبين خلافه.

٥- وجوب تصديق من حلف بالله إذا كان من أهل الإيمان.

٤٣- بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قتيْلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ[١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن هذا الباب داخلٌ في باب قول الله تعالى: ﴿...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا...﴾، وقد سبق بيان مناسبته.

التراجم: قُتَيلة: بضمِّ القاف وفتح التاء مصغّرًا بنت صيفي الجهنيّة صحابية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ: أي: ما حكم التكلم بذلك؟ هل يجوز أم لا؟ وإذا كان لا يجوز، فهل هو شرك أو لا؟

«تُشْرِكُونَ»؛ أي: الشرك الأصغر.

«مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»: وهذا فيه تشريكٌ في مشيئة الله.

«وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ»: وهذا قسمٌ بغير الله.

المعنى الإجمالي للحديث: ذكر هذا اليهودي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بعض المسلمين يقع في الشرك الأصغر حينما تصدر منه هذه الألفاظ التي

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٥).

ذكرَها، فأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اعتبارها من الشرك، وأرشد إلى استعمال اللفظ البعيد من الشرك؛ بأن يحلفوا بالله، وأن يعطفوا مشيئة العبد على مشيئة الله بـ(ثُمَّ)، التي هي للترتيب والتراخي؛ لتكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان أن قول: «ما شاء الله وشئت» شركٌ.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن قول «ما شاء الله وشئت»، والحلف بغير الله شرك؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر اليهودي على اعتبارهما من الشرك.

٢- معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

٣- فهم الإنسان إذا كان له هوى.

٤- قبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًّا مخالفًا في الدين.

٥- أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٦- الابتعاد عن الألفاظ المخلة بالعقيدة واستبدالها بالألفاظ البعيدة عن الشرك بالله.

٧- أن العالم إذا نهى عن شيءٍ، فإنه يبين البديل الذي يُغني عنه إذا أمكن.

٨- أن النهي عن الشرك عامٌّ، لا يصلح منه شيء، حتى بالكعبة -التي هي بيت الله في أرضه-، فكيف بغيرها؟!

٩- إثبات المشيئة لله، وإثبات المشيئة للعبد، وأنها تابعة لمشيئة الله.

❀❀❀

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**(١).

الشَّرْح

وَلَهُ: أي: النسائي.

«**أَجَعَلْتَنِي**»: استفهام إنكار.

«**نِدًّا**»؛ أي: شريكًا.

المعنى الإجمالي للحديث: أنكر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على من عطَف مشيئة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على مشيئة الله بالواو؛ لما يقتضيه هذا العطف من التسوية بين الله وبين المخلوق، واعتبر هذا من اتخاذ الشريك لله، ثم أسند المشيئة إلى الله وحده.

مناسبة الحديث للباب: أن قول: «ما شاء الله وشئت»، وما أشبه هذا اللفظ من اتخاذ الند لله المنهي عنه بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٨٣)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢١٧) وفيه: «أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا...». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) وفيه: «جَعَلْتَ للهِ نِدًّا...».

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن قول: «ما شاء الله وشئت» وما أشبهه مما فيه عطفُ مشيئة العبد على مشيئة الله بالواو وما أشبه ذلك.

٢- أن من سوّى العبد بالله -ولو في الشرك الأصغر-، فقد اتخذه ندًّا لله.

٣- إنكار المنكر.

٤- أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد حَمى حِمى التوحيد، وسدّ طرق الشرك.

وَلابْنِ مَاجَه: عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا قَالَ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وإنكم لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وإنكم لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَتُ أَخْبَرَتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرَتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا وَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ولكن قولوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

الشَّرْح

التراجم: الطفيل هو: الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخْبرة الأزديّ، صحابيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليس له إلا هذا الحديث.

«عَلَى نَفَرٍ»: النفر: رهط الإنسان وعشيرتُه، اسم جمعٍ يقع على الرجال خاصّة.

«لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ»؛ أي: نِعم القوم أنتم.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) بغير هذا اللفظ، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٧٢) بنحوه.

«لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ»؛ أي: لولا ما أنتم عليه من الشرك بنسبة الولد إلى الله؛ وهذا لأن عُزيرًا كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب، فقالوا فيه هذه المقالة، وقيل: لأنه نبي.

«تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»: عارضوه بذكر شيءٍ مما في بعض المسلمين من الشرك الأصغر.

«تَقُولُونَ: المَسِيحُ»؛ أي: عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«ابْنُ اللهِ»: فتشركون بالله بنسبة الولد إليه. وإنما قالوا هذا في عيسى؛ لأنه من أمّ بلا أب.

«فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ»: الحمد هو: الثناء على الجميل الاختياري من الإنعام وغيره، والثناء هو: تكرار المحامد.

«كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا»: هو الحياء -كما في الرواية الأخرى-؛ لأنه حينذاك لم يؤمر بإنكارها.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى في منامه أنه مرّ على جماعة من أهل الملّتين، فأنكر عليهم ما هم عليه من الشرك بالله بنسبة الولد إليه -تعالى الله عن ذلك-، فعارضوه بذكر ما عليه بعض المسلمين من الشرك الأصغر الوارد في بعض ألفاظهم، وعندما أصبح قصَّ هذه الرؤيا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعلنها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنكر على الناس التكلم بهذه الكلمة الشركية، وأمرهم أن يتلفّظوا باللفظ الخالص من الشرك.

مناسبة الحديث للباب: أنه أفاد أن التلفظ بـ«ما شاء الله وشاء محمد» وما أشبهها من الألفاظ شركٌ أصغر؛ كما سبق.

ما يستفاد من الحديث:

١- الاعتناء بالرؤيا، وأنها سببٌ لتشريع بعض الأحكام وقتَ حياة الرسول ﷺ.

٢- أن قول: «ما شاء الله وشاء فلان» وما أشبه ذلك شركٌ أصغر.

٣- معرفة اليهود والنصارى بالشرك الأصغر، مع ما هم عليه من الشرك الأكبر؛ من أجل الطعن بالمسلمين.

٤- تقديمُ حمد الله والثناء عليه في الخطَب، وقول: «أما بعد» فيها.

٥- استحباب قصر المشيئة على الله، وإن كان يجوز أن يقول: «ما شاء الله ثم شاء فلان».

٤٤- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

الشَّـرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن سبّ الدهر يتضمن الشرك؛ لأن سابّ الدهر إذا اعتقد أنه فاعلٌ مع الله، فهو مشرك.

آذَى اللهَ: حيث وصفه بصفات النقص.

﴿وَقَالُوا۟﴾؛ أي: منكرو البعث.

﴿مَا هِىَ﴾؛ أي: الحياة.

﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: التي في الدنيا، وليس هناك حياةٌ أخرويةٌ.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي؛ يموت بعضٌ، ويحيا بعضٌ بأن يولدوا.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾؛ أي: مرور الزمان.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾؛ أي: القول.

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: لا دليل لهم عليه، وإنما قالوه بناءً على التقليد والإنكار لِما لم يحسُّوا به ولم يُحيطوا بعلمه.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عن الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار البعث؛ أنهم يقولون: (ليس هناك حياةٌ غير حياتنا الحاضرة، لا حياة سواها، يموت بعضُنا، ويولد البعض الآخر، وليس

هناك سببٌ لموتنا سوى مرور الزمن، وتكرر الليل والنهار)، فردّ الله عليهم بأنهم ليس لهم حجة على هذا الإنكار إلا مجرّد الظن، والظنُّ ليس بحجة. والمفروض فيمن نفى شيئًا أن يقيم البرهان على نفيه؛ كما أن من أثبت شيئًا، فإنه يقيم الدليل على إثباته.

مناسبة الآية للباب: أن من سبّ الدهر، فقد شارك هؤلاء الدهرية في سبِّه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد.

ما يستفاد من الآية:

١- إثبات البعث، والرد على من أنكره.

٢- ذم من ينسب الحوادث إلى الدهر.

٣- أن من نفى شيئًا، فهو مطالَبٌ بالدليل على نفيه كالمثبت.

٤- أن الظن لا يعتمد عليه في الاستدلال في العقائد.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٢).

الشَّرْح

فِي الصَّحِيحِ: أي: صحيح البخاري.

«يُؤْذِينِي»: يتنقّصُني.

«يَسُبُّ الدَّهْرَ»؛ أي: يذمه ويلومه عند المصائب التي تنزل.

«وَأَنَا الدَّهْرُ»؛ أي: صاحب الدهر، ومدير الأمور التي ينسبونها إلى الدهر.

«أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»: بالمعاقبة بينهما، وما يجري فيهما من خير وشر.

وَفِي رِوَايَةٍ: أي: لمسلم وغيره.

«فإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»؛ أي: هو الذي يُجري فيه ما أراده من خيرٍ وشرّ.

المعنى الإجمالي للحديث: يروي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّوَجَلَّ: أن الذي يسب الدهر عند نزول المصائب والمكاره إنما يسب الله تعالى، ويؤذيه بالتنقُّص؛ لأنه سبحانه هو الذي يُجري هذه الأفعال وحده؛ والدهر إنما هو خلْقٌ مسخّر، وزمنٌ تجري فيه الحوادث بأمر الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٦).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه أن من سبّ الدهر فقد آذى الله؛ أي: تنقّصَه.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم سبّ الدهر.

٢- وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

٣- أن الدهر خلقٌ مسخّر.

٤- أن الخلق قد يؤذون الله بالتنقص، ولا يضرونه.

٤٥- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»، قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاه(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»(٢).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أن التسمّي باسمٍ فيه مشاركةٌ لله في التعظيم شركٌ في الربوبية.

التراجم: سفيان هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلاليّ، ثقة حافظ فقيه، وُلد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وسكن مكة، ومات فيها سنة ١٩٨هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَنَحْوِهِ: أي: نحو قاضي القضاة؛ مثل: حاكِم الحكام، وسلطان السلاطين، وسيد السادات.

فِي الصَّحِيحِ: أي: في الصحيحين.

يُسمَّى: مبني للمجهول: أي يُدعى بذلك، ويرضى به وفي بعض الروايات: «تَسمّى» بالتاء؛ أي: سمّى نفسه بذلك.

«الأَمْلَاكِ»: جمع ملِك بكسر اللام.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم [ح٢١ (٢١٤٣)].
(٢) أخرجه مسلم [ح٢٢ (٢١٤٣)].

«لَا مَالِكَ إِلَّا الله»: هذا ردٌّ على من فعل ذلك بأنه وضع نفسه شريكًا لله فيما هو من خصائصه.

«شَاهَانْ شَاه»: هو عبارة عند العجَم عن ملك الأملاك، وهذا تمثيلٌ، لا حصر.

وَفِي رِوَايةٍ: أي: لمسلم في صحيحه.

«أَغْيَظُ رَجُلٍ»: الغيظ: مثل الغضب والبغض؛ أي: أنه يكون بغيضًا إلى الله.

«وَأَخْبَثُهُ»؛ أي: أبطله، أي: يكون خبيثًا عند الله مغضوبًا عليه.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ﷺ أن أوضع الناس عند الله عَزَّوَجَلَّ من تسمّى باسمٍ يحمل معنى العظمة والكبرياء، التي لا تليق إلا بالله -كملك الملوك-؛ لأن هذا فيه مضاهاةٌ لله، وصاحبُه يدّعي لنفسه أو يُدَّعى له أنه ندٌّ لله؛ فلذلك صار المتسمِّي بهذا الاسم من أبغض الناس إلى الله وأخبثهم عنده.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على تحريم التسمي بقاضي القضاة ونحوه؛ قياسًا على تحريم التسَمِّي بملك الملوك الوارد ذمُّه والتحذير منه.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التسمِّي بقاضي القضاة ونحوه.

٢- وجوب احترام أسماء الله تعالى.

٣- الحث على التواضع واختيار الأسماء المناسبة للمخلوق والألقاب المطابقة له.

٤٦- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيحٍ: أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(١).

الشَّرح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم من أجل ذلك من تحقيق التوحيد.

التراجم: أبو شُريح اسمه: هانئ بن يزيد الكِنديّ، صحابيٌّ، نزل الكوفة وتوفي بالمدينة سنة ٦٨هـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ: أي: تعظيمها، واحترمَه: رعى حرمته وهابه.

تَغْيِيرِ الاسْمِ: أي: تحويله وتبديله، وجعل غيره مكانه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (٤٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٤٥).

لأَجْلِ ذَلِكَ: أي: لأجل احترام أسماء الله.

يُكْنَى: الكنية ما صُدِّر بأبٍ أو أمّ.

الحَكَمِ: من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحاكم الذي إذا حكم لا يُرد حكمه.

«**وَإِلَيْهِ الحُكْمُ**»؛ أي: الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة.

«**إِنَّ قَوْمِي**»... إلخ؛ أي: أنا لم أُكَنِّ نفسي بهذه الكنية، وإنما كنَّاني بها قومي.

«**مَا أَحْسَنَ هَذَا**»؛ أي: الإصلاح بين الناس، والحكم بينهم بالإنصاف، وتحرِّي العدل.

«**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»: كنَّاه بالأكبر؛ رعايةً لأنه أولى بذلك.

المعنى الإجمالي للحديث: استنكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على هذا الصحابي تكنِّيه بأبي الحكم؛ لأن الحكم من أسماء الله، وأسماء الله يجب احترامها؛ فبين له الصحابي سبب هذه التكنية، وأنه كان يصلح بين قومه، ويحل مشاكلهم بما يُرضي المتنازعين، فاستحسن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا العمل دون التكنية، ولذلك غيَّرها، فكنَّاه بأكبر أولاده.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على المنع من إهانة أسماء الله بالتسمي بأسمائه تعالى المختصة به، والتكني بذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- فيه تحريم امتهان أسماء الله تعالى، والمنع مما يوهم عدم احترامها؛ كالتكني بأبي الحكم ونحوه.

٢- أن الحكم من أسماء الله تعالى.

٣- جواز الصلح والتحاكم إلى من يصلح للقضاء، وإن لم يكن قاضيًا، وأنه يلزم حكمه.

٤- أنه يُكنى الرجل بأكبر بنيه.

٥- مشروعية تقديم الكبير.

٦- مشروعية تغيير الاسم غير المناسب إلى اسم مناسب.

٤٧- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان حكم من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه كفرٌ منافٍ للتوحيد.

بَابُ مَنْ هَزَلَ... إلخ؛ أي: باب بيان حكم من فعل ذلك.

هَزَلَ: الهزل: المزاح ضدّ الجد.

﴿وَلَئِن﴾: اللام لام القسم.

﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: سألت هؤلاء المنافقين عن استهزائهم بك وبالقرآن.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾: معتذرين.

﴿نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: ولم نقصد الاستهزاء والتكذيب، وإنما قصدنا الخوض في الحديث واللعب.

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: قل لهم -توبيخًا لهم على استهزائهم، والخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إن عذركم هذا لن يُغني عنكم من الله شيئًا.

المعنى الإجمالي للآية: يقول الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولئن سألت هؤلاء المنافقين الذين تكلّموا بكلمة الكفر استهزاءً، فإنهم سيعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب، وإنما قصدوا الخوضَ في الحديث، فأخبرَهم أن عذرهم هذا لا يُغني عنهم من الله شيئًا.

مناسبة الآية للباب: أنها تدل مع ما بعدها على كفر من هزل بشيء فيه ذكر الله أو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو القرآن.

ما يستفاد من الآية:

١- أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفرٌ ينافي التوحيد.

٢- أن من فعل الكفر، وادعى أنه لم يعلم أنه كفرٌ لا يعذر بذلك.

٣- وجوب تعظيم ذكر الله وكتابه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- أن من تلفّظ بكلام الكفر، كفر، ولو لم يعتقد ما قال بقلبه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّد بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ(١) نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارَةَ لَتَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ مَا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»(٢).

الشَّرح

التراجم:

١- ابْنِ عُمَرَ هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٤٧): (النِّسعة بالكسر: سَيرٌ مَضفور يُجعل زِمامًا للبعير وغيره، وقد تُنْسَجُ عَريضة تُجْعل على صَدر البعير، والجمع: نُسْع ونِسَع وأنْساع). وانظر لسان العرب (٨/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩).

٢- وَمُحَمَّد بنِ كَعْبٍ هو: محمد بن كعب بن سُليم القَرَظيّ المدني، وهو ثقة عالم، مات سنة ١٢٠هـ.

٣- زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ هو: مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ثقة مشهورٌ، مات سنة ١٣٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- قَتَادَةَ هو: قتادة بن دعامة السدوسي، مفسِّر حافظ، مات سنة ١١٧هـ تقريبًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- عَوفُ بنُ مَالكٍ: هو عوف بن مالك الأشجعيّ، أول مشاهده خيبر، وروى عنه جماعةٌ من التابعين توفي سنة ٧٣هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ: أي: أن الحديث مجموعٌ من رواياتهم.

«**قُرَّائِنَا**»: القراء: جمع قارئ، وهم عند السلف: الذين يقرؤون القرآن، ويعرفون معانيه.

«**أَرْغَبَ بُطُونًا**»؛ أي: أوسع بطونًا، يصفونهم بسعة البطون وكثرة الأكل.

«**عِنْدَ اللِّقَاءِ**»: يعني: لقاء العدو.

«**فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ**»؛ أي: جاء الوحي من الله بما قالوه قبل وصوله إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾... إلخ: أي: نتبادل الحديث، ولم نقصد حقيقة الاستهزاء.

«**نَسْعَةِ**»: النسعة: سيرٌ مضفورٌ عريضٌ تُشد به الرحال.

المعنى الإجمالي للأثر: يصف هؤلاء الرواة ما حصل من المنافقين من الوقيعة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والسخرية بهم؛ وذلك لما تنطوي

عليه قلوب هؤلاء المنافقين من الكفر والحقد، وقد أظهر الله ذلك على ألسنتهم فقالوا ما قالوا، فأنكر عليهم من حضرهم من المؤمنين الصادقين؛ غيرةً لله ولدينه، ثم ذهب ليرفع أمرهم إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكنّ الله الذي يعلم السر وأخفى قد سمع مقالتهم، وأخبر بها رسولَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبل وصول ذلك المؤمن، وحكم عليهم سبحانه بالكفر وعدم قبول اعتذارهم، ثم جاء أحد هؤلاء المنافقين معتذرًا إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فرفض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبول اعتذاره؛ لأمر الله له بذلك، فلم يزِد في ردّه عليه على ما قاله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في حقّهم من التوبيخ والتقريع.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه بيانًا وتفسيرًا للآية الكريمة.

ما يستفاد من الأثر:

١- بيان ما تنطوي عليه نفوس المنافقين من العداوة لله ورسوله والمؤمنين.

٢- أن من استهزأ بالله وآياته ورسوله، فهو كافرٌ، وإن كان مازحًا.

٣- أن ذكر أفعال الفسّاق لولاة الأمور ليردعوهم ليس من الغيبة والنميمة، بل هو من النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٤- الغِلظة على أعداء الله ورسوله.

٥- أن من الأعذار ما لا ينبغي قبوله.

٦- الخوف من النفاق؛ فإن الله سبحانه أثبت لهؤلاء إيمانًا قبل أن يقولوا ما قالوه.

٧- أن الاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالقرآن ناقضٌ من نواقض الإسلام، ولو لم يعتقد ذلك بقلبه.

٤٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت:٥٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي»(٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]، قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ»(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»(٤).

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ»(٥).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أن زعْم الإنسان استحقاقَه ما حصل له من النعم بعد الضراء منافٍ لكمال التوحيد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣)، وأخرجه البخاري معلقًا، باب تفسير سورة حم السجدة فصلت (ص٩٠٥، ٩٠٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير الثعالبي (٤/ ٦٠)، وتفسير البحر المحيط (٧/ ٤١٥)، وشفاء العليل (ص٣٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٢) عن السدي، وانظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١٢).

(٥) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٢).

﴿ وَلَئِنْ ﴾: اللام: لام قسمٍ.

﴿أَذَقْنَٰهُ ﴾: آتيناه.

﴿ رَحْمَةً ﴾: غنىً وصحة.

﴿ ضَرَّآءَ ﴾: شدةً وبلاءً.

﴿ قَآئِمَةً ﴾؛ أي: تقوم.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾؛ أي: ولئن قامت الساعة -على سبيل الافتراض-، ورجعت إلى ربي.

﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾؛ أي: يكون لي عند الله في الآخرة الحالة الحسنى من الكرامة؛ وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا، فهو لاستحقاقه إياه، وليس لله فيه فضلٌ.

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: فلنخبرنَّهم.

﴿ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾؛ أي: بحقيقة أعمالهم، عكس ما اعتقدوه من حسن منقلَبهم.

﴿ غَلِيظٍ ﴾؛ أي: شديد.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى أن الإنسان في حال الضُّر يضطر إلى الله، وينيب إليه، ويدعوه، وأنه في حال اليسر والسعة يتغير حالُه، فينكر نعمة الله عليه، ويُعرض عن شكرها؛ لزعمه أنه إنما حصلت له هذه النعمة بكدّه وكسبه وحوله وقوته، وأعظم من ذلك أنه ينفي قيام الساعة وزوال الدنيا، ويقول: (إن قدِّر قيام الساعة، فستستمر لي هذه الحالة الحسنة؛ لأنني

أستحقها)، ثم يعقب سبحانه على ذلك بأنه لا بد أن يوقَف هذا وأمثاله من الكافرين على حقيقة أعمالهم الشنيعة، ويجازيهم عليها بأشد العقوبة.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب شكر نعمة الله والاعتراف بأنها منه وحده.

٢- تحريم العُجب والاغترار بالحول والقوة.

٣- وجوب الإيمان بقيام الساعة.

٤- وجوب الخوف من عذاب الله في الآخرة.

٥- وعيد من كفر بنعمة الله.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الأَبْرَصَ، أَوِ الأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى

هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» أَخْرَجَاهُ(١).

الشَّرْح

أَخْرَجَاهُ: أي: البخاري ومسلم.

«**أَبْرَصَ**»: الأبرص: من به داءُ البرص، وهو: بياضٌ يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج.

«**وَأَقْرَعَ**»: هو: من به قرَع، وهو: داءٌ يصيب الصبيان في رؤوسهم، ثم ينتهي بزوال الشعر أو بعضه، ويطلق القرع على الصلع.

«**وَأَعْمَى**»: هو: من فقد بصره.

«**أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ**»؛ أي: يختبرهم بنعمته.

«**قَذِرَنِي النَّاسُ**»: بكسر: الذّال؛ أي: كرِهوا مخالطَتي وعدُّوني مستقذرًا من أجله.

«**شَكَّ إِسْحَاقُ**»: هو ابن عبد الله بن أبي طلحة راوي الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

«عُشَرَاءَ»: بضم العين، وفتح الشين والمد، وهي: الناقة الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية.

«وَالِدًا»؛ أي: ذات ولد، أو التي عُرف منها كثرة الولد والنتاج.

«أُنْتِجَ»؛ أي: تولى صاحبُ الناقة وصاحب البقرة نتاجهما.

«وَوَلَّدَ»: بتشديد اللام؛ أي: تولّى ولادها.

«فَكَانَ لِهَذَا»... إلخ؛ أي: كان لكلّ واحد منهم ما يملأ الوادي من الإبل والبقر والغنم.

«انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ»؛ أي: أسباب المعيشة.

«أَتَبَلَّغُ بِهَا»؛ أي: أتوصَّل به إلى البلد الذي أريده.

«كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»؛ أي: ورثت هذا المال عن كبيرٍ ورِثَه عن كبيرٍ آخر في الشرف.

«فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ»؛ أي: ردّك إلى حالك الأولى برجوع العاهة إليك.

«لَا أَجْهَدُكَ»؛ أي: لا أشقّ عليك برد شيء تأخذُه من مالي.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هؤلاء الثلاثة الذين أُصيب كل منهم بعاهة في الجسم وفقر من المال، ثم إن الله سبحانه أراد أن يختبرهم، فأزال ما أصابهم من العاهات، وأدرَّ عليهم من الأموال، ثم أرسل إلى كل واحد منهم الملك بهيئته الأولى من: المرض والقرَع والعمى والفقر، يستجديه شيئًا يسيرًا، وهنا تكشّفت سرائرهم، وتجلّت حقائقُهم، فالأعمى اعترف بنعمة الله عليه، ونسبَها إلى من أنعم عليه بها، فأدّى حق الله فيها،

فاستحق الرضا من الله، وكفر الآخران بنعمة الله عليهما، وجحدا فضله، فاستحقا السخَط بذلك.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه بيان حال من كفر النعم ومن شكرَها.

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب شكر نعمة الله في المال وأداء حق الله فيه.

٢- تحريم كفر النعمة ومنع حق الله في المال.

٣- جواز ذكر حال من مضى من الأمم؛ ليتعظ به من سمِعه.

٤- أن الله يختبر عباده بالنعم.

٥- مشروعية قول: «بالله ثم بك»، فيكون العطف بـ«ثُمَّ»، لا بالواو في مثل هذا التعبير.

٤٩- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠].

قَالَ ابْنُ حَزْم: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ المُطَّلِبِ(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الآيةِ قَالَ: «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، آتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الذي أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ الجَنَّةِ لَتُطِيعُنَّنِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهَا قَرْنَيْ إِيلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ وَلأَفْعَلَنَّ وَلأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهُمَا سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ يَعْنِي الثَّانِيَةَ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لأَفْعَلَنَّ وَلأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهُمَا فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَانِهِ فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَةُ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ(٢).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»(٣).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَولِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ:

---

(١) انظر: مراتب الإجماع (ص١٥٤).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤).

«أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا»(١)، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَنِ وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا(٢).

الشَّرْح

التراجم: ابن حزم هو: عالِمِ الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم القرطبيّ الظاهريّ، توفي سنة ٤٥٦هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أنَّ تعبيد الأولاد وغيرهم لغير الله في التسمية شركٌ في الطاعة وكفرٌ بالنعمة.

﴿ءَاتَىٰهُمَا﴾؛ أي: أعطى آدم وحواء ما طلباه من الولد الصالح.

﴿صَٰلِحًا﴾؛ أي: ولدًا سويًّا.

﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: جعلا لله شريكًا في الطاعة.

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾؛ أي: ما رزقهما من الولد بأن سمَّياه عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلا لله.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: تنزَّه.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عمَّا يفعله أهل مكة من الشرك بالله، فهو انتقال من ذكر الشخص إلى ذكر الجنس.

اتَّفَقُوا: لعل مرادَه حكاية الإجماع.

عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ: لأنه شركٌ في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٤٤، ١٤٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢ - ١٦٣٤).

حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ: أي: فلم يتفقوا على تحريم التسمية به؛ لأن أصلَه من عبودية الرقِّ، أو لأنه من باب الإخبار بالاسم الذي عُرف به المسمَّى، لا من باب إنشاء التسمية.

«**تَغَشَّاهَا**»: التغَشِّي: كنايةٌ عن الجماع.

«**إِبِلٍ**»: بفتح الهمزة وكسر الياء مشددةً: ذَكَرُ الأوعال.

«**فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ**»: وكان الحارث اسم إبليس، فأراد أن يسمِّياه بذلك؛ لتحصل صورة الإشراك به.

«**فَأَدْرَكَهُمَا حُبَّ الْوَلَدِ**»؛ أي: حب سلامة الولد، وهذا من الامتحان.

«**أَشْفَقَا**»؛ أي: خافا.

«**أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا**»؛ أي: بأن يكون بهيمة.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عن آدم وحواءَ أنه لما أجاب دعاءهما، ورزَقهما ولدًا سويًّا على الصفة التي طلَبا، لم يقُوما بشكر تلك النعمة على الوجه المرضيّ؛ كما وعَدا بذلك، بل سمَّياه عبد الحارث؛ فعبَّداه لغير الله، ومن تمام الشكر أن لا يُعبَّد الاسم إلا لله، فحصل منهما بذلك شركٌ في التسمية، لا في العبادة. ثم نزَّه نفسه عن الشرك عمومًا في التسمية وفي العبادة.

ما يستفاد من الآية:

١- تحريم التسمية بكل اسمٍ معبّد لغير الله؛ كعبد الحسين، وعبد الرسول، وعبد الكعبة.

٢- أن الشرك يقع في مجرد التسمية، ولو لم تُقصد حقيقتها.

٣- أن هبة الله للرجل الولدَ السويَّ من النعم التي تستحق الشكر.

٤- أن من شكر إنعام الله بالولد تعبيده لله.

٥٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يُشرِكُونَ»(١).

وَعَنْهُ: «سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإِله، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ»(٢).

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»(٣).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب الرد على من يتوسل إلى الله بالأموات، وأن المشروع التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

التراجم: الأعمش هو: سليمان بن مهران الكوفي الفقيه، ثقةٌ حافظٌ ورِعٌ، مات سنة ١٤٧هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: التي بلغت الغاية في الحُسن، فليس في الأسماء أحسن منها وأكمل، ولا يقوم غيرُها مقامَها.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾؛ أي: اسألوه، وتوسَّلوا إليه بها.

﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ ﴾؛ أي: اترُكوهم، وأعرِضوا عن مجادَلتِهم.

﴿ يُلْحِدُونَ ﴾: الإلحاد: الميل؛ أي: يميلون بها عن الصواب؛ إما بجَحدِها، أو جحدِ معانيها، أو جعلها أسماء لبعض المخلوقات.

﴿ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾؛ أي: يشركون غيرَه في أسمائه؛ كتسميتهم الصنم إلهًا.

﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾: وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ بنزول العقوبة بهم.

وَعَنْهُ: أي: عن ابن عباس.

«سَمَّوا اللَّاتَ»... إلخ: بيانٌ لمعنى الإلحاد في أسمائه؛ أنهم اشتقُّوا منها أسماءً لأصنامهم.

«يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»؛ أي: يدخلون في أسماء الله ما لم يُسَمِّ به نفسَه، ولم يسمِّه به رسولُه.

المعنى الإجمالي للآية: أخبر تعالى عن نفسه أن له أسماءً قد بلغت الغاية في الحُسن والكمال؛ وأمر عباده أن يسألوه ويتوسلوا إليه بها، وأن يتركوا الذين يميلون بهذه الأسماء الجليلة إلى غير الوجهة السليمة، وينحرفون بها عن الحق بشتى الانحرافات الضالة، وأن هؤلاء سيلقون جزاءَهم الرادع.

ما يستفاد من الآية:

١- إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله.

٢- أن أسماء الله حسنى.

٣- الأمر بدعاء الله والتوسل إليه بأسمائه.

٤- تحريم الإلحاد في أسماء الله بنفيِها أو تأويلِها أو إطلاقِها على بعض المخلوقات.

٥- الأمر بالإعراض عن الجاهلين والملحدين وإسقاطهم من الاعتبار.

٦- الوعيد الشديد لمن ألحد في أسماء الله وصفاته.

٥١- بَابٌ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»(١).

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لَمَّا كان السلام على الشخص معناه: طلب السلامة له من الشرور والآفات، امتنع أن يُقال: «السلام على الله»؛ لأنه هو الغنيّ السالم من كلِّ آفة ونقص، فهو يُدعى، ولا يُدعى له، ويُطلب منه، ولا يُطلب له؛ فهذا الباب فيه وجوبُ تنزيه الله عن الحاجة والنقص، ووصفه بالغنى والكمال.

فِي الصَّحِيحِ: أي: في الصحيحين.

«**قُلْنَا السَّلَامُ عَلَى اللهِ**»؛ أي: في التشهد الأخير؛ كما في بعض ألفاظ الحديث.

«**لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ**»: هذا نهيٌ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التسليم على الله.

«**فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»: تعليلٌ للنهي بأن السلام من أسمائه سبحانه، فهو غنيٌّ عن أن يُسلَّم عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا يسلِّمون على الله، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وبيَّن لهم أن ذلك لا يليق بالله؛ لأنه هو السلام، ومنه السلام، فلا يليق به أن يسلَّم عليه، بل هو الذي يسلِّم على عباده، ويسلِّمهم من الآفات.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن أن يُقال: «السلام على الله».

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن السلام على الله.

٢- أن السلام من أسمائه سبحانه.

٣- تعليم الجاهل.

٤- قرنُ الحكمِ بعلَّته.

٥٢- بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(٢).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لمَّا كان قول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب، والاستغناء عن الله من ناحية، ويُشعر بأن الله تعالى قد يضطرّه شيءٌ إلى فعل ما يفعل؛ وفي هذين المحذورين مضادةٌ للتوحيد؛ لذلك ناسب عقدُ هذا الباب في كتاب التوحيد.

بَابُ قَوْلِ اللهُمَّ... إلخ: أي: أنه لا يجوز.

فِي الصَّحِيحِ: أي: في الصحيحين.

«لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ»؛ أي: ليجزم في طلبته، ويحقق رغبته، ويتيقن الإجابة.

«لَا مُكْرِهَ لَهُ»؛ أي: لا يضطرّه دعاءٌ ولا غيرُه إلى فعل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم [٩ ح(٢٦٧٩)].

(٢) أخرجه مسلم [٨ ح(٢٦٧٩)].

«**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**»: بتشديد الظاء: أن يلح في طلب الحاجة.

«**لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»؛ أي: لا يكبر، ولا يعسُر عليه.

المعنى الإجمالي للحديث: ينهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعليقِ طلب المغفرة والرحمة من الله على المشيئة، ويأمر بعزم الطلب دون تعليق، ويعلل ذلك بأن تعليق الطلب من الله على المشيئة يشعِر بأن الله يُثقلُه شيءٌ من حوائج خلقه، أو يضطره شيءٌ إلى قضائها، وهذا خلافُ الحقِّ؛ فإنه هو الغني الحميد الفعَّال لما يريد.

كما يُشعِر ذلك بفتور العبد في الطلب واستغنائه عن ربِّه؛ وهو لا غنى له عن الله طرفةَ عين.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهيَ عن تعليق طلب المغفرة من الله بالمشيئة، وبيانَ علة ذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن تعليق طلب المطلوب من الله بمشيئته، والأمرُ بإطلاق سؤال الله دون تقييد.

٢- تنزيهُ الله عما لا يليق به، وسعةُ فضله، وكمالُ غِناه، وكرمُه وجودُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁❁❁

٥٣- بَابُ لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»[(١)].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن التلفُّظ بهذه الألفاظ المذكورة يوهم المشاركة في الربوبية، فنُهي عنه؛ تأدُّبًا مع الربوبية، وحمايةً للتوحيد بسدِّ الذرائع المفضية إلى الشرك.

فِي الصَّحِيحِ: أي: الصحيحين.

«لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ»: لا: ناهيةٌ، والفعل بعدها مجزومٌ بها؛ أي: لا يقُل ذلك لمملوكه.

«أَطْعِمْ رَبَّكَ»: بفتح الهمزة أمرٌ من الإطعام.

«وَضِّئْ رَبَّكَ»: أمر من التوضئة، والنهي عن الموضعين لمنع المضاهاة لله سبحانه؛ لأنه هو الرب. وهذا المنع يختص في منع الربوبية للإنسان، بخلاف غيرِه، فيقالُ: رب الدار والدابة.

«وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي»: لأن السيادة معناها الرئاسة على ما تحت يدِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وأيضًا هناك فرقٌ بين الرب والسيِّد: فإن الرب من أسماء الله بالاتفاق، بخلاف السيد؛ فقد اختُلف في كونه من أسماء الله. وعلى القول بأنه منها، فليس له من الشُّهرة وكثرة الاستعمال مثل ما للرب.

«وَمَوْلَايَ»: المولى يُطلق على معانٍ كثيرة، منها: المالكُ، وهو المراد هنا.

«وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي»: لأن الذي يستحق العبودية هو الله سبحانه؛ ولأن في ذلك تعظيمًا لا يستحقه المخلوق.

«وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»: لأن هذه الألفاظ لا تدل على العبودية كدلالة عبدي وأمتي، وفيها تجنُّب للإيهام والتعاظم.

المعنى الإجمالي للحديث: ينهى ﷺ عن التلفظ بالألفاظ التي توهِم الشرك، وفيها إساءة أدب مع الله؛ كإطلاق ربوبية إنسان لإنسان، أو عبودية إنسان لإنسان؛ لأن الله هو الرب المعبود وحده، ثم أرشد ﷺ إلى اللفظ السليم الذي لا إيهام فيه؛ ليكون بديلًا من اللفظ الموهِم، وهذا منه ﷺ حمايةً للتوحيد وحفاظًا على العقيدة.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن قول: «**عبدي وأمَتي**».

ما يستفاد من الحديث:

١- النهيُ عن استعمال الألفاظ التي توهِم الشرك.

٢- سدُّ الطرق الموصلة إلى الشرك.

٣- ذكرُ البديل الذي لا محذور فيه؛ ليُستعملَ مكان ما فيه محذورٌ من الألفاظ.

٥٤- بَابُ لا يُــرَدُّ مَنْ سَــأَلَ بِاللَّه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَالنَّسَائِي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(١).

الشَّـرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لأن في عدم إعطاء من سأل بالله عدم إعظامٍ لله، وعدم إجلالٍ له؛ وذلك يُخلُّ بالتوحيد.

«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ»؛ أي: من لجأ إلى الله وسألكم أن تدفعوا عنه شرّكم أو شرّ غيركم.

«فَأَعِيذُوهُ»؛ أي: امنعوه مما استعاذ منه، وكفُّوه عنه؛ تعظيمًا لاسم الله.

«وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ»: بأن قال: أسألُك بالله.

«فَأَعْطُوهُ»؛ أي: أعطُوه ما سأل، ما لم يسألْ إثمًا أو قطيعة رحم.

«وَمَنْ دَعَاكُمْ»؛ أي: إلى طعامٍ أو غيرِه.

«فَأَجِيبُوهُ»؛ أي: أجيبوا دعوته.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٦٨)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٣٤٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٣) وصححه،والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٩٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ**»؛ أي: من أحسن إليكم أيَّ إحسان.

«**مَعْرُوفًا**»: المعروف: اسمٌ جامعٌ للخير.

«**فَكَافِئُوهُ**»؛ أي: على إحسانه بمثله أو خير منه.

«**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا**»؛ أي: لم تقدروا على مكافأته.

«**فَادْعُوا لَهُ**»... إلخ: أي: فبالغوا في الدعاء له جُهدكم.

المعنى الإجمالي للحديث: يأمر ﷺ في هذا الحديث بخصالٍ عظيمة، فيها تعظيمُ حق الله سبحانه بإعطاء من سأل به، وإعاذة من استعاذ به، وتعظيمٌ لحق المؤمن؛ من إجابة دعوته، ومكافأته على إحسانه بمثله أو أحسن منه مع القدرة، ومع عدَمها بإحالة مكافأته إلى الله بطلب الخير له منه.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه الأمرَ بإعطاء من سأل بالله وعدم ردِّه.

ما يستفاد من الحديث:

١- أنه لا يُرد من سأل بالله؛ إجلالًا لله وتعظيمًا له.

٢- أن من استعاذ بالله، وجبت إعاذتُه ودفع الشر عنه.

٣- مشروعية إجابة دعوة المسلم لوليمةٍ أو غيرِها.

٤- مشروعية مكافأة المُحسِن عند القدرة.

٥- مشروعية الدعاء للمحسِن عند العجز عن مكافأته.

٥٥- بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ(١).

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه يجب احترام أسماء الله وصفاته؛ فلا يُسأل عن شيء من المطالب الدنيوية بوجهه الكريم؛ بل يُسأل به أهمّ المطالب وأعظم المقاصد، وهو الجنة، فهذا من حقوق التوحيد.

«**لَا يُسْأَلُ**»: رُوي بالنفي، ورُوي بالنهي.

«**بِوَجْهِ اللهِ**»: هو صفة من صفاته الذاتية، يليق بجلاله وعظمته.

«**إِلَّا الجَنَّةُ**»: أو ما هو وسيلةٌ إليها من المقاصد العظام.

المعنى الإجمالي للحديث: ينهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسأل بوجه الله الكريم الأمور الحقيرة وحوائج الدنيا؛ إجلالًا لله وتعظيمًا له، ويقصر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال بوجه الله على الجنة، التي هي غاية المطالب.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن أن يُسأل بوجه الله غير الجنة.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١).

ما يستفاد من الحديث:

١- إثبات الوجه لله سبحانه على ما يليق بجلاله كسائر صفاته.

٢- وجوب تعظيم الله واحترام أسمائه وصفاته.

٣- جواز سؤال الجنة والأمور الموصِّلة إليها بوجه الله، والمنع من أن يُسأل به شيءٌ من حوائج الدنيا.

٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوْ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن من كمال التوحيد الاستسلام للقضاء والقدر؛ وأن قول «لو» لا يُجدي شيئًا، وهو يشعر بعدم الرضا بالقدر، وهذا مخلٌّ بالتوحيد.

مَا جَاءَ فِي اللَّو: أي: من الوعيد والنهي عنه.

﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: يقول بعض المنافقين يوم أحد؛ معارضةً للقدر.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ أي: لو كان الاختيار إلينا.

﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾؛ أي: لما غُلبنا، ولما قُتل من قُتل منا في هذه المعركة.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾؛ أي: وفيكم من كتب الله عليه القتل.

﴿لَبَرَزَ﴾؛ أي: خرج.

﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾؛ أي: قُضي.

﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾؛ أي: منكم.

﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾؛ أي: مصارعهم، ولم يُنجهم قعودُهم؛ لأن قضاء الله كائن لا محالة.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يختبر.

﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: قلوبكم من الإخلاص والنفاق.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: يميِّز ما تنطوي عليه من النيات.

﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، فهو غنيٌّ عن الابتلاء، وإنما يفعله ليظهر للناس، وليترتب عليه الثواب والعقاب.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر الله -سبحانه- عما كان يكنه المنافقون يوم وقعة أحد من الاعتراض على القدر والتسخط لما وقع عليهم من الله، وأنهم يقولون: (لو كان الاختيار والمشورة إلينا، ما خرجنا، ولنجونا مما حصل من الهزيمة والقتل)، فرد الله عليهم بأن ما حصل قدرٌ مقدَّر، لا ينجي منه البقاء في البيوت؛ فالتلهّف وقول: «لو» لا يجدي شيئًا.

مناسبة الآية للباب: أن قول: «لو» في الأمور المقدرة لا يجوز؛ وهو من كلام المنافقين.

ما يستفاد من الآية:

١- النهي عن قول: «لو» في الأمور المقدرة؛ لأنها تدل على التسخط على القدر، وتجدد الأحزان في النفوس، أما قول: «لو» تندُّمًا على فوات الطاعة، فلا بأس به؛ لأنه يدل على الرغبة في الخير.

٢- مشروعية الاستسلام للقضاء والقدر وعدم تسخّطِه.

٣- أن الحذر لا يُنجي من القدر.

٤- أن من كُتب عليه الموت في محلّ، فلا بد أن يذهب إليه، ولو حاول الامتناع عنه.

وَقَوْلِهِ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٨].

الشَّرْح

﴿ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾؛ أي: قالوا للمسلمين المجاهدين، سُمّوا إخوانهم؛ لموافقتهم في الظاهر، وقيل: إخوانهم في النسب.

﴿ وَقَعَدُواْ ﴾؛ أي: عن الجهاد.

﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾؛ أي: في القعود.

﴿ مَا قُتِلُواْ ﴾؛ أي: كما لم نُقتل.

﴿ قُلْ ﴾؛ أي: لهؤلاء.

﴿ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾؛ أي: ادفعوه عنها.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾؛ أي: في أن القعود ينجّي منه.

المعنى الإجمالي للآية: ينكر تعالى على المنافقين الذين يعارضون القدر بقولهم لمن خرج مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: (لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج، ما قتلوا مع من قُتل)، ويرد عليهم بأنهم إن كانوا يقدرون على دفع القتل عمن كُتب عليه، فليدفعوا الموت عن أنفسهم، فهي أولى بالدفع عنها، فإذا لم يقدروا على الدفع عنها، فغيرُها من باب أولى.

مناسبة الآية للباب: أن قول: «لو» في الأمور المقدّرة من سمات المنافقين.

ما يستفاد من الآية:

١- التحذير من قول: «لو» على وجه المعارضة للقدر والتأسّف على المصائب.

٢- أن مقتضى الإيمان الاستسلام للقضاء والقدر؛ وأن عدم الاستسلام له من صفات المنافقين.

٣- مشروعية مجادلة المنافقين وغيرهم من أهل الباطل؛ لإبطال شبَهِهم ودحض أباطيلهم.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(١).

الشَّرْح

فِي الصَّحِيحِ: أي: في صحيح مسلم.

«**احْرِصْ**»: الحرص هو: بذل الجهد واستفراغ الوُسع.

«**عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»: يعني: في معاشك ومعادك.

«**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»؛ أي: الإعانة في جميع أمورك من الله لا من غيرِه.

«**وَلَا تَعْجَزْنَّ**»: بكسر الجيم وفتحها؛ أي: لا تفرّط في طلب ما ينفعك متّكلًا على القدر، ومستسلمًا للعجز والكسل.

«**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**»؛ أي: وإن غلبك أمر، ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستطاعة.

«**فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا**»؛ أي: فإن هذا القول لا يُجدي عليك شيئًا.

«**وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ**»؛ أي: لأن ما قدره لا بد أن يكون، والواجب التسليم للمقدور.

«**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»؛ أي: لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر والحزن ولوم القدر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

المعنى الإجمالي للحديث: يأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث بالحرص على النافع من الأعمال، والاستعانة بالله في القيام بها، وترقّب ثمراتها، وينهى عن العجز؛ لأنه ينافي الحرص على ما ينفع، ولما كان الإنسان معرضًا للمصائب في هذه الدنيا، أمر بالصبر والتحمّل وعدم التلوّم بقول: (لو أنني فعلت، لو أنني تركت)؛ لأن ذلك لا يجدي شيئًا، مع أنه يفتح على الإنسان ثغرةً لعدوِّه الشيطان، يدخل عليه منها، فيُحزنُه.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه النهي عن قول: «لو» عند نزول المصائب، وبيان ما يترتب على قولها من المفسدة.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على الاجتهاد في طلب النفع العاجل والآجل ببذل أسبابه.

٢- وجوب الاستعانة بالله في القيام بالأعمال النافعة والنهيُ عن الاعتماد على الحول والقوة.

٣- النهي عن العجز والبطالة وتعطيل الأسباب.

٤- إثبات القضاء والقدر، وأنه لا ينافي بذل الأسباب والسعي في طلب الخيرات.

٥- وجوب الصبر عند نزول المصائب.

٦- النهي عن قول: «لو» على وجه التسخط عند نزول المصائب، وبيان مفسدتها.

٧- التحذير من كيد الشيطان.

٥٧- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ(١).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن سبّ الريح سبٌّ لمدبّرها، وهو الله تعالى؛ لأنها تجري بأمره، فسبُّها مخلٌّ بالتوحيد.

التراجم: أُبيّ هو: أُبي بن كعب بن قيس الأنصاري، سيّد القرّاء، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلّها، قيل: مات في خلافة عمر، وقيل: في خلافة عثمان سنة ٣٠هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ»؛ أي: لا تشتموها، ولا تلعنوها للحوق ضررٍ بسببها.

«فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ»؛ أي: من الريح؛ إما شدة حرِّها، أو بردها، أو قوتها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣١)، وأحمد في المسند (٣٥/ ٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٧).

«فَقُولُوا: اللَّهُمَّ»... إلخ: رجوعٌ إلى خالقها ومدبرها بسؤاله خيرها ودفع شرها.

المعنى الإجمالي للحديث: ينهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سب الريح؛ لأنها مخلوقة مأمورة من الله، فسبّها سبٌّ لله وتسخط لقضائه، ثم أرشد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرجوع إلى خالقها بسؤاله من خيرها والاستعاذة به من شرّها؛ لما في ذلك من العبودية لله تعالى، وذلك هو حال أهل التوحيد.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن سب الريح.

ما يُستفاد من الحديث:

١- النهي عن سب الريح؛ لأنها خلقٌ مدبّر، فيرجع السبّ إلى خالقها ومدبّرها.

٢- الرجوع إلى الله والاستعاذة به من شر ما خلق.

٣- أن الريح تكون مأمورة بالخير، وتكون مأمورة بالشر.

٤- الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره للسلامة من شرّه.

٥٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: التنبيه على أن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وأن سوء الظن بالله ينافي التوحيد.

﴿يَظُنُّونَ﴾؛ أي: المنافقون، والظن في الأصل: خلاف اليقين.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾؛ أي: غير الظن الحق.

﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: بدلٌ من «غير الحق»؛ أي: الظن المنسوب إلى أهل الجهل؛ حيث اعتقدوا أن الله لا ينصر رسوله، والمراد بالجاهلية: ما قبل الإسلام.

﴿يَقُولُونَ﴾: بدلٌ من «يظنون».

﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ما لنا من النصر والظفر نصيبٌ قطّ، أو قد مُنعنا من تدبير أنفسنا، فلم يبق لنا من الأمر شيءٌ.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: ليس لكم ولا لغيركم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، فهو الذي لا رادّ لما شاءه وأراده.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾؛ أي: من الإنكار والتكذيب.

﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾؛ أي: غير الذي يُظهرون لك من الإيمان وطلب الاسترشاد.

وبقية المفردات تقدم شرحها في باب ما جاء في اللو.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر تعالى عما حصل من المنافقين يوم أحد؛ أنهم ظنوا بالله الظن الباطل، وأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن الأمر لو كان إليهم وكان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تبعًا لهم يسمعون منهم؛ لما أصابهم القتل، ولكان النصر والظفر لهم؛ فأكذبهم الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الظن، وبين أنه لا يكون ولا يحدث إلا ما سبق به قضاؤه وقدره، وجرى به كتابه السابق، وأنه لا راد لقضائه.

ما يستفاد من الآية:

١- أن من ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة -يضمحل معها الحق اضمحلالًا لا يقوم بعده-، فقد ظن بالله غير الحق ظن الجاهلية.

٢- إثبات الحكمة فيما يُجريه الله من ظهور الباطل أحيانًا.

٣- بيان خبث طويّة المنافقين، وأنهم عند الشدائد يظهر ما عندهم من النفاق.

٤- إثبات القضاء والقدر.

٥- وجوب تنزيه الله عما لا يليق به سبحانه.

٦- وجوب حسن الظن بالله تعالى.

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦].

الشَّرْح

﴿ٱلظَّآنِّينَ﴾؛ أي: المسيئين الظن بالله من المنافقين والمنافقات.

﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: بفتح السين وضمها،؛ أي: ظن الأمر السوء، وهو: أن لا ينصر رسوله والمؤمنين.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: دائرة العذاب والذل لازمة لهم، لاتتخطاهم.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾؛ أي: سخط عليهم، وأبعدهم من رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾؛ أي: هيّأ لهم في الآخرة.

﴿جَهَنَّمَ﴾؛ أي: النار الشديدة العذاب.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: منزلًا يصيرون إليه يوم القيامة.

المعنى الإجمالي للآية: يقول تعالى: إن الذين يتّهمون الله في حكمه، ويظنون أنه لا ينصر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وأتباعه على أعدائهم عليهم دائرة العذاب، وأبعدهم الله من رحمته، وهيأ لهم في الآخرة نارًا يصيرون إليها، هي شر ما يُصار إليه.

مناسبة الآية للباب: أن فيها أن من ظنّ أن الله لا ينصر حزبه على أعدائه، فقد ظن به ظن السوء.

ما يستفاد من الآية:

١- التحذير من سوء الظن بالله، ووجوب حسن الظن به.

٢- أن من ظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه، فقد ظن به ظن السوء.

٣- وصف الله بأنه يغضب على أعدائه، ويلعنهم.

٤- بيان عاقبة الكفار والمنافقين.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُولَى: (وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتَهُ وَقَدَرِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَبِوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ وَعَظَمَتَهُ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا[1]

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٢٨- ٢٣٥)، وهذا البيت للصحابي الجليل الأسود بن سريع التميمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المتوفى سنة اثنتين وأربعين، كان يقوله في قصصه، فسرقه الفرزدق، =

الشَّرْح

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: أي: في زاد المعاد في الكلام على ما تضمنته وقعةُ أُحُد، ومناسبة ذكر كلامه هنا توضيح معنى الآية الكريمة.

(فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ)؛ أي: المذكور في قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران:١٥٤].

(سَيَضْمَحِلُّ)؛ أي: يذهب ويتلاشى، حتى لا يبقى له أثر.

والاضمحلال: ذهاب الشيء.

(فَفُسِّرَ)؛ أي: فسر هذا الظن بثلاثة تفاسير.

(بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ)؛ أي: أن ما أجراه في وقعة أحد لم يكن لحكمة بالغة، وهي التي أشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

(وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ)؛ أي: أنهم لو أطاعونا، ولم يخرجوا، ما قتلوا.

وإنكار أن يتم أمر رسولِه: حيث ظنوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفاصلة، وأن الإسلام قد باد أهلُه.

(فِي سُورَةِ الْفَتْحِ)؛ أي: الظن الذي ذكره الله عن المنافقين والمشركين في سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

=وهو أول من قص في مسجد البصرة. انظر: المعارف (ص٥٥٧)، وانظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٧/ ٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧٤).

(يُدِيلُ الْبَاطِلَ)؛ أي: يجعل له الدولة والغلبة.

(تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ)؛ أي: اعتراضًا وافتراضًا عليه.

(فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ)؛ أي: من هذا الاعتراض على القدر.

(فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا)؛ أي: من هذه الخِصلة.

(تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ)؛ أي: من أمرٍ ذي مصيبة عظيمة.

(إِخَالُكُ): بكسر الهمزة؛ أي: أظنك.

(نَاجِيًا) من الاعتراض على القدر.

❀❀❀

٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ». ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ، أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

الشَّرْح

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنه لما كان توحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر والإيمان به، ذكر المصنف ما جاء في الوعيد في إنكاره؛ تنبيهًا على وجوب الإيمان به.

مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ: أي: من الوعيد الشديد. والقدَر: بفتح القاف والدال: ما يقدِّره الله من القضاء، وما يجري في الكون.

«أُحُدٍ»: بضمَّتين جبلٌ بقرب مدينة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهة الشام.

«ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»؛ أي: لما سأله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإيمان. ووجه الاستدلال: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فمن أنكره، لم يكن مؤمنًا متقيًا، والله لا يقبل إلا من المتقين.

المعنى الإجمالي للأثر: أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما بلغه أن قومًا ينكرون القدر، بين أنهم بهذا الاعتقاد الفاسد قد خرجوا من الدين؛ حيث

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

أنكروا أصلًا من أصوله، واستدل على ذلك بحديث الرسول ﷺ الذي ورد فيه أن الإيمان بالقدر أَحد أركان الإيمان الستة، التي يجب الإيمان بها جميعًا؛ فمن جحد بعضَها، فهو كافرٌ بالجميع.

مناسبة الأثر للباب: بيان حكم منكري القدر.

ما يستفاد من الأثر:

١- أن إنكار القدر كفرٌ.

٢- أن الأعمال الصالحة لا تُقبل إلا من المؤمن.

٣- الاستدلال على الأحكام من الكتاب والسنة.

❀❀❀

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِني»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ»(٣).

الشَّرْح

التراجم:

١- قال لابنه: هو: الوليد بن عُبادة، وُلد في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من كبار التابعين، ومات بعد السبعين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- ابن وهب: هو عبد الله بن وهب بن مسلم المصري الثقة الفقيه صاحب مالكٍ، وُلد سنة ١٢٥هـ، توفي سنة ١٩٧هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٣٧٨).
(٣) أخرجه ابن وهب في القدر (ص١٢١).

«**طَعْمَ الْإِيمَانِ**»: أي: حلاوته؛ فإن له حلاوة وطعمًا، من ذاقهما، تسلّى عن الدنيا وما عليها.

«**مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»... إلخ: أي: أن ما قُدِّر عليك من الخير والشر، فلن يتجاوزك، وما لم يقدَّر عليك، فلن يصيبك.

«**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ**»... إلخ: هذا استدلالٌ من عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على ما سبق.

«**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ**»: أي: هو أول شيء خلقه الله قبل خلق السماوات والأرض، وليس هو أول المخلوقات مطلقًا.

«**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا**»: أي: على غير الإيمان بالقدر.

«**فَلَيْسَ مِنِّي**»: أي: أنا بريءٌ منه؛ لأنه منكِر لعلم الله القديم بأفعال العباد، ومن كان كذلك، فهو كافر.

«**مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ**»: أي: بما قدره الله وقضاه في خلقه.

«**أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ**»: لكفره وبدعته؛ لأنه جحد قدرة الله التامة ومشيئته النافذة وخلقه لكل شيء، وكذّب بكتبه ورسله.

المعنى الإجمالي للأثر: أن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوصي ابنه الوليد بالإيمان بالقدر خيره وشره، ويبين له ما يترتب على الإيمان به من الثمرات الطيبة والنتائج الحسنة في الدنيا والآخرة، وما يترتب على إنكار القدر من الشرور والمحاذير في الدنيا والآخرة، ويستدلّ على ما يقول بسنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تثبت أن الله قدّر المقادير، وأمر القلم بكتابتها قبل وجود هذه المخلوقات، فلا يقع في الكون شيءٌ إلى قيام الساعة إلا بقضاءٍ وقدر.

مناسبة الأثر للباب: أن فيه وجوب الإيمان بالقدر، والتحذير من إنكاره والكفر به، وبيان الوعيد المترتب على ذلك.

ما يستفاد من الأثر:

١- وجوب الإيمان بالقدر.

٢- الوعيد الشديد المترتب على إنكار القدر.

٣- إثبات القلم وكتابة المقادير الماضية والمستقبلة به إلى قيام الساعة.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِي قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ[(١)].

الشَّرْح

التراجم: ابْنِ الدَّيْلَمِي هو: عبد الله بن فيروز الديلمي ثقة من كبار التابعين. وأبوه فيروز قاتل الأسود العنسي الكذاب.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ: أي: في مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود وابن ماجه.

«**فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ**»؛ أي: شكٌّ واضطراب يؤدّي إلى جحد.

«**لَوْ أَنْفَقْتَ**»... إلخ: هذا تمثيلٌ، لا تحديد.

«**حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»؛ أي: بأن جميع الأمور كائنةٌ بقضاء الله وقدره.

«**وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا**»؛ أي: على غير الإيمان بالقدر.

«**لَدَخَلْتَ النَّارَ**»؛ أي: لأنك جحدت ركنًا من أركان الإيمان، ومن جحد واحدًا منها، فقد جحد جميعها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد في المسند (٣٥/ ٤٦٥، ٥١١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٤)، و الحاكم في المستدرك بنحوه (٣/ ٦٢٤).

المعنى الإجمالي للأثر: يخبر عبد الله بن فيروز الديلمي أنه حدَث في نفسه إشكال في أمر القدر، فخشي أن يُفضي به ذلك إلى جحوده، فذهب يسأل أهل العلم من صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لحل هذا الإشكال -وهكذا ينبغي للمؤمن أن يسأل العلماء عما أُشكل عليه؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿ ...أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾ [سورة النحل:٤٣]-، فأفتاه هؤلاء العلماء كلهم بأنه لا بد من الإيمان بالقضاء والقدر، وأن من مات وهو لا يؤمن به، كان من أهل النار.

مناسبة ذكر الأثر في الباب: بيان أن الإيمان بالقدر أمرٌ حتمٌ، وأنه هو الذي رواه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما يستفاد من الأثر:

١- الوعيد الشديد على من لم يؤمن بالقدر.

٢- سؤال العلماء عما أشكل من أمور الاعتقاد وغيره.

٣- أن من وظيفة العلماء كشفَ الشبهات ونشر العلم بين الناس.

٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ[١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: لما كان التصوير وسيلة الشرك المضاد للتوحيد، ناسب أن يعقد المؤلف هذا الباب؛ لبيان تحريمه، وما ورد فيه من الوعيد الشديد.

مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ: أي: من الوعيد الشديد.

«وَمَنْ أَظْلَمُ»؛ أي: لا أحد أظلم منه.

«يَخْلُقُ كَخَلْقِي»؛ أي: لأن المصور يضاهي خلق الله.

«فَلْيَخْلُقُوا»: أمرُ تعجيز وتحدّ وتهديد.

«ذَرَّةً»: هي: النملة الصغيرة.

«أَوْ لِيَخْلُقُوا»: تعجيزٌ آخر.

«حَبَّةً»؛ أي: حبة حنطةٍ فيها طعم ومادة نبات وإنتاج.

«أَوْ لِيَخْلُقُوا»: تعجيزٌ آخر.

«شَعِيرَةً»: نوع آخر من الحبوب.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

المعنى الإجمالي للحديث: يروي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه يقول: لا أحد أشد ظلمًا ممن يصور الصور على شكل خلق الله؛ لأنه بذلك يحاول مشابهة الله في فعله، ثم يتحداه الله عَزَّ وَجَلَّ، ويبين عجزه عن أن يخلق أصغر شيء من مخلوقاته، وهو الذرة، بل هو عاجز عن أن يخلق ما هو أدنى من ذلك، وهو الجماد الصغير، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك كله؛ لأن الله هو المتفرد بالخلق.

مناسبة ذكر هذا الحديث في الباب: أنه يدل على تحريم التصوير، وأنه من أظلم الظلم.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التصوير، وبأي وسيلة وجد، وأن المصور من أظلم الظالمين.

٢- وصف الله أنه يتكلم.

٣- أن التصوير مضاهاةٌ لخلق الله، ومحاولةٌ لمشاركته في الخلق.

٤- أن القدرة على الخلق من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❀❀❀

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»**[(١)].

الشَّرْح

وَلَهُمَا: أي: البخاري ومسلم.

«يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»؛ أي: يشابهون بما يصنعونه ما يصنعه الله.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرًا معناه: النهي والزجر؛ أن المصورين أشد الناس عذابًا في الدار الآخرة؛ لأنهم أقدموا على جريمة شنعاء، وهي صناعتهم ما يشابه لخلق الله في صناعة الصور.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على شدة عقوبة المصورين؛ مما يفيد أن التصوير جريمة كبرى.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التصوير بجميع أشكاله وبأي وسيلة وُجد، وأنه مضاهاة لخلق الله.

٢- أن العذاب يوم القيامة يتفاوت بحسب الجرائم.

٣- أن التصوير من أعظم الذنوب، وأنه من الكبائر.

❁❁❁

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»(١).

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(٢).

الشَّرْح

«**كُلُّ مُصَوِّرٍ**»؛ أي: لذي روح.

«**فِي النَّارِ**»: لتعاطيه ما يشبه ما انفرد الله به من الخلق والاختراع.

«**يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ**»: الباء بمعنى «في»؛ أي: يُجعل له في كل صورة روحٌ تعذِّبه نفس الصورة التي جُعلت فيها الروح.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مآل المصورين يوم القيامة إلى النار، يعذَّبون فيها بأشد العذاب؛ بأن تُحضر جميع الصور التي صوَّروها في الدنيا، فيُجعل في كل صورة منها روحٌ، ثم تُسلَّط عليه بالعذاب في نار جهنم، فيعذب بما صنعت يده -والعياذ بالله.

ومن تعذيبه -أيضًا- أن يكلَّف ما لا يطيق، وهو نفخ الروح في الصورة التي صورها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) بلفظ مختلف، وأخرجه مسلم (٢١١٠) بنحو هذا اللفظ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

مناسبة الحديث للباب: أن فيه دليلًا على تحريم التصوير ووعيد المصورين.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التصوير، وأنه من الكبائر.

٢- تحريم التصوير بجميع أنواعه: تماثيل أو نقوش، وسواء كان رسمًا باليد أو التقاطًا بآلة التصوير الفوتوغرافية، إذا كانت الصورة من ذوات الأرواح، إلا ما دعت إليه الضرورة.

٣- تحريم التصوير لأي غرض كان إلا لدفع ضرورة.

٤- في الرواية الأخيرة دليلٌ على طول تعذيب المصورين وإظهار عجزهم.

٥- فيها أن الخلق ونفخ الروح لا يقدر عليهما إلا الله تعالى.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[١].

الشَّرْح

التراجم: أَبو الْهَيَّاجِ هو: حيَّان بن حُصين الأسدي تابعيّ ثقة.

«أَلَا»: أداة تنبيه.

«أَبْعَثُكَ»: أوجِّهك.

«لَا تَدَعَ»: لا تترك.

«إِلَّا طَمَسْتَهَا»؛ أي: أزلتها ومحوتها.

«مُشْرِفًا»؛ أي: مرتفعًا.

«إِلَّا سَوَّيْتَهُ»؛ أي: جعلته مساويًا للأرض.

المعنى الإجمالي للحديث: يعرض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أبي الهياج أن يوجهه إلى القيام بالمهمة التي وجّهه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقيام بها، وهي:

١- إزالة الصور ومحوُها؛ لما فيها من المضاهاة لخلق الله والافتتان بها بتعظيمها؛ مما يؤول بأصحابها إلى الوثنية.

٢- وتسوية القبور العالية حتى تصير مساوية للأرض؛ لما في تعلِيتها من الافتتان بأصحابها واتخاذهم أندادًا لله في العبادة والتعظيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على وجوب طمس الصور وإتلافها.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم التصوير، ووجوب إزالة الصور ومحوها بجميع أنواعها.

٢- التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ العلم.

٣- تحريم رفع القبور ببناءٍ أو غيره؛ لأنه من وسائل الشرك.

٤- وجوب هدم القباب المبنية على القبور.

٥- أن التصوير مثل البناء على القبور وسيلة إلى الشرك.

٦١- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أَخْرَجَاهُ(١).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن من كمال التوحيد احترام اسم الله، وعدم امتهانه بكثرة الحلف؛ لأن ذلك يدل على الاستخفاف به وعدم التعظيم له.

مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ: أي: من النهي عنه، والحلِف: بفتح الحاء وكسر اللام: اليمين.

﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾؛ أي: لا تحلفوا، وقيل: لا تتركوها بغير تكفير، وقيل: لا تحنثوا.

«مَنْفَقَةٌ»: بفتح الميم والفاء مفعَلةٌ من النَّفاق بفتح النون، وهو: الرواج.

«لِلسِّلْعَةِ»: بكسر السين: المتاع.

«مَمْحَقَةٌ»: بفتح الميم والحاء من المحق، وهو: النقص والمحو.

المعنى الإجمالي للحديث: يحذر ﷺ من التهاون بالحلف وكثرة استعماله لترويج السلع وجلب الكسب، فإن الإنسان إذا حلف على

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

سلعة أنه أُعطي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا، وهو كاذب، فقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها؛ تأثرًا بيمين البائع، وهو إنما حلف طمَعًا في الزيادة؛ فيكون قد عصى الله، فيعاقب بمحق البركة.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من استعمال الحلف؛ لأجل ترويج السلع، وبيان ما يترتب على ذلك من الضرر.

ما يستفاد من الحديث:

١- التحذير من استعمال الحلف؛ لأجل ترويج السلع؛ لأن ذلك امتهانٌ لاسم الله تعالى، وهو ينقص التوحيد.

٢- بيان ما يترتب على الأيمان الكاذبة من المضارّ.

٣- أن الكسب الحرام -وإن كثُرت كمّيته-، فإنه منزوع البركة، لا خير فيه.

وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(١).

الشَّرْح

التراجم: سَلْمَانَ لعله أبو عبد الله: سلمان الفارسي، أصله من أصبهان أو رام هرمز، أسلم عند قدوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وشهد الخندق وغيرَها، توفي سنة ٣٦هـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ»: هذا وعيد شديدٌ في حقهم؛ لأنه سبحانه يكلم أهل الإيمان.

«وَلَا يُزَكِّيهِمْ»؛ أي: لا يثني عليهم، ولا يطهرهم من دنَس الذنوب.

«وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: مُوجِع؛ لأنهم لما عظُم ذنبهم، عظُمت عقوبتهم.

«أُشَيْمِطٌ»: تصغير أشمط، وهو الذي في شعره شمَطٌ؛ أي: شيْبٌ. وصغِّر تحقيرًا له.

«زَانٍ»: أي: يرتكب فاحشة الزنا مع كِبَر سنِّه.

«وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»: العائل: الفقير؛ أي: يتكبَّر مع أنه فقير، والكِبر: بطَر الحق وغمط الناس.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٦ رقم ٦١١١)، وفي الصغير (٢/ ٨٢ رقم٨٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٧).

«**جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً**»؛ أي: جعل الحلف بالله بضاعةً له؛ لكثرة استعماله في البيع والشراء.

المعنى الإجمالي: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثلاثة أصنافٍ من العصاة يُعاقبون أشد العقوبة، لشناعة جرائمه:

أحدهم: من يرتكب فاحشة الزنا مع كِبَر سنه؛ لأن داعي المعصية ضعيفٌ في حقّه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية والفجور، وإن كان الزنا قبيحًا من كل أحد، فهو من هذا أشد قُبحًا.

الثاني: فقيرٌ يتكبر على الناس، والكِبْر وإن كان قبيحًا من كل أحد، لكن الفقير ليس له من المال ما يدعوه إلى الكِبْر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكِبْر طبيعةٌ له.

الثالث: من يجعل الحلف بالله بضاعةً له، يكثر من استعماله في البيع والشراء، فيمتَهِن اسم الله، ويجعله وسيلةً لاكتساب المال.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من كثرة الحلف في البيع والشراء.

ما يستفاد من الحديث:

١- التحذير من كثرة استعمال الحلف في البيع والشراء، والحث على توقير اليمين واحترام أسماء الله سبحانه.

٢- إثبات الكلام لله، وأنه يكلِّم من أطاعه، ويكرمُه بذلك.

٣- التحذير من جريمة الزنا، لا سيما من كبير السن.

٤- التحذير من الكِبْر، لا سيما في حق الفقير.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

الشَّرْح

فِي الصَّحِيحِ: أي: في صحيح مسلم.

«قَرْنِي»؛ أي: أهل قرني، وهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والقرن: كل طبقة من الناس مقترنين في وقت.

«ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»: وهم التابعون.

«ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»: وهم تابعو التابعين.

«يَشْهَدُونَ»؛ أي: شهادة الزور.

«وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»؛ أي: لا يُطلب منهم الشهادة؛ لفسقِهم أو لاستخفافهم بأمرها وعدم تحرِّيهم الصدق.

«وَيَخُونُونَ»؛ أي: يخونون من ائتمنهم.

«وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»؛ أي: لا يأتمنهم الناس؛ لظهور خيانتهم.

«وَيَنْذُرُونَ لَا يَفُونَ»؛ أي: لا يؤدون ما وجب عليهم بالنذر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢١).

«وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»: السمن كثرة اللحم، وذلك لتنعمهم وغفلتهم عن الآخرة.

المعنى الإجمالي: يخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن خير هذه الأمة القرون الثلاثة، وهم: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين؛ لظهور الإسلام فيهم، وقُربهم من نور النبوة. ثم بعد هذه القرون المفضلة يحدث الشر في الأمة، وتكثر البدع والتهاون بالشهادة، والاستخفاف بالأمانة والنذور، والتنعم في الدنيا، والغفلة عن الآخرة؛ وظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه ذم الذين يتساهلون بالشهادة، وهي نوعٌ من اليمين.

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل القرون الثلاثة أو الأربعة؛ الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢- ذم التسرع في الشهادة.

٣- ذم التهاون بالنذور، ووجوب الوفاء بها.

٤- ذم الخيانة في الأمانة، والحث على أدائها.

٥- ذم التنعم والرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة.

٦- علَم من أعلام نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر بالشيء قبل وقوعه، فوقع كما أخبر.

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(١).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»(٢).

الشَّرْح

التراجم: إِبْرَاهِيمُ هو: أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي من التابعين ومن فقهائهم، مات سنة ٩٦هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ»... إلخ؛ أي: يجمع بين اليمين والشهادة، فتارة تسبق هذه، وتارة تسبق هذه.

«كَانُوا»؛ أي: التابعون.

«يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ»... إلخ؛ أي: لئلا يعتادوا إلزام أنفسهم بالعهود؛ لما يلزم الحالف من الوفاء، وكذا الشهادة؛ لئلا يسهل عليهم أمرها.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن خير هذه الأمة القرون الثلاثة، ثم يأتي من بعدهم قوم يتساهلون في الشهادة واليمين؛ لضعف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) موصولًا بإسناد حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إيمانهم، فيخفّ عليهم أمر الشهادة واليمين؛ تحمّلًا وأداءً؛ لقلة خوفهم من الله وعدم مبالاتهم بذلك[1].

ويخبر إبراهيم النخَعي عن التابعين أنهم يلقِّنون صغارهم تعظيم الشهادة والعهد؛ لينشؤوا على ذلك، ولا يتساهلوا فيهما.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من التساهل باليمين والشهادة.

ما يستفاد من الحديث:

١- أن القرون المفضلة ثلاثةٌ، وأنهم خير هذه الأمة.

٢- ذمّ التسرع في الشهادة واليمين.

٣- علمٌ من أعلام نبوّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه وُجد ما أخبر به.

٤- عناية السلف بتربية الصغار وتأديبهم.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٠٦٨) عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: التنبيه على أن الوفاء بالعهود تعظيمٌ لله، وعدم الوفاء بها عدم تعظيمٍ له؛ فهو قدحٌ في التوحيد.

مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ: ذمةُ الله هي: العهد، وفيه الحث على حفظها والوفاء بها، إذا أُعطيت لأحد.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بالالتزام بمُوجِبه من عقود البيعة والأيمان وغيرها.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾؛ أي: أيمان البيعة أو مطلَق الأيمان.

﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ أي: بعد توثيقها بذكر الله تعالى.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾؛ أي: شاهدًا عليكم بتلك البيعة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾؛ أي: من نقض الأيمان والعهود، وهذا تهديد.

المعنى الإجمالي للآية: يأمر تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكّدة بذكره؛ لأنهم بذلك جعلوه سبحانه شاهدًا ورقيبًا عليهم؛ وهو سبحانه يعلم أفعالَهم وتصرفاتِهم، وسيُجازيهم عليها.

مناسبة الآية للباب: أنها تدل على وجوب الوفاء بالعهود، ومنها ما يجري بين الناس من إعطاء الذمة؛ فإنها يجب الوفاء بها؛ لأنها فردٌ من أفراد معنى الآية.

ما يستفاد من الآية:

١- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق.

٢- تحريم نقض العهود والأيمان الداخلة في العهود والمواثيق.

٣- إثبات العلم لله سبحانه، وأنه لا يخفى عليه شيء.

٤- وعيد من نقض العهود والمواثيق.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

الشَّرْح

«أَمَّرَ أَمِيرًا»؛ أي: جعل شخصًا أميرًا.

«عَلَى جَيْشٍ»؛ أي: جنود كثيرة.

«أَوْ سَرِيَّةٍ»: هي: القطعة من الجيش، تخرج منه، وتغير، وترجع إليه.

«وَمَنْ مَعَهُ»؛ أي: بمن معه.

«خَيْرًا»؛ أي: أن يفعل بهم خيرًا.

«اغْزُوا»؛ أي: اشرعوا في فعل الغزو.

«فِي سَبِيلِ اللهِ»؛ أي: في طاعته ومن أجله.

«مَنْ كَفَرَ بِاللهِ»؛ أي: لأجل كفرهم، وخص منه من لا يجوز قتلُه من الكفار؛ كالنساء ومن له عهد... إلخ.

«وَلَا تَغُلُّوا»: الغلول: الأخذ من الغنيمة قبل قسمها.

«وَلَا تَغْدِرُوا»؛ أي: لا تنقضوا العهد.

«وَلَا تَمْثُلُوا»: التمثيل: تشويه القتيل بقطع أعضائه.

«وَلِيدًا»: هو: الصبيّ والعبد.

«ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ»: شكٌّ من الراوي، ومعناهما واحد.

«فَاقْبَلْ مِنْهُمْ»؛ أي: اقبل منهم الإسلام، وكفّ عنهم القتال.

«دَارِ المُهَاجِرِينَ»: يعني: المدينة إذ ذاك.

«فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ»؛ أي: في استحقاق الفيء والغنيمة.

«مَا عَلَى المُهَاجِرِينَ»: من الجهاد وغيره.

«**كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ**»: الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو.

«**فَسَلْهُمُ الجِزْيَةَ**»؛ أي: اطلب منهم أن يدفعوا الجزية، وهي مالٌ يؤخذ من الكفار على وجه الصغار والذلة لهم، واشتقاقها من الجزاء كأنها جزاءٌ عن القتل.

«**فَإِنْ أَبَوْا**»؛ أي: امتنعوا عن الدخول في الإسلام ودفع الجزية.

«**حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ**»: الحصن: كل مكان محميّ محرز، وحاصرتهم: ضيقت عليهم، وأحطت بهم.

«**ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ**»: الذمة هنا العهد.

«**إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ**»؛ أي: تنقضوا عُهودكم.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر لنا هذا الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما كان يفعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يرسل الجيوش والسرايا للقتال في سبيل الله؛ أنه كان يوصي القواد بالتحرز بطاعة الله من عقوبته بالتزام التقوى، ويأمرهم بالشروع في الغزو مستعينين بالله؛ ليقاتلوا الكفار؛ لإزالة كفرهم؛ حتى يكون الدين كله لله، وينهاهم عن الخيانة في العهود والأخذ من المغانم قبل قسمتها، وعن تشويه القتلى وقتل من لا يستحق القتل من الولدان. وعندما يلاقون عدوهم، فإنهم يخيِّرونهم بين ثلاثة أمور: إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يؤدوا الجزية، وإما أن يقاتلوهم. فإن دخلوا في الإسلام، خُيروا بين أمرين: إما الانتقال إلى دار الهجرة، ولهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإما البقاء مع أعراب المسلمين؛ لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم.

ثم يوصي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القواد عندما يحاصرون الكفّار في معاقِلهم؛ فيطلب الكفّار منهم أن يجعلوا لهم عهد الله وعهد نبيه أن لا يجعلوا لهم ذلك، ولكن يجعلوا لهم عهدهم هم؛ فإنّ نقض عهد الله وعهد رسوله أعظم جُرمًا من نقض عهودهم.

وإذا طلبوا منهم النزول على حكم الله، فلا يجيبوهم، بل ينزلونهم على حكمهم هم واجتهادهم؛ خشية أن لا يُصيبوا حكم الله تعالى؛ فينسبون إلى الله ما هو خطأ.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه النهيَ عن إعطاء ذمة الله وذمة رسوله للكفار؛ خشية عدم الوفاء بذلك، فتكون الجريمة عظيمة، ويكون ذلك هضمًا لعهد الله، ونقصًا في التوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية بعْث السرايا والجيوش للجهاد في سبيل الله.

٢- أنه يجب أن يكون القتال لإعلاء كلمة الله، ومحو آثار الكفر من الأرض، لا لنيل الملك وطلب الدنيا، أو نيل الشهرة.

٣- مشروعية تنصيب الأمراء على الجيوش والسرايا.

٤- أنه يشرع لولي الأمر أن يوصي القوّاد، ويوضح لهم الخطة التي يسيرون عليها في جهادهم.

٥- أن الجهاد يكون بإذن ولي الأمر وتنفيذه.

٦- مشروعية الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

٧- مشروعية أخذ الجزية من جميع الكفار.

٨- النهي عن قتل الصبيان.

٩- النهي عن التمثيل بالقتلى.

١٠- النهي عن الغلول والخيانة في العهود.

١١- احترام ذمة الله وذمة نبيه والفرق بينهما وبين ذمة المسلمين.

١٢- طلب الاحتياط عن الوقوع في المحذور.

١٣- أن المجتهد يخطئ ويصيب، والفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

١٤- الإرشاد إلى ارتكاب أقل الأمرين خطرًا.

١٥- مشروعية الاجتهاد عند الحاجة.

٦٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٢).

الشَّرْح

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد: أن الإقسام على الله إذا كان على وجه الحجر على الله، فهو منافٍ للتوحيد؛ لأنه من سوء الأدب مع الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (١٤/ ٤٧)، والبزار (١٦/ ٢٤٤)، وابن حبان (١٣/ ٢١)، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولفظه: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ: أي: من الأدلة على تحريم ذلك.

«**مَنْ ذَا الَّذِي؟**»: استفهام إنكار.

«**يَتَأَلَّى عَلَيَّ**»؛ أي: يحلف، والأليّة: بتشديد الياء: الحلف.

«**أَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»؛ أي: أهدرته.

«**أَوْبَقَتْ**»؛ أي: أهلكت.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على وجه التحذير من خطر اللسان- أن رجلًا حلف أن الله لا يغفر لرجلٍ مذنبٍ؛ فكأنه حكم على الله، وحجر عليه؛ لما اعتقد في نفسه عند الله من الكرامة والحظّ والمكانة، ولذلك المذنب من الإهانة، وهذا إدلالٌ على الله، وسوءُ أدب معه، أوجب لذلك الرجل الشقاءَ والخسران في الدنيا والآخرة.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أنه يدل على تحريم الإقسام على الله على وجه الحجر على الله والإعجاب بالنفس؛ وذلك نقصٌ في التوحيد.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الإقسام على الله، إلا إذا كان على وجه حسنِ الظنّ به وتأميل الخير منه.

٢- وجوب حسن الأدب مع الله.

٣- شدة خطر اللسان ووجوب حفظه.

٦٤- بَابٌ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ نُهِكَتْ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا ربك، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حتى عُرِفَ ذَلكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قال: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي ما اللهُ؟ إِنَّ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ». رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ[١].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان تحريم الاستشفاع بالله على خلقه؛ لأنه هضمٌ للربوبية، وقدحٌ في توحيد العبد؛ لأن الشافع يشفع عند من هو أعلى منه، والله تعالى منزّه عن ذلك؛ لأنه لا أحد أعلى منه.

التراجم: جُبَيْرِ هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القُرَشي، كان من أكابر قريش، أسلم قبل الفتح، ومات سنة ٥٧هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**نُهِكَتْ**»: بضم النون أي: جهدت وضعفت.

«**فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ**»؛ أي: اسأله أن يسقينا بأن ينزل المطر.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٧)، والآجري في الشريعة (٣٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧).

«**نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ**»: نجعله واسطة إليك.

«**سُبْحَانَ اللهِ**»؛ أي: تنزيهًا لله عما لا يليق به.

«**عُرِفَ ذَلكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ**»؛ أي: عُرف الغضب فيها؛ لغضب رسول الله ﷺ.

«**وَيْحَكَ**»: كلمةٌ تقال للزجر.

«**أَتَدْرِي ما اللهُ؟**»: إشارةٌ إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله.

المعنى الإجمالي للحديث: يذكر هذا الصحابي أن رجلًا من البادية جاء إلى النبي ﷺ يشكو ما أصاب الناس من الحاجة إلى المطر؛ ويطلب من النبي ﷺ أن يسأل ربَّه أن ينزله عليهم؛ لكنه أساء الأدب مع الله؛ حيث استشفع به إلى النبي ﷺ، وهذا جهلٌ منه بحق الله؛ لأن الشفاعة إنما تكون من الأدنى إلى الأعلى، ولذلك أنكر عليه النبي ﷺ ذلك، ونزّه ربه عن هذا التنقّص، ولم ينكر عليه الاستشفاع بالنبي ﷺ إلى الله سبحانه بدعائه إياه.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على تحريم الاستشفاع بالله على أحدٍ من خلقه؛ لأنه تنقّص ينزه الله عنه.

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الاستشفاع بالله على أحدٍ من خلقه؛ لما في ذلك من التنقص لله تعالى.

٢- تنزيه الله عما لا يليق به.

٣- إنكار المنكر وتعليم الجاهل.

٤- جواز الاستشفاع بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، بأن يطلُب منه أن يدعو الله في قضاء حاجة المحتاج؛ لأنه مستجاب الدعوة، أما بعد موته، فلا يُطلب منه ذلك؛ لأن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك.

٥- التعليم بطريقة السؤال؛ لأنه أوقع في النفس.

٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ(١).

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أن التوحيد لا يتم إلا بتجنُّب كل قول يفضي إلى الغلو في المخلوق، ويُخشى منه الوقوع في الشرك.

التراجم: ابْن الشِّخِّيرِ: بكسر الشين وتشديد الخاء هو: عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان الحريشيّ، أسلم يوم الفتح، وله صحبةٌ ورواية.

حِمَايَةِ: حماية الشيء: صونُه عما يتطرق إليه من مكروه وأذى.

المصطفى: أي: المختار من الصفوة، وهي خالص الشيء.

حِمَى التَّوْحِيدِ: صونُه عما يشوبه من الأعمال والأقوال التي تضاده أو تنقصه.

«السَّيِّدُ اللهُ»؛ أي: السُّؤدد التام لله عَزَّ وَجَلَّ، والخلق كلهم عبيد الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

«**وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا**»: الفضل: الخيرية ضد النقيصة؛ أي: أنت خيرُنا.

«**طَوْلًا**»: الطوْل: الفضل والعطاء والقدرة والغنى.

«**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**»؛ أي: القول المعتاد لديكم، ولا تتكلفوا الألفاظ التي تؤدي إلى الغلو.

«**أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ**»؛ أي: أو دعوا بعض قولكم المعتاد، واتركوه؛ تجنبًا للغلو.

«**لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»: الجريّ: الرسول؛ أي: لا يتخذكم جَرِيًّا؛ أي: وكيلًا له ورسولًا.

المعنى الإجمالي للحديث: لما بالغ هذا الوفد في مدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نهاهم عن ذلك؛ تأدبًا مع الله وحمايةً للتوحيد، وأمرهم أن يقتصروا على الألفاظ التي لا غلوّ فيها ولا محذور؛ كأن يدعوه بمحمد رسول الله؛ كما سماه الله عَزَّوَجَلَّ.

مناسبة الحديث للباب: أن فيه النهي عن الغلو في المدح واستعمال الألفاظ المتكلفة التي ربّما توقع في الشرك.

ما يستفاد من الحديث:

١- تواضعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأدبه مع ربه.

٢- النهي عن الغلو في المدح ومواجهة الإنسان به.

٣- أن السُّؤدد حقيقةٌ لله سبحانه، وأنه ينبغي ترك المدح بلفظ السيد.

٤- النهي عن التكلف في الألفاظ، وأنه ينبغي الاقتصاد في المقال.

٥- حماية التوحيد عما يخل به من الأقوال والأعمال.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ**[1].

الشَّرْح

«**يَا خَيْرَنَا**»؛ أي: أفضلنا.

«**يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»؛ أي: يُزين لكم هواكم، أو يذهب بعقولكم.

المعنى الإجمالي للحديث: كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدحَه بهذه الألفاظ ونحوها؛ لئلا يكون ذلك وسيلةً إلى الغلو فيه والإطراء؛ لأنه قد أكمل الله له مقامَ العبودية، فصار يكره أن يُبالغ في مدحه؛ صيانةً لهذا المقام، وإرشادًا للأمة إلى ترك ذلك؛ نصحًا لهم وحماية للتوحيد.

وأرشدهم أن يصفوه بصفتين، هما أعلى مراتب العبد، وقد وصفه الله بهما في مواضع، وهما: عبد الله ورسوله، ولا يريد أن يرفعوه فوق هذه المنزلة التي أنزله الله إياها.

مناسبة الحديث للباب: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُمدح بغير ما وصفه الله به؛ صيانةً للتوحيد، وسدًّا لباب الغلو المُفضي إلى الشرك.

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٧١)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١).

ما يستفاد من الحديث:

١- النهي عن الغلو في المدح، وتكلف الألفاظ في ذلك؛ لئلا يفضي إلى الشرك.

٢- تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرصه على صيانة العقيدة عما يخل بها.

٣- أنه عبد الله ورسوله، وليس له من الأمر شيء، والأمر كله لله سبحانه.

٤- التحذير من كيد الشيطان، وأنه قد يأتي من طريق الزيادة على الحد المشروع.

٦٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

الشَّرْح

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يختم كتابه بهذا الباب المشتمل على النصوص الدالة على عظمة الله، وخضوع المخلوقات له؛ مما يدل على أنه هو المستحق للعبادة وحده، وأن له صفات الكمال ونعوت الجلال.

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى: أي: ما جاء في معنى هذه الآية الكريمة من الأحاديث والآثار.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: ما عظَّم المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره.

﴿ وَٱلْأَرْضُ ﴾... إلخ: جملةٌ حالية.

﴿ جَمِيعًا ﴾؛ أي: بجميع جهاتها وطبقاتها.

﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾: تنزيهًا له.

﴿ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به من الأصنام والأنداد العاجزة الحقيرة.

المعنى الإجمالي للآية: يخبر الله تعالى أن المشركين ما عظّموا الله حق تعظيمه؛ حيث عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على

كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته، والمخلوقات كلها بالنسبة إليه صغيرة حقيرة، ثم نزّه نفسه عن شرك المشركين وتنقص الجاهلين.

تنبيـه:

١- مذهب السلف في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ هو إمراره؛ كما جاء مع اعتقاد ما دل عليه من غير تحريف ولا تكييف، والأحاديث والآثار تفسِّرها وتوضِّحها.

٢- ما يستفاد من هذه الآية يأتي بعد ذكر ما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآيَةُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِيِّ: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ(١).

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(٢).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٦، ٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٣) معلقًا، ومسلم (٢٧٨٨) موصولًا مرفوعًا من طريق عمر بن حمزة، عن سالم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه البخاري (٧٤١٢) مرفوعًا مختصرًا من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(١).

الشَّرْح

«حَبْرٌ»: بفتح الحاء وكسرِها: أحد أحبار اليهود، وهو العالم بتحبير الكلام وتحسينه، سُمّي حبرًا؛ لما يبقى له من أثر علومه في قلوب الناس.

«عَلَى إِصْبَعٍ»: واحد الأصابع، يذكّر ويُؤنّث.

«الثَّرَى»: التراب النديّ، ولعل المراد به هنا الأرض.

«الشَّجَرَ»: ما له ساقٌ صلبٌ كالنخل وغيره.

«وَسَائِرَ الخَلَائِقِ»؛ أي: باقيهم.

«نَوَاجِذُهُ»: جمع ناجِذ، وهي: أقصى الأضراس، وقيل: الأنياب، وقيل: ما بين الأسنان والأضراس، وقيل: هي الضواحك.

«يَهُزُّهُنَّ»: هز الشيء تحريكه؛ أي: يحركهن.

«الجَبَّارُونَ»: جمع جبّار، وهو العاني المتسلِّط.

«كَخَرْدَلَةٍ»: هي حبةٌ صغيرةٌ جدًّا.

المعنى الإجمالي للحديث: ذكر عالمٌ من علماء اليهود للنبي ﷺ ما يجدونه في كتابهم التوراة من بيان عظمة الله، وصغر المخلوقات بالنسبة إليه سبحانه، وأنه يضعها على أصابعه، فوافقه النبي ﷺ على ذلك، وسُرّ به، وتلا ما يصدِّقه من القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٦).

ما يستفاد من الآية والحديث برواياته:

١- بيان عظمة الله سبحانه وصغر المخلوقات بالنسبة إليه.

٢- أن من أشرك به سبحانه لم يُقدِّره حق قدره.

٣- إثبات اليدين والأصابع واليمين والشمال والكف لله سبحانه على ما يليق به.

٤- أن هذه العلوم الجليلة التي في التوراة باقيةٌ عند اليهود الذين في زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم ينكِروها، ولم يحرِّفوها.

٥- تفرّد الله سبحانه بالملك وزوال كل ملكٍ لغيره.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثني أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»(١).

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»(٢).

الشَّرْح

«تُرْسٍ»: بضم التاء: القاع المستدير المتسع، والترس -أيضًا- صفحة فولاذ تُحمل لاتِّقاء السيف، والمراد هنا المعنى الأول.

«فَلَاةٍ»: هي الصحراء الواسعة.

المعنى الإجمالي للحديثين: يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظَمة الكرسي والعرش، وأن السماوات السبع على سِعتها، وكثافتها، وتباعد ما بينها بالنسبة لسعة الكرسي كسبعة دراهم، وُضعت في قاعٍ واسعٍ، فماذا تشغل منه؟! إنها لاتشغل منه إلا حيِّزًا يسيرًا.

كما يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي ذرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الكرسي مع سعته وعظمته بالنسبة للعرش كحلقة حديد، وُضعت في صحراء واسعة من الأرض؛ وهذا يدل على عظمة خالقها وقدرته التامة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦).

مناسبة ذكر الحديثين في الباب: أنهما يدلان على عظمة الله وكمال قدرته وقوة سلطانه.

ما يستفاد من الحديثين:

١- أن الكرسي أكبر من السماوات، وأن العرش أكبر من الكرسي.

٢- عظمة الله وكمال قدرته.

٣- أن العرش غيرُ الكرسي.

٤- الرد على من فسّر الكرسي بالمُلك أو العلم.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَايَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ(٢).

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٧)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٧٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٥).

(٢) انظر: العلو للذهبي (ص٤٥، ٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦).

الشَّرْح

«هَلْ تَـدْرُونَ؟»: أخرج الأخبار بصيغة الاستفهام؛ ليكون أبلغ في النفوس.

«اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»: إسناد العلم إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما يكون في حياته، أما بعد وفاته، فيقال: «الله أعلم» فقط.

«كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ»: الكثف هو: السمك والغلظ.

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المخلوقات العلوية؛ من حيث عظمتها وسعتها وتباعد ما بين أجرامها، فيخبر أن السماوات سبع طباقٍ، بعضُها فوق بعض، وأن مسافة ارتفاعها عن الأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء والتي تليها مسافة خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وفوق السماء السابعة الكرسي، وفوق الكرسي البحر، بينه وبينه مسيرة خمسمائة عام، وعمق البحر كما بين السماء والأرض، وفوق البحر العرش، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم.

مناسبة هذين الحديثين للباب: بيان عظمة الله سبحانه وقدرته الباهرة وعلوه على مخلوقاته وعلمه بأحوالهم.

ما يستفاد من الحديثين:

١- فيهما بيان عظمة الله وقدرته ووجوب إفراده بالعبادة.

٢- فيهما بيان صفة الأجـرام العلوية، وعظمتها، واتِّساعها، وتباعد أقطارها.

٣- فيها الرد الواضح على أهل النظريات الحديثة، الذين لا يؤمنون بوجود السماوات والكرسيّ والعرش، ويزعمون أن الكون العلوي فضاءٌ وكواكبٌ فقط.

٤- فيهما إثبات علو الله على خلقه بذاته المقدسة؛ خلاف ما تزعمه الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، الذين ينفون علو الله على خلقه.

٥- فيها إثبات علم الله المحيط بكل شيء مع علوه فوق مخلوقاته.

٦- فيها مشروعية بيان هذه الحقائق العظيمة للناس؛ ليعرفوا عظمة الله وقدرته -والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

مراجع التحقيق

❃ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

❃ إثبات صفة العلو، ابن قدامة المقدسي، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❃ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

❃ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١٣.

❃ الآداب الشرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

❃ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* الأربعون النووية، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١.

* أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق ماهرياسين الفحل، دار الميمان.

* الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي،تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد،دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٣هـ.

* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

* الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحي، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١.
* الإيمان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١.
* الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
* البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
* البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف - بيروت.
* بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الج، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
* تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
* تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
* التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
* التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.
* التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ.
* تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن حجاج المروزي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
* تغليق التَّعْلِيق على صَحِيح البُخَارِيّ، المُؤلف: أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ ابن مُحَمَّد بن أَحْمد بن حجر الْعَسْقَلَانِي (المُتوفَّى: ٨٥٢هـ)، المُحَقق: سعيد عبد الرَّحْمَن مُوسَى القزقي، الناشر: الْمكتب الإسلامي، دَار عمار - بيروت، عمان - الْأُرْدُن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الْأَجْزَاء: ٥
* تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

* تفسير ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
* تفسير البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.
* تفسير الثعالبي: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
* تفسير الصنعاني: (تفسير القرآن)، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ.
* تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن

محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

* تفسير القرآن، اسم المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.
* تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن)، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
* تفسير النسفي، المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي.
* تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله ابن عبد البر النمري،تحقيق:مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.
* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق:محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي - بيروت،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
* التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء:١.

* تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، عالم الكتب ـ بيروت، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار النشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.
جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢٤.
* الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
* الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (تفسير القرطبي)، دار الشعب ـ القاهرة.
* جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٥هـ.

* الدر المنثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٣م.
* الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١.
* الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٣هـ.
* الرَّوْض الْأنف فِي شرح السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِابْنِ هِشَام، المُؤلف: أَبُو الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن أَحْمد السُّهيْلي (المُتَوَفَّى: ٥٨١هـ)، المُحَقق: عمر عبد السَّلَام السلَامِي، الناشر: دَار إحْيَاء التراث الْعَرَبِيّ، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الْأَجْزَاء: ٧.
* روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م عدد الأجزاء: ١٢.
* روضة الناظر وجنة المناظر أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. دار الزاحم.
* روضة الناظر وجنة المناظر، تأليف: عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالعزيز عبدالرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض، الطبعة: الثانية ١٣٩٩هـ.

* زاد المسير في علم التفسير،عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٤هـ.
* زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت، الطبعة: الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
* الزهد، للإمام أحمد بن حنبل الشّيباني، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
* السنة للخلال ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض.
* السنة، اسم المؤلف: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
* السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
* سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر ـ بيروت.
* سنن أبي بكر الأثرم، المؤلف: أَبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ هَانِئ الإِسْكَافِيُّ الأَثْرَم الطَّائِيُّ وَقِيْلَ: الكَلْبِيّ (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية [ضمن سلسلة الأجزاء والكتب الحديثية (٣٢)]، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ١ .

* سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
* سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.
* سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
* سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
* سنن الدارمي، عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ.
* السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
* السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
* السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.

* السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
* شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
* شرح السنّة، للإمام البغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفرَّاء، تحقيق زهيرالشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
* شرح العمدة (في الفقه الحنبلي)، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، تحقيق سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.
* الشريعة، اسم المؤلف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دار النشر: دار الوطن - الرياض / السعودية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.
* الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.
* شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ.

* شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.
* الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبدالله عمر الحلواني،محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم ـ بيروت،الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت،١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
* صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
* صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا

(المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠، عدد الأجزاء: ١.

- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- طبقات الشّافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، تعليق عبدالعليم خان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار صادر ـ بيروت.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.
- العرش وما رُوِي فيه، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (المتوفى: ٢٩٧هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.
- العظمة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف

بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

* علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله البسام.
* العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
* عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عَزَّوَجَلَّ ومعاشرته مع العباد، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله ابن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ«ابن السُّنِّي» (المتوفى: ٣٦٤هـ) المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، عدد الأجزاء: ١.
* عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
* عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بشير النجدي، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
* العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
* غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، دار الكتب العلمية.
* غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

* الغنية عن الكلام وأهله، تأليف الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي، دار المنهاج القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،تحقيق:محب الدين الخطيب،دار النشر: دار المعرفة ـ بيروت.
* فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
* الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٦هـ.
* الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٧٧م.
* الفروع، لشمس الدِّين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مراجعة عبد الستَّار أحمد فراح، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
* القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- القدر وما ورد في ذلك من الآثار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، الناشر: دار السلطان - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن المستفاض، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- كتاب الإيمان، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٢.
- كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن الْمُسْتَفَاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١

* كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب ابن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

* اللآلي البهية في شرح الواسطية، للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، تحقيق وعناية عادل محمد مرسي رفاعي، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م.

* لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

* لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦، عدد الأجزاء: ١.

* المجتبى من السنن، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي ـ القاهرة، بيروت ١٤٠٧هـ.
* مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: (تفسير ابن عطية)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
* مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة: طبعة جديدة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* مدارج السّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقِّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
* مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.
* مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، المؤلف: عبد الله بن أحمد ابن حنبل، سنة الولادة ٢١٣ هـ/ سنة الوفاة ٢٩٠ هـ، تحقيق: زهير

الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مكان النشر: بيروت، عدد الأجزاء: ١.

* المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
* مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
* مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد،دار المأمون للتراث ـ دمشق، الطبعة:الأولى ١٤٠٤هـ.
* مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة ـ مصر.
* مسند الإمام الشافعي (ترتيب سنجر)، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (المتوفى: ٧٤٥هـ)، حقق نصوصه

وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل، الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٤.

* مسند البزار: (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

* مسند الحميدي،لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية بيروت.

* مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

* مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

* مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

* مسند، عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة.

* المسوّدة في أصول الفقه، لآل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السّلام ابن عبد الله بن الخضر، شهاب الدّين أبو المحاسن عبد الحليم بن

عبد السّلام، شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، جمعها وبيّضها شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمد الحرّاني الدّمشقي الحنبلي، حقّق أصوله وفصَّله وضبط شكله وعلّق حواشيه محمد محي الدِّين، دار الكتاب العربي، بيروت.

- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت.
- المصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٦.
- المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

* معالم التنزيل، أبو الحسن محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٩هـ.
* المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة، ١٤١٥هـ.
* المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
* المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء ـ الموصل، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
* المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبدالقادر/ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
* معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل ـ بيروت/ لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.
* المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة.

* المغني لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
* مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
* المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
* الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤هـ.
* المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ـ مصر.
* النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

❁ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

❁ الوفيات، المؤلف: تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: صالح مَهدي عباس، د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢، عدد الأجزاء: ٢.

❁❁❁

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله